

العظماؤ

ع عظماء اليهود والنصارى واليهود واليهود

تأليف

أبو طرفة موسى

نقله إلى العربية

ميجائيل بشاره داود

المجلد الاول

سنة ١٩٢٨

دار البصير للطبع والنشر

شارع الشريعة في مكة المكرمة

فطاً المقررة

صحيفة	سطر	خطاً	صواب
٣	٤	سبيلها	سبيلهما
٣	١٣	الفناء	الفناء
٤	٢	ارسطوه الذي	ارسطوه، فما الذي
٤	١٤	على ظروفه على طريقة	على طريقة
٤	١٤	الطبيعي يكون	الطبيعي قد يكون
٤	١٩	أمة	أمة
٥	٨	ستودا	مقودا
٥	١٠	لايجل	لايجل
٥	١٢	العين	معين
٥	١٣	كلمة	كلمة
٥	١٥	يعطوا	يمطلوا
٦	٣	بضبي	لصبي
٦	٤	ينتهي	ينتهي
٦	٧	كيف ثم	كيف ثم
٦	٩	خير بحسن	خير ما بحسن
٦	١٤	لم ييس	لم يبت
٧	١	بدرس	يدرس
٧	٢	السبيل	السبل
٧	٣	ويقول	وتقول
٧	١٣	أمثال	أمثاله

هذا عدا أغلاط مطبعية لا تخفى على القاريء اللبيب

العظماء

عظماء اليونان والرومان والمموازين منهم

تأليف

ابو طرفوس

نقله إلى العربية

ميجائيل بشاره داود

المجلد الاول

سنة ١٩٢٨

دار النشر للطبع والتوزيع

دار النشر للطبع والتوزيع

المقدمة

العظمة لله ولا تقدير لعظمته .

هذه سير طائفة من الرجال عاشوا للخير والمجد كدوا لها نفوسهم وأفنوا في سبيلها اعمارهم ، عاش الرجل منهم كما قال صولون دوحه وارفة يستظلها قومه اذا ارهقهم وهج الحياة ، ومتى أمنوا الاذى ابتعدوا عنها ، ، ومدوا ايديهم الى اغصانها يهصرونها الواحد بعد الآخر ، ولر بما عمدوا الى الدوحة ذاتها فاجتثوا جذورها .

لم ينعم هؤلاء المجاهدون بما عملوا الا بما في عمل الخير ذاته من نعيم ، ولم يظفروا بالمجد في حياتهم الا لمحات بين البروق والرعود . فالعظيم رجل انار له الماضي امامه وجه الحاضر ، وقراء صفحات المستقبل على ضوء الحاضر تعشق املا اعلى عاش به وله ومات مجاهدا في سبيله .

يقولون ان الرجل العظيم حدث قائم بنفسه ، يدلك على ذلك انك تدخل الحديقة الخضراء فلا تجد اشجارها سواء ، وتنظر الى الشجرة فلا تجد اغصانها سواء ، وتتأمل الفصن فلا تجد ثماره سواء .

كذلك تزور المدينة فلا تجد اهلها في زى واحد وتنظر الى الاسرة فلا تجد ابناها في قالب واحد وتتأمل الابناء فلا تجدهم سواء لامن حيث الشكل ولا المزاج ولا الصحة ولا العقل ، على ان الثمرة من جنس شجرتها ، لا بد . والرجل من اهله وبيئته ، لا بد . لكل حالة خاصة ، وظرف خاص مما لا يقع تحت ضبط ولا ترتيب .

اذا قيل ان اسكندر كان عظيماً لان والده كان فيليب ملك مقدونية وان معلمه كان ارسطو ، الذى علمه استوكال العظمة حتى الفناء في حب الخير لانه ، يدفع عنهم غارة الفرس بالرغم منهم والحيلة عليهم ، يحتمل مع ذلك الضيم من قومه حتى النفي والحكم بالموت يقابل ذلك بان يتجرع السم في منفاه حتى لا يرفع سيفه في وجه مواطنيه . ! وليكورجوس ، الذى سن لقبه خير شرائع البطولة ، تار عليه قومه وبقاء متهوس عينه بضربة عصا فلم يكن هذا يتعدله عن العمل لما اراد من الخير . دأب على عمله حتى نهض بقومه وجعلهم سادة البلاد اليونانية كلها . ثم بلغ به الحرص على شرائعه ومجد قومه ان جمع رجالاتهم واخذ عليهم العمود والمواثيق واستحلفهم اغاظ الايمان الا يبدلوا منها شيئاً حتى يعود اليهم . انطلق بعد ذلك الى رحلة حيث قتل نفسه صبراً واوصى بحرق جثته وتذرية رمادها في الهواء ليبقى على قومه ايمانهم وتبقى لسبارطة شرائعها فتدوم سيادة وطنه ؟

يزعم البعض ان من الممكن توليد الرجل العظيم باختيار والديه وبيئته وتميئته ظروفه على ظروفه على طريقة الانتخاب الطبيعى ، يكون ذلك ممكناً ، ولكن ماهى الشرائط اللازمة لاستبقاء هذا الانتخاب . ؟

صحة الوالدين او ضعفهم ، سعة علمهم او جهلهم ، تقواهم او فسادهم ، غناهم او فقرهم ، ؟ والبيئة والظروف ؟ ماهي ؟ وكيف تهيأ . وكيف يؤخذ الصبى ؟ يحول مزاجه الى حالة عصبية مخصوصية ، او يدرب على الحيلة والشجاعة والصبر . ؟ من تعلم رومولوس بناء روما ؟ من ابيه ولم يعرف له ابا ؟ من امه ولم يكن له من مرضع سوى ذئبة ؟ . الا يدل كل هذا ان للقدرة الالهية وتصاريح حوادث العمران اليد الاولى في خلق الرجل العظيم . ؟

يقولون لو اخذ الانسان نفسه بالصبر والاقدام وتعلم فنون الحياة ، والعلم والنظر في حوادثها ، وكان نهازا للفرص ، اقلب الفكر عنده عملاً ، وصار عظيماً .

ولكن ! مجرى الحوادث ، تقلبات الظروف ، اهواء الرجال ، عماية الانسان عن معرفة مايجبىء الغد ؟ الميفشل هينبال و نابوليون فى اعظم مواقعهما ترتيبيا وتقديرا ؟ يقولون كم عظيم قتله الفقر ! على انا نرى ، كم فقير كان فقره سبب عظمته . ويقولون كم عظيم قتله بيثته ! مع انا نرى البيئة هى التى قنبت من تحتاج من العطاء .

الواقع ان العظيم يتم عن نفسه منذ صغره . . اذا لعب ، رأس اللاعبين ؛ واذا درس بز الدارسين ، يتصدر للحكم بين زملائه الصبيان ، ويشعر من حوله انه خلق ليكون قائدا لاستودا ترى ذلك الصبى يلتمهم كل مايقدم اليه من علم وفن يطالب المزيد بلا شعور كأن لعقله منخ قوى يهضم كل مايلقى اليه . لايقنع بما بين يديه من كتب المدرسة ولايجل سماع أقوال الحكماء ، يتدس الى مجالس العظماء ويفيظه ان يقال عنه صبى وان كان لايتجاوز العاشرة . ومن خصائصه أن ينصب على نوع ^{مميز} من العلوم بكرة كل شىء عداه . لايبالى من خاق لادارة السياسة بعلوم ماوراء الطبيعة مثلا ولا اللغات الميثة ؛ انما ^{كله} كلف بتعرف طبائع الناس وأساليب الحكم وفنون السياسة

ينصح الاخلاقيون لمن رزقوا صبيا كهذا ، ألا يعطوا ميوه ونزعاته والابرغموه على مالا تشتهى نفسه . وان برؤا فيه الرجل العظيم ، يتعهدونه بالمزيد مما يجب . اين يجد ذلك الصبى العظيم ما يريد من مزيد ؟ - فى ال كتاب . ؛ من درى أخبار من قبله اضاف اعمارا الى عمره . لاشك أن من درى علوم من قبله وتعرف تجاريب واختبارات سابقة ومعاصريه انفتق ذهنه ورأى الحياة على حقيقتها وعرف طبائع الناس ونظر من خلال ذلك الى المستقبل نظرة صادقة . فاذا كان مع هذا كريم الطبع متين الخلق ، محبا للخير ، عاش لعمل الخير وكان عظيما . يقول اصحاب فكرة التدريب . يجب مران الصبى على ثلاث خلال النظرة الصادقة ، والفكرة الحكيمة والارادة الحازمة .

النظرة الصادقة مشاهدة الشيء أو الحادث على حقيقته من كل نواحيه وجميع مايتألف منه ومقدار كل عنصر من عناصره ، ماهيته ، قوته ، أثره . ولا يمكن أن يتوفر هذا بصبي حرم النظر الدقيق والمرشد الامين .

والرأى الحكيم ان يعالى الصبي مايرى وينظر الى ماينهى اليه . المقدمات والنتائج ، يتبين الفاسد منها والصحيح ، الوهمى والحقيقى ، اثر كل منهما . وكان يمكن أن يعطل حدوثه أو يفسد نتيجته . وما جاء عرضا وما جاء قصدا . وما فيه من عمل الانسان وما فيه من عمل للظروف ؛ كيف نما ؛ كيف نم . ومتى راض الصبي نفسه على النظرة الصادقة والرأى الحكيم فلا يعوزه سوى الارادة .

هل يمكن تربية الارادة ؟ . ان كتاب « بايو » فى تربية الارادة خير يحسن نقله الى اللغة العربية . حقيقة ان كلامه عن الحرية الشخصية المطابقة ليس مما يقنع العلماء الا أنه من الخير للانسانية أن تعتقد تلك الحرية . أما القول أن الانسان مسير لا ارادة له على الاطلاق فليس من المصلحة فى شيء . الحقيقة ان الانسان ليس حجرا يرمى به فى كل مكان ولا هو الله قادر على كل شيء . على أن القول فى ذلك لم يبين^{سنت} به بعد . ومن المنطق المعقول انه اذا كان لامر وجهان حق لنا أن تأخذ بالادنى الى المصلحة !

اذا كان هذا فليس الغرض من تربية الارادة جعل الانسان فعالا لما يريد . انما يراد بذلك ، انه متى توفر لانسان النظر الصادق والرأى الحكيم يتعين عليه أن يمضى فيما اراد بعزيمة صادقة لأعمال الجهاد ولا تعرف اليأس . لو ان انسانا تمس بهذه الثلاث النظرة الصادقة والرأى الحكيم والارادة الحازمة لما بقى بينه وبين أن يكون عظيما سوى أن تظهره الظروف أو يرزق الحيلة لاطهار نفسه يقولون ان لكل عظيم سواس تقدموه الى ما قصد له . يريدون اشباه العظماء أو انصاف العظماء الذين يبدو لهم الغرض السامى يهمون اليه وهم أقل من أن يدركوه فيسقط البعض فى الطريق ويضل البعض السبيل السوى . يأتي بعد

هؤلاء الرجال العظيم يدرس خطط سيرهم ويدرس مواقع أخطأهم يتخير اهدى السبيل الى غايته . فاهم عليه بذلك فضل التقدم وان لم يبلغوا شأوه .

وتقول اذا كان هؤلاء السواس فضل على العظماء ، افلا يكون للعظماء انفسهم الفضل بعضهم على بعض بما يقدم المتقدم منهم اللاحق من قدوة صالحة ومثل اعلى ؟
الم تترسيرة اسكندر النخوة في صدر يوليوس قيصر والم تتر سير عظماء

اليونان والرومان النخوة والمروءة لو الفضل في نفوس عظماء العالم حتى اليوم : ؟
لم أكن لا قدم على نقل سير هؤلاء العظماء الى اللغة العربية على ما بنى من ضعف لولا الرغبة في لفت انظار مواطنى الافاضل الى هذه القدوات الصالحة واستشارة نخوة الشباب الناهض الى العظام يخدمون بها الله والحرية والوطن
الفضل في ظهور هذه الترجمة

يرجع الفضل كله في ظهور هذه الترجمة الى مروءة صديقي الفاضل الاستاذ اسماعيل بك مظهر صاحب مجلة العصور ومطبعتها . لذلك ارجو اليه أن يتفضل بقبول شكري واحترامى لاحرم الله الادب من امثال الفضلاء .

ميخائيل بشاره داود

العضاء

- ٩ — بلوطرخوس — مقدمة بقلم فيثمان
- ٢٠ — تيزيوس
- ٤٦ — رومولوس
- ٧٨ — الموازنة بين تيزيوس ورومولوس
- ٨٣ — ليكورجوس
- ١١٧ — نوما
- ١٤٢ — الموازنة بين ليكورجوس ونوما
- ١٤٩ — صولون
- ١٨٢ — بوبليكولا
- ٢٠٤ — الموازنة بين صولون وبوبليكولا
- ٢٠٨ — تيميستوكل
- ٢٣٨ — كامب
- ٢٨٧ — بركلس

بلوطرخوس

بقلم

فيلهارد

قال مونتني (١) : لو أن بلوطرخوس كتب لنا شيئاً عن نفسه لكان استمتاعنا بمؤلفاته أعظم ، وإدراكنا لمعانيها أوضح ، وأثرها في نفوسنا أقوى .
ومن لاشوقه معرفة حياة ذلك المصور التقدير الذي أبرز لنا صور العطاء ، وأطلعنا على دخائل نفوسهم في أبداع تصوير وأدق بيان ، ليعرف ما انطوت عليه مؤلفاته من خبرة وتفكير . تمنى مونتني أن يعلم عن بلوطرخوس ما أعلننا هذا عن أوائك العطاء من التفصيلات المحككة والحالات الملمية الدقيقة ، التي تظهر آثار الطبيعة البشرية في التاريخ .

لئن أعجبنا بما في وصفه الدقيق من رقة وانسجام فان ، لأسلوبه في الموازنة بين العطاء خطره في الكشف عن شخصياتهم أو هي قبسات من العلم والفلسفة يرسلها عليهم في تفكيره الهادي .

لنا في حوادث العصر الذي عاش بلوطرخوس في ظله ما يزيدنا معرفة بحياته الشخصية . انك لتعجب كيف نبغت تلك النفس الحرة الأبية في تفهم فضائل الجمهورية تحت نير الاستبداد والظلم الذين جعلنا « اليونان » خاضعة ذليلة لحكم روما ؛ حين كان « دومتيانوس » يستذل روما ويستبدها .

ان فلسفة بلوطرخوس عديدة المنابع ، شهدت تدهور فكرة تعدد الآلهة . وجهود جماعات من اليهود واليونانيين مبشرة بدين مقدس جديد ينطوي على أسس مبادئ الحكمة القديمة ويستمد الكثير من فلسفة أفلاطون ومبادئ الرواقين وكثير من مبادئ الجمهوريات القديمة كالاشتراكية والديمقراطية (الشعبية) الاخوية .

ان بلوطرخوس لا شهر كتاب العصور القديمة ، واسمه أكثر الاسماء دوراناً على

الالسنة، وذكروه أوفر شيوخاً بين الناس . ولد في مدينة « شارونة » الصغيرة من أعمال « بيوتى » التي اشتهرت بانتصار فيليب واستعباد اليونان .

لا نعرف بالضبط تاريخ ميلاده، ولكن قال عن نفسه أنه كان يتلقى العلم في « دلقى » على أمنيوس أثناء سياحة نيرون في اليونان . وعليه يمكن القول بأنه ولد في آخر عهد « كلوديوس » أى في منتصف القرن الأول للميلاد . وهو سليل أسرة شريفة توارثت الميل الى درس العلوم والآداب وقد شهد في طفولته والده وجدده ووالد جدده ، ونشأ تحت تأثير العادات والاخلاق القديمة في ظل هذه الأسرة الهادئة التي أعانتها نوعاً ما على التمكن من ذلك الملق الرضى والمواطف الاجتماعية المحبوبة الظاهرة في مؤلفاته . رسخت في حفظته ذكري والد جدده « نيكارشوس » وما كان يلهج به ذلك الشيخ من وصف الولايات التي صبت على اليونان أيام حكم انطونيوس أحد اعضاء الحكم الثلاثى في روما . وحر و بهضداً وكما فيوس حين اجتلب القتال الى مياه بلاد اليونان فأرهب الاهالى بما كان يطلب من الامدادات وتكليفهم حمل الغلال على أكتافهم لتموين سفنه . وكذلك يذكر بانخير جدده « لمبرياس » معجباً بفصاحته وخياله البراق وانتماش روحه . يروى عنه قوله والكأس في يده بين جماعة من صحبه العبارة التالية يتبع القول بالعمل . « ان الحجر تعمل بالعقل ماتعمسه النار بالبخور ، تأخذ منه أزكى وأطيب جزء فترسه بخاراً » .

كان بلوطرخوس كثير المفاخرة بوالده لما كان عليه من فضل ووقار ومعرفة بالشؤون الدينية والفلسفة والشعر . يذكر له مع الاحترام طائفة من النصائح والارشادات القيمة تلقاها عنه أيام طفولته .

كان لبلوطرخوس أخوان يجهما حباً جماً . وقد تلقى في مدرسة أمونيوس التي دخلها صغيراً حيث تعرف بأحد أحفاد تمستوكل ، العلوم الرياضية والفلسفة ، ولا شك في أنه تخرج في الآداب على أساتذة مهرة . وأثر الشعر ظاهر في مؤلفاته يظهر أن مواطنيه عهدوا اليه بالرغم من حداثة سنه القيام بمفاوضات مع المدن المجاورة ، فقاد هذا المسعى الى روما التي كانت حينذاك محط رحال البارعين من

صناع اليونان وفلاسفتها طلباً للشهرة والثروة ، سواء أكان ذلك باتصالهم بأحد من كبار رجالاتها ، أو باعطاء دروس خصوصية علانية في الفلسفة والبيان . ولم يهمل بلوطرخوس ولا شك هذا المقصد في سبيل الشهرة ، فقد قال عن نفسه أنه « لم يجد مدة اقامته في ايطاليا متسعاً من الوقت لدرس اللغة اللاتينية لكثرة ما كان لديه من المهام العامة المسكف بأدائها ، عدا مباحثاته في فنون الفلسفة مع العلماء الذين كانوا يأتون لاستشارته وسماع أقواله . وكان يخاطبهم بلغة بلاده جرياً على ما حرص عليه اليونانيون حينذاك من حمل الفاتحين على تعلم لغتهم وجعلها لغة الفلسفة والبيان .

من البين الواضح أن هذه الدروس العامة وتلك المحاضرات كانت أساساً لما نشره بلوطرخوس من المباحث الادبية .

كان فيلسوف شارونة (بلوطرخوس) يقوم في روما برؤية السوفسطائي . وكان هذا اللقب أصبح شائناً بحسبونه دليلاً على الانحطاط الادبي . ولكن كثيراً من النوابغ اضطلوا بهذه المهمة في روما وتما بهم شأنها وذاعت شهرة أصحابها ، فصاروا موضعاً للاضطهاد :

يعرف أن الفلسفة كانت في عهد امبراطرة الظالم والاستبداد ماجاً الحرية الوحيد بعد طردها من الفوروم (١) ومجلس الشيوخ . قضت الفلسفة فيما مضى على الجمهورية اذ لم تكن سوى شك معطل أساء العابثون إستخدامه ، ثم ارتقت بها الخصال فصارت أشبه شيء بعقيدة دينية تعتنقها النفوس القوية ولم يكن لأصحابها وتلك حالهم من حكمة يتعلمون بها كيف يمتثلون الموت . فاستحالت الفلسفة الى مذهب الرواقيين المعروف .

كان بلوطرخوس شديد العداء لتعاليم ابيكتور شديد الاعجاب والاحترام لافلاطون وتلميذه ، لاعتقادها بخلود النفس والعدل الآلى والخير وهي مبادئ ان كانت أقل طهارة وتقاء من المبادئ المسيحية ، فانها كانت آذية لأبهاض النفوس الشريفة

روى بلوطرخوس شيئاً عن عطاء الرومانيين الذين يحضرون دروسه فقال: بينما كنت التي درسي في روما وكان «أرولينوس روستيكوس» حاضراً وهو الذي قتاه دوتميانوس حسداً وغيره من مجده، دخل جندي أثناء الدرس وسلم اليه مكتوباً من الامبراطور، فتولانا الجرع ولزمنا الصمت ووقفت عن متابعة القراءة ولكنه أبى أن يفض المكتوب قبل نهاية المحاضرة واختتام الدرس.

وأرولينوس هذا هو الذي أطرى سجاياه تاسيتوس وبلينيوس الشاب بالاعجاب والاحترام، وهو صديق ترازياس وهافيدوس، فهو حقيق أن يغتاله الظلم كما اغتال ذينك العظيمين

ليس من المحقق أن بلوطرخوس أقام في روما حتى أصدر دوتميانوس أمره بنفي جميع الفلاسفة. ويزعم العلماء أنه كان يتردد على روما ولكنه لم يرحل اليها منذ بدءة حكم هذا الامبراطور، ومن المؤكد انه عاد الى وطنه نتيماً تحت تأثير حب الوطن ورغبته في امتاع مواطنيه بما اقترن باسمه من الاحترام والرعاية. ثم تزوج مختاراً من اعرق بيونات شارونة زوجة تدعى «تيموكين» وكانت نفسه فياضة بالعواطف العائلية الشريفة يرددها بين الحنو والحب. وقد احتسب في ابنين وابنة وهم في المهد نخلد ذكرهم في كتاب عزاء أرسله الى زوجته ينطوي على حقيقة الالم الذي يليق بالنفوس الزكية الراقية، مصوراً فضائل الزوجة والوالدة في كثير من الاخلاق القويمة والتخيلات الشعرية التي تحجب الينا مطالعة كتبه. والظاهر جلياً ان بلوطرخوس الذي وضع مؤلفاً في الحب الزوجي، وكان اول من روى لنا حديث (ابونين وساييوس) قد ذاق ذلك الحب في أصفى حالاته وأسعدھا. لذلك جاء بيانه وافياً مستفيضاً عن واجباته وبطولته

وفي مؤلفاته واقعة حل حقيقة بعصر اليونان الذهبي أكثر منها بعصر دوتميانوس الحديدى. وتفصيل ذلك، أنه شجر خلاف بين بلوطرخوس وبين أهل زوجته لا تعرف أن منشأه صلابة ن هؤلاء واصل أم مصالحة. ففرغت الزوجة الفتية لهذا الخلاف رخشيت أن يشار شرره، فيمس ماتنم به من ذلك الاتحاد الزوجي العذب، فألحت على رجلها في الذهاب الى جبل «هاليكون» وتقديم ضحية للحب

(الآله) الذى كانت لا تعتبره تعاليم العصور الخالية آله المحبين وحارس عهودهم وموائيقهم لا غير ، بل الآله الذى يمد سلطانه على جميع الروابط العائلية والعواطف وأنه الموكل بصيانة الوفاق والوئام فى العالم المادى . قبل بلوطرخوس القيام بهذه الرحلة المقدسة مع امرأته مصطحباً جماعة من أصدقائه وقدوا الضحية على مذبح الآله وعادوا بقلوب مطمئنة تحمل الحب والسلام ، وهما خير ما يوحى به الى الناس .

ان هذا لا يتفق وما رواه « أولوجل » من أن بلوطرخوس كان يؤدب خادمه بضربه بقضيب من حديد ، فرأى الخادم وهو يتوجع من شدة الألم أن يعيب على سيده القسوة ، فقال أن هذد الساعة القاسية تدل على قلة مافي نفسه من حب الفلاسفة ، وجهه به بكلام المؤلف البديع الذى كتبه ضد الغضب ، وأنه نسيه . فأجابه بلوطرخوس فى هدوء وسكينة أنحسبني غاضباً لأنى أعاقبك ؟ هل تبدو على وجهى علامات الغضب ؟ هل بدرت منى كلمة مخجلة ؟ هذه علامات الغضب الذى نهيت عنه الحكماء . ثم التفت الفيلسوف الى الجلاد وقال له . (على رواية أولوجل) « استمر فى عملك لا يعرقلك حديثى مع هذا الرجل . » ويقول لنا بلوطرخوس نفسه فى ذلك أنه لم يكن على شىء من ذلك الصبر ولا هذه الخدمة . قال « حدث مراراً أنى غضبت على عبيدى ولكنى رأيت أخيراً أن الأليق بى هو أن أدع تسامحى يفسد أخلاقهم ، لا أن أدع الغضب يفسد أخلاقى ، وأنا أعالج اصلاحهم . »

وحرى بنا أن نعتقد صدق هذا القول الذى يتفق تمام الاتفاق مع طبيعة حسن الرعاية والخلق السامى الذى يبدو جلياً فى مؤلفات بلوطرخوس حتى يشمل الحيوانات . وهل يستطيع من يقول أنى لأرضى أبداً أن أبيع ثوراً هرم فى خدمتى ، أن يهزأ بتعذيب عبد ؟

كان بلوطرخوس شديد الاهتمام بشؤون وطنه ، شديد الغيرة على مابقى لمواطنيه من ظل الحرية فى عهد السيادة الرومانية . وكان يدعوهم الى تسوية مشاكلهم أمام حكاهم الوطنيين دون أن يلجوا الى القنصل أو الحاكم الرومانى . وليكون لهم قدوة صالحة ، تولى بنفسه جميع شؤون بلدته (شارونة) التى تركتها روما للاهالى .

لم يكن حاكماً يشغل أرقى مناصب المدينة لا غير، بل بقي زمناً طويلاً يؤدي عملاً حقيراً بكل ماله من دقة وانشراح. وكانت ذلك رقابة عمل عام يوجب عليه قياس الترميد وقيده ما يقدم إليه من الاحجار. وهذا لا يتفق مع ما زعمه بعض القدماء من أن بلوطرخوس نال شرف تعيينه قنصلاً في عهد تراجانوس. يكذب سويداس راوي هذا الخبر، أمران: الأول عدم ورود ما يدل عليه في صحف التاريخ. والثاني: ما هو معروف من عادات الرومانيين.

وروي آخر أنه كان معلماً لتراجانوس وليست هذا الرواية وأصدق مما تقدمها. وغاية ما حدث أنه أهدى إلى هذا الأمير مؤلفاً. ولكن بلوطرخوس تولى على ما يظهر منصب كاهن أبولون عدة سنوات وقد وردت في أحد بحوثه العبارة الآتية « تعلم أنه قد مضت عدة سنوات وأنا أمارس كهانة أبولون، ولا أظنك تقول لي كفى يا بلوطرخوس، لقد مارست الصلاة كثيراً وطفقت بالموكب المقدس كثيراً وأدريت حفلات الرقص حول المذبح كثيراً وقد أصبحت شيخاً كبير السن وقد حان الوقت لتخضع عن رأسك التاج لتقدمك في العمر» وقد انضم بلوطرخوس وزوجته إلى « أخوية باكوس » وهي اجتماع سرى كانوا يدرسون فيه تعاليم الاعتقاد بخلود النفس وثواب الآخرة وعقابها

لا نعلم بالضبط تاريخ وفاة بلوطرخوس. ومن المحتمل أن يكون قد مارس الفلسفة حتى كبر كما يؤخذ من مؤلفاته وما تضمنته من النكات إننا لنتمثله شيخاً امتلاً أياماً وخبرة، وقف من قومه موقف المعلم الخبير يروي لهم أخبار اليونان القديمة وأعمال أبطالها. يتدفق من فمه ذلك البيان الغزير وتحيط به تلك الهيبية الوقور وتعلو وجهه تلك السداجة الرقيقة التي نعجب بها كلما تلونا مؤلفاته

ان مؤلفات بلوطرخوس بسعتها واختلاف موضوعاتها لا كبر مسوعة للحوادث والذكريات والأفكار التي وصلت إلينا عن العصور الخالية. لأنها جاءت في عصر انحطاط علمي وفني. إلا أنها جاءت عظيمة في أسلوبها وعباراتها يأتس مطالعها ببلاغة اليونان القديمة وبتسمع بيانها في كل عصر من العصور فلا تختلف عنها

عبارة بلوطرخوس الابما طبعت به عباراته من السذاجة والزرقة والجودة ، اذ كان خياله يحمله الى عصر كل من الاشخاص والاشياء يحدثك عنه

لا نقول أن جميع مؤلفات بلوطرخوس في مستو واحد من حيث الفن والموضوع . ان من مؤلفاته الأدبية ما لا يستحق الذكر وليس به سوى فلسفة عامة . وكان هذا أثر الشباب أو السفطة التي أطالت معه أجل العيوب الى سن الكبر . على أنا اذا رجعنا الى زمن تأليفها عامنا أنه لم يكن ليكتب ما كتب لو لم يكن على شيء كثير من المهارة والذوق السليم ، نهض به عن الاسفاف الذي كان عاماً حينذاك . هذا عدا ما كان مطبوعاً عليه من الصفاء الطبيعي والتزام الحقيقة . ولا جدال في أن أجل مباحثه لم يعد في جوهره الفلسفة اليونانية ولم يعمل بها سوى أن نلخصها مع فضاه في اجادة صياغتها وأحكام سبكها وطبعها بطابعه النفسى ، حتى جاء ما نسقه منها غريباً في بابه .

لئن كانت مؤلفاته الأدبية لا تنطوى على شيء مما تسمو اليه تعاليم الرواقيين ولا خيال أفلاطون وحماسته ، فانبأ تملأ النفس شجاعة واقداماً على العمل ، إذ تستند الى الوقائع ، زينها تصوير متقن وتشبيه حتى يخاطب القلب والعقل معاً . ولقد سما بلوطرخوس بمحاضراته الصغيرة الى مقام المؤلفات القيمة التي كانت نواة صالحة لأعظم الكتب ، كما كان بحثه في التربية أكبر معين لروسوفيا احتواه كتابه الشهير « أميل » من الآراء السامية والعبارات البليغة . لم يرد في مؤلفات بلوطرخوس الأدبية على وفرتها ذكر المسيحية . على أن « بليانيوس » يقول أنها كانت في ذلك الوقت قد انتشرت في اقليم « بونت » المجاور لليونان حيث أقام كثير من المسيحيين ، وكانت المسيحية قد نفذت من زمن بعيد الى أثينا وغيرها من أحط بقاع اليونان مدنية

ولقد أثار الدين المسيحي في روما ذلك الاضطهاد الفظيع الذي أشار اليه تاسيتوس في غير اهتمام . على أن اشارته جاءت شهادة صريحة . لان دومتيانوس الذي اشتدت قسوته أثناء اقامة بلوطرخوس في ايطاليا على الفلاسفة ، أهلك سرا كثيراً من تلاميذ الدين الجديد . لان الاقتناع القوي والايمان الذي يثير الحمية يقضيان

مضاجع الظالمين • ان الفيلسوف أمونيوس الذي تلقى بلوطر خوس عنه العلم ،ولد
بالاسكندرية وهي موئل المسيحية .فذا لم يكن قد اعتمقها فهو على الاقل مضطرب باستمرارها
ومن المدهش أن بلوطر خوس الذي كان يعني تلك العناية الدقيقة بأخلاق
الناس وأراهم لم يأت بكامة عن دين تكلم عنه لوسيانوس بعد سنوات بتلك الابهجة
المررة التي تشعر بغيرة وحسد السوفسطائيين الذين قضت عليهم تلك السلطة الجديدة .
(سلطة المسيحية)

فهل كان بلوطر خوس يجهل هذه الحوادث وهي على مقربة منه ؟
لقد أشار العالم الاخلاقي الكبير « سنيكا » اشارة غير مقتضبة الى ما أذاق
المسيحيون من عذاب . أفلم يلاحظ بلوطر خوس شيئا من ذلك مع أنه كتب بعد ذلك بثلاثين
سنة ؟ لنا في حياة فيلسوف شارونة جواب ما نتسائل عنه • لقد عرفناه شديد الحرص على
اخلاق اليونان القديمة وآدابهم وكان والده وثنيا تقيما عالما بالاسرار القدسية ، وكان
كثير العناية بشعراء اليونان وفلاسفتهم وعظماهم وكان يؤدي بكل دقة وظيفته
الكهانة ولم يزر يونان آسيا ولا سورية ، واطمان الى سكنى بيوتيا حيث كان للدين
من سداجة الاخلاق ما يصونه • فلا موضع للدهشة اذا رأيناه قليل الاهتمام
بدين جديد يحرص أصحابه على كتمان تعاليمه وكتبه المقدسة • وكأنه لم يكن يعلم
شيئا كثيراً عن اليهود ، فلم يذكرهم الا بالسخرية من حرصهم على يوم الراحة
(السبت) ولم يذكر عن دينهم سوى خرافة شائمة رواها تاسيتوس • فهو بطبيعته
وميله رجل العصور الماضية ينظر الى العادات القديمة نظر الرقيب الساذج . لهذا
لم يعبأ بلوطر خوس بذلك الحادث الديني الخطير الذي انتشر خفية في جميع أنحاء
العالم وهو الحادث الذي نظر اليه بلينيوس وتاسيتوس بذلك الآباء الروماني المتراوح
بين السخرية والقسوة •

لا شك في أن مؤلفات بلوطر خوس الفلسفية خلاصة عظيمة لجميع ضروب
الحكمة القديمة . ولكن مؤلفه في سير العطاء له فوق ذلك ميزة جلي • انه يصور
الطبيعة الانسانية بسداجة بلغت غاية الابداع فتري في أسلوبه عامة ، شيئاً من آثار
ذلك البيان الخلاب المستعار من مدارس السوفسطائيين في بلاد اليونان وروما

أطلق بلوطرخوس على مؤلفه العظيم اسم انتقابات أو الموازنة بين سير العظماء. أراد بذلك تدوين موجز من سيرة عظيم يوناني يتلوه آخر من الرومان، ثم يقابل بين الرجلين ويزنها بميزان واحد. أفلا يذكرنا هذا التعسف بنظريات المدارس الخيالية وتلاعب أصحاب البيان؟

وهل إنجد في التاريخ تلك العلاقات أو أوجه الشبه التي تقتضيها التريجة الخطائية لتوازن بين خطي عظيمين؟ ألا تمتنع علينا الدقة اللازمة إذا حاولنا التقريب بين طائفة كبيرة من العظماء؟ ألا يكون الكاتب مضطراً للاختلاق ليجد سبيلاً للمساواة أو التكلف لإظهار الخلاف؟ وهل يمكن ألا يقع الكاتب في التكرار والترديد متى يتعمد رغم التاريخ إيجاد مشابهاً مستمرة عند ما يحشر عظماء شعبين في دائرة ضيقة كهذه؟ قد يكون المبرر الوحيد الذي حمل بلوطرخوس على ارتكاب هذه المشقة، هو أنه يوناني يشعر بأن وطنه تحت سيادة الرومانيين فوجد من العزاء أن يحدد مجد الفاتحين بالمقابلة بين كل عظيم منهم وبين آخر من أئمتهم أرض وطنه

لقد عد المدققون من العلماء على بلوطرخوس كمؤرخ غلطات كثيرة وانهموه لا بل أثبتوا عليه اهمالاً وخطأً في الوقائع والأسماء والتواريخ كما اثبتوا عليه التناقض في أقواله وعدوا عليه أخطاء يراها الناقد المدقق مما يشين المؤرخ. ولكنهما لا تنفي شيئاً من نبوغه وعمق ريته

لقد اعترف بلوطرخوس رغم كثرة ما كتبه عن روما أنه لا يجيد اللغة اللاتينية. ومن المعلوم أن التدقيق التاريخي في العصور الخالية كان كثير العناء صعباً لا ضابط له. أما الآن فإنا بفضل المطابع والصبر الطويل قد تيسر لنا جمع النصوص والآثار فأصبحنا أخطاء القدماء أنفسهم. ومع كل فإى خطر من قول بلوطرخوس أن تولى ابنة شيشرون لم تزوج سوى مرتين وأنه نسي كراسيب؟ وأي خطر من خطئه في اسم شعب أو بلد أو أنه حرف بعض عبارات «تيت ليف». إن هذه الاستكشافات العلمية لا تمس جمال ما رواه المؤرخ. قد يدهشنا تناقضه في أقواله إذ يروي لنا في سيرتي عظيمين قصة واحدة بأسماء واحوال

مختلفة متباينة . لا يؤخذ من هذا سوى أن الكاتب كان خطاياً أكثر منه تقادراً . وانه كان أكثر اهتماماً بالتصوير النفسى ودروس الحكمة منه بالتفصيلات ودقائقها . على أن هذا الاسلوب كان شائعاً بين جميع كتاب تلك العصور .

لا يسعنا بالرغم من كل هذه العيوب سوى الاعتراف بأن ما كتبه بلوطرخوس عن العطاء هو من اكبر الآثار العلمية حتى من حيث التدقيقات التاريخية وانه آمن ما اهتدى اليه الباحثون من الآداب القديمة التى وصلت اليها مبتورة . فلولاً بلوطرخوس ما عرفنا كثيراً من الحوادث ولا أسماء الكتاب . ولقد امتاز عدا ما كتبه عن عطاء اليونان بدقة وتوسع بأنه دون اعطاء الرومانيين كثيراً من الحوادث التى لم يأت بها سواه . لقد ذكر كثيراً من أقوال « تيت ليف » التى أبادها الزمن .

وكثيراً من المؤلفات اللاتينية التى قرأها وانفرد بنقلها اليها مثل خطب تيبيريوس غراكوس ورسائل كورنلى ابنته ومذكرات سيللا ومذكرات أغسطس الخ . الخ .

أبى النقاد الذين استدرخوا على بلوطرخوس أخطاءه أن يعرفوا له فضله منكرين عليه ما انطوت عليه رواياته من البلاغة مدعين عليه أنه مؤلف بمعنى (ناقل ماهر) لامصور بليغ ، وانه نسخ أجمل عباراته عن غيره من المؤرخين . وهذا النقد غير وجهه . فقد رأينا بلوطرخوس عند ما تعرض له حاجة الى التمشى مع تيوسيديد

أودودوروس أو بوليبيوس أو ترجمة شىء عن تيت ليف وسالوست ، يطبع ذلك بطابعه الشخصى فمن أقواله فى سيرة تسياس أنه يأسف لاضطراره الى معارضة تيوسيديد وان يبدأ عملاً سبقه اليه ذلك الاستاذ العظيم . فلنعرف لبلوطرخوس

مجده فى الابداع المائل حتى فى أوضاع قصصه ومزجه بين السمو والسذاجة وفاق مواهبه وما تلقاه من العلوم الخطابية وسذاجة أخلاقه وعاداته الشخصية . كم اكبر العلماء ما أوتى بلوطرخوس من السحر والبيان فى سير العطاء وكم أفاضوا فى القول بين

التحديد والتحليل فى تلك القوة العجيبة . ولقد قال توماس أنه موتى اليونانيين وانه لم يبلغ شأوه فى نبوغه وجرأته فى ابراز افكاره وتخيل عباراته التى لم يسم اليها أحد الا قليلا من الشعراء

هل هذا الحكم عادل ؟ الا إن بلوطرخوس الذى سكنت ولانت حدة

لهجته تحت قلم أميوس الساذج المعتضب. قد سمحت كلماته الى أرقى درجات النبوغ والتخيل الانشائي . أية صورة أعظم وأى تمثيل حيوى أبلغ من صورة كور يولانوس في منزل اتليوس أو وداع بروتوس وبورسي وانتصار بول أميلوس ورحلة كليوبطرة على ظهر سدنيس وذلك المشهد المؤثر الذى تصف فيه كليوبطرة منحية على نافذة القلعة العصماء التى لجأت اليها تجهد نفسها فى التلويح الى انطونيوس المقهور الجريح تجتذبه اليها وهى تفتظره لتموت معه . وكم له من آيات فى الدقة والبلاغة والرصانة الحقيقية بالاعجاب . يضاف الى هذا التصوير البارع بساطة ، تلك التفاصيل الشخصية التى تكشف عن حقيقة الرجل عند وصف الوقائع ، فتبرز أعماق دوائله وتفضح صفائه

قد تكون هذه القدرة التى يعترف بها الجميع لبلوطرخوس سبباً لما وقع فيه البعض من غمط قدره وانكار روعة أسلوبه وبلاغة عبارته . على أن ما طبع عليه من البيان وتوخى الحقيقة هو الذى جعل له ذلك النفوذ العظيم على جميع أصحاب التخيلات الحادة . وهل تحتاج فى ذلك الى أكثر من ذكر شكسبير الذى لم تستمد قريحته الوقادة الحرة من أحد خيرا من بلوطرخوس المدين له بأعظم وأجل مشاهدته فى روايات كور يولانوس ويوليوس قيصر ؟ وهل خلا موتنى ومونتسكيو وروسو من أثر بلوطرخوس ؟ لقد تأثروا بأدبه ومشوا على ضوء ناره . ان براعة أسلوبه واختياره أجل المواضيع شأناً من حيث التخيل والتفكير جعلاً مؤلفاته التاريخية موضع اعجاب الجميع وعنايتهم . ولقد حذق تصوير الانسان وابرار الطبيعة الانسانية فى أعظم صورها وأجل أعمالها . ان بيانه لا يزول أبداً ، لأنه يلام كل سن وكل حالة من حالات الحياة تاذ الفتى والشيخ ، تبعث الحماسة وتعلمنا الذوق السليم

تيزيوس THÉSÉE

قد يقع عهد تيزيوس بين عامي ١٢٤٩-١١٩٩ ق.م

جرت عادة المؤرخين يا صديقي سوسيوس سينسيون (١) عند وصفهم الكرة الارضية أن يحدفوا من أطراف خرطهم البلاد التي لا يعرفون شيئاً عنها، ويررون عما هم هذا بقولهم « وبعد هذه الحدود مال قاحلة تسكنها الوحوش الضارية » أو (أنها مستنقع يغشاها الظلام) أو (صحراوات سيّتي) أو بحر تغطيه الثلوج « وأنى لمتف آثارهم فيما اكتسب في العظاء والموازنة بينهم . فبعد أن أمر بالازمنة التي تسمح الظروف بالكلام عنها، حيث التاريخ يستند الى الوقائع ، أقول عن العصور الخالية — « بعد هذه الحدود بلاد المعجزات والمآسى التي يسكنها الشعراء ورجال الخرافات حيث لاحقيقة ولا سند . »

لقد صح عزمي بعد ما كتبت عن الملك ليكورغوس المشرع ونيوما، على أن اكتب عن روهلوس، والكنى وقفت متمثلاً قول آشيل « أتمارز هذا؟ » من يستطيع مبارزة شجاع كهذا؟ ومن فيه الكفاية لنزاله . . . »

لاح لي أن مؤسس مدينة أثينا الجميلة الشهيرة حقيق بأن يكون له قرناً وأن لا بأس بالموازنة بينه وبين منشىء روما الجديدة . راجياً أن أوفق الى اخراج الخرافى من تلك الحياة وأميز جوانب الحقيقة وان أفرغ عليها الصبغة التاريخية فاذا جاءت بعد ذلك غير موضع للتصديق أو خائنتنى الحقيقة، فرجائى الى القراء أن يشملونى بصفحهم وأن يقابلوا هذه الرواية العتيقة بتسامحهم .

رايت تيزيوس وروهلوس متشابهين في غير موضع، ولد كلاهما خفية من زوج سرى، وعرف بأنه من أبناء الآلهة :

« كل منا يعرفهما، كلاهما شجاع قدير » (٢)

جماً بين القوة والحكمة وإنشاء أعظم مدينين في العالم روما وأثينا . انشأ

(١) يدعوه اللاتينيون سوسيوس ، تولى منصب القنصاية غير مرة في عهد تراياتوس

ومرة في عهد نيرون

(٢) من مقتطفات نشيد السبعة امام طيبة (اليونانية)

الأولى رومولوس، وأوجد الآخر أهالي الثانية . اختطف كل منهما النساء بلا فرق بينهما وعرفا نكد العيش والاضطرابات المنزلية وانتهت بهما الحال الى أن جلبا على نفسيهما بغض مواظبيهما، على ما جاء في الأحاديث التي وإن كانت خرافية، فإنها لا تخلو من حقيقة .

يمتد نسب تيزيوس من جهة والده الى أريخنة واللاتوختيين (الاهالي الاصليين) ومن جهة والدته الى بيلوت الذي كان أقدر ملوك بيلوبونيز وأوسعهم شهرة ، لا من حيث ثروته فقط ، بل من حيث كثرة أولاده . وقد زوجهم كثيرا من بنات أعيان البلاد ، وبث أبناءه في حكومة المدن . وقد أنشأ بتيوس جد تيزيوس لأمه مدينة ترازين (١) واشتهر بالعقل والحكمة . وكانت الحكمة المحترمة حينذاك على ما يظهر مجموعة مواظب أدبية من النوع الذي اشتهرت به قصائد هزيود في عبر الحوادث والايام . ومما ينسب الى بتيوس الحكمة الآتية

« قدر خدمات صديقتك حق قدرها »

وقد نسب ارسطو هذا القول اليه . ودلنا أوريبيد بقوله ان هيبوليت تلميذ القديس بتيوس ، على مقدار ما كان له من الشهرة وبعد الصيت لم يرزق ايجة ولداء . وكان شديد الشوق الى نسل . فاستوحت له الكاهنة (بتيا (٢)) فجاءها الوحي ينهاه عن الاتصال بامرأة قبل عودته الى آثينا فالتبس عليه معناه وأفضى به الى بتيوس عند مروره بمدينة ترازين وهذا نصه « أيها القدير مخضع الشعوب لا تحمل الساق الذي يخرج من الزق (القرية) قبل العودة الى آثينا . » فتأوله بتيوس على ما رأى ، لأنه جمع بعد ذلك اعتقاداً أو بعد نظره ، بين أتره ، وبين ايجة ، التي علم هذا فيما بعد أنها ابنة بتيوس . ثم داخله الشك في أنها

(١) مدينة في الاجوليد من بيلوبونيز

(٢) كاهنة الآلهة أبولون في دافي كان يتعين أن تكون عذراء ثم أر يد أن تكون في الحسين من عمرها وكانت تؤخذ من فقيرات دلفي من أحط أهلها نسبا ، جاهلة قليلة العقل وكانت قبل النطق بالوحي تصوم ثلاثة أيام تمضغ ورق الغار ثم يؤتمى بها فتجلس على أنثية موقد ذات (ثلاث قوائم) تتصاعد منه أنجرة كريمة ننتة شدة فيتولاها اضطراب شديد يعتبرونه من عمل الروح الألهي ويتلقى كهنه المهيكلي كلماتها بحرص وهم لا ينفكون عن تهديدها وأذاها كلما تأخر الوحي عن النطق ثم يأخذون هذه الكلمات ويعبثون بها شعرا من أقيح الاشعار يلتمون فيه الغموض

حبلي ، فترك سيفه وغطاء قدمه (تزلت) وأخفاها تحت حجر ثقيل في حفرة ولم يطلع على سره سوى أثرة وحدها وأوصاها اذا ولدت ابناً وبلغ أشده، وكان من القوة بحيث يستطيع رفع الحجر وأخذ ودیعة والده ان ترسله اليه حاملاً اشارات التعارف هذه. ولا تعلم أحداً بذلك وأن تحرص على هذا السر الخرص كله. لأنه كان يخشى مكر البلائديين (أبناء بلاسي الخمين) (١) الذين كانوا يحتقرونها لانه لم يخلف نسلاً سافر ايجة ووضع اثرة ابناً يقول البعض أنه دعى لوقت تيزيوس (كلمة يونانية معناها وضع أو اعتراف بابن) اشارة الى اشارات التعارف التي تركها والده ويقول البعض انه دعى بهذا الاسم في اثينا بعد أن اعترف به ايجة ابناً له . تلقى تيزيوس العلم في منزل بتيوس عن حاكم يدعى ضونيداس يقدم له اليونانيون كبشاً عشية الاعياد التيزية علامة احترام وذكرى، هو أولى بها من سيلانيوس وبارهازيوس حفار تيزيوس ومثاله

كان لا يزال من عاداتهم الذهاب الى دلفي عند تجاوز سن الطفولة يقدمون للآله ابولون با كورة الشعر. ذهب تيزيوس ولا يزال مكان الحفلة معروف باسمه (تيزيا) ولكنه لم يخلق سوى الناصية كما كان يفعل الاوبيون (٢) على مارواه هوميروس وهذا سبب تسميتهم قص الشعر على هذه الطريقة (التيزية) وكان الاوبيون أول من اتخذها، لم يقلدوا فيها العرب كما زعم البعض ولا الميزيين . فقد كانوا شعباً حربياً يأخذون العدو عن كذب وقد برعوا في القتال اليدوي كما شهد بذلك ارخيلوكوس (٣) في اشعاره التالية

« ليست عندهم رماحة ولا جيوش عديدة »

« سلاحهم المقلاع عند ما يدبر » مارس »

« رعى القتال في السهل »

(١) كان بالاس شقيق ايجة وكان ابناؤه يعتبرون انفسهم ورتة عرش اثينا الشرعيين. وكانوا

يرقبون موت عمهم بذاهب الصبر

(٢) أهالي جزيرة اوريا من أهل تراسي يدعومهم هوميروس أصحاب الشعور الخلفية

(٣) شاعر ولد في باروس سنة ٧٠٠ ق م وهو مخترع الوزن المعروف باسم « ديب »

« والسيف عند اشتداد الملحمة »

« تلك هي الحرب التي برع فيها »

« المحاربون أصحاب أوبا »

كانوا يقصون نواصيهم حتى لا يمسك بها العدو ويقال ان هذا السبب هو الذي دعا اسكندر المقدوني أن يأمر قواده بقص لحى المقدونيين والحقيقة أنه من السهل أن يمسك بها المحارب عند القتال .

كتمت اتره زمناً طويلاً أصل تيزيوس وأشاع بتيوس أنه ابن بتيون الآله الخامى لمدينتهم والذي يقدمون اليه با كورة أشعارهم . وكانت شارته على عماتهم (نقودهم) ولما بلغ تيزيوس أشده ظهرت عليه مخايل القوة البدنية والشجاعة والشهامة جامعاً بين الحكمة والعقل فأخذته اتره الى مكان الحجر وأفشت اليه سر مولده وقالت له خذ شارات التعارف التي تركها والدك ونصحت له أن يرحل الى اثينا عن طريق البحر . رفع تيزيوس الحجر بسهولة ولكنه أبي أن يركب البحر الى اثينا بالرغم من إلحاح جده ووالدته . وقد ألحا عليه في ذلك لأن طريق البركان محفوظاً بالخطر لكثرة من كان يسكنه من اللصوص وقطاع الطرق

أنبت ذلك العصر كثيراً من الأشداء الاقوياء القادرين الذين لا يقهرون لبساتهم وشدة مراسهم ولكنهم بدل أن يستخدموا هذه الميزات في عمل صالح قصروا جهدهم على البطش والفتك والغدر والدعارة لم يستخدموا تفوقهم هذا الا لاشباع شهواتهم ونوراتهم ويستبدون ويظلمون ويقضون على كل ماتع عليهم أيدهم مقتنعين أن اكثر الناس لا يمدح الحياء والعدل والانسانية، الا لأنهم لا يجرأون على ارتكاب الظلم أو يخشون وقوعه على رؤوسهم . وكانوا يمتقدون أن هذه الفضائل لم تخلق للذين يتنازرون على سواهم بتفوق محقق

قد أهلك هرقل في طوافه كثيراً من هؤلاء اللصوص وأوقع الرعب في نفوس الآخرين فكانوا يهربون عند دئوه منهم غير مجترئين على الظهور أمامه فصار هؤلاء الاوغاد موضع سخرية . ولما نكب هرقل بقتله ايفيتوس انسحب الى ليديا وبقي هناك زمناً طويلاً في خدمة أومفال كفارة عن جريمته فتمتعت ليديا

بالسلام والطمانينة ولكن اللصوصية عادت الى الانتشار في أنحاء اليونان وطمع سبيلها من كل جانب اذ امنت شر من يقف طغيانها . لهذا كان من الخطر أن يسير الانسان من ييلوبونيز الى أثينا براً ولكي يقتنع بتيوس حفيده تيزيوس بالسفر بجرأ وصفله كلاً من أولئك اللصوص وما هم عاينه من بطش وقسوة على كل غريب ولكن قلب تيزيوس كان قد أولع من زمن بعيد بالشهرة الذائعة التي نالها هرقل ووضع اعجابه وكان يتبل بكليته على سماع كل حديث عنه ووصف لشخصه لا سيما اقوال من رأوه وسمعوا حديثه وشهدوا واقعه فكانت تبدو عاينه الانفعالات النفسية التي أحسها من عند تيمستوكل فدفعته الى القول (بأن انتصارات (أ كاليل) ملتيادس تحرمه النوم .) كذلك كان تيزيوس يحلم في نومه بحملات هرقل وبحس الغيرة والرغبة الشديدة في الاقتداء به والقيام بمثل أعماله . على انه كان من ذوى قربي هرقل . لانهما أبنا ابنا عمومة . ذلك ان اتره ابنة بتيوس والكمين ابنة ليسيدس وهذه شقيقة بتيوس وهي مثله ابنة هيودامى وبلوبس . لهذا كان يرى من العار الفاضح أن يقتفى هرقل آثار اللصوص يطهر منهم البر والبحر ، وان يحاذر هو خوض قتال يعرض له في سبيله . وكان يرى في هذا ما ينجل الآله الذي ينسبونه اليه . ويحججه أن يقدم لوالده الحقيقي سيفاً لم يصطبغ بالدماء وليس به أثر من شرف القتال . سافر على عزم ثابت الا يهاجم احداً بل يدفع بالقوة كل اعتداء . فاعترضه ، وهو يجتاز ارض ابيدور ، سفاح يدعى بيريفتس لا يحمل سوى زقاة (١) دعى باسمها (الزقاة) فاوقفه وسد عليه الطريق ، قاتله تيزيوس قتلته وقد سر باستيلائه على الزقاة وجعلها سلاحه يحملها على الدوام كما كان هرقل يلبس جلد الاسد فيرى الناس فيه هيئة الوحش الضارى الذي قتله . كذلك رأى تيزيوس انه اغتصب الزقاة وأنها اصبحت بين يديه سلاحاً لا يفل

واهلك في خليج كورنث سينيس ثاى اشجار الصنوبر (سعى بذلك لأنه ثنى شجرتى صنوبر وربط في كل منهما ذراع اسير وقع في قبضته ثم اطلق

(١) عصا ضخمة متينة متوية أحد طرفيها كانت سلاحاً في جميع العصور الحالية وأشهرها

الشجرتين فتمزق جسم الاسير) اهلكه تيزيوس على طريقته التي اهلك بها اسيره غير متعمداظهار القسوة، بل اراد ان يثبت ان الفضيلة تملو فنون الخبراء. كان لهذا الاصل ابنة جميلة تدعى بيريجين، رأت والدها ميتاً فهربت الى الادغال، وتعقبها تيزيوس في الغابات الكثيفة الملامى بالاشواك حيث القت بنفسها تصلى في سذاجة الاطفال لتلك الاشواك قائلة، لئن حتمها من انظار تيزيوس فلن تقطعها ولن تحرقها. ولكن تيزيوس ادركها ونادها بصوت جهورى واعدا اياها الا يمسيها بسوء، وان يحسن معاملتها. فاطمأنت الى وعده وخرجت من الغابة وقاباته وقد اولدها ابنا دعى ميلانيب، ثم خلعها على دايونة ابن ارتيوس من ايشالى، ثم خلف ميلانيب ولدأ دعاه يوكوس وهو الذى ذهب مع اويوس لانشاء مستعمرة في كاري ومن اجل ذلك كان البوكوسيون (نسبة الى والدهم) لا يحرقون البرموج (الهلينون) بل يكرمونه على نوع من العبادة

كان في كروميون خنزيرة يقال لها فايا وهي وحش صار شديداً القوة اُبت شهامة تيزيوس عليه أن يتجنبها في حين كان ذلك في وسعه، فتربص بها وقتلها حتى لا يقال انه لا يخوض القتال الا لدفع ضرره، اعتقاداً منه ان البطل لا يقا تل الناس الا ليدفع غائلة الاشرار، ولكن من الواجب عليه ان يهيج الوحوش الضارية ويعرض حياته للاخطار. ويزعم البعض ان فايا هذه كانت امرأة سفاحه فاجرة دعيت خنزيرة لسوء اخلاقها وتبذها.

وأهلك تيزيوس عند حدود ميغار، سيرون، اذ رمى به من أعلى الصخر الى البحر. و يروى عن هذا القاتك أنه كان يسلب الغرباء وأنه كان يجمع بين غلظة القلب والكبرياء يدعو ضحاياه الى غسل قدمه وبيناهم يغسلونها يرفض الواحد منهم فيلقمه في البحر. ولكن مؤرخى الميغاريين ينكرون ذلك. روى عنهم سيمونيد قولهم أن الميغاريين كانوا يشتغلون بالحروب، وأن سيرون لم يكن قاطع طريق ولا فاجراً عاتياً بل مبيداً للاشرار حامياً للذمار صديق رجال العدل والفضيلة وانهم يقولون في التمدليل على ذلك ان ابا كون كان اتقى رجل في اليونان وأن سيشرة السلاميني نال شرف المناصب الدينية في أثينا، ولا يجبل أحد فضائل ييسلة

وتلامون . وكان سيرون هذا صهر سيدشرة وحما أباكوس وجد بيبة وتلامون أبناء اندايس ابنة سيرون وشاركو . فهل يعقل أن يكون هؤلاء الفضلاء شركاء رجل شرير وأن يعطوه ويأخذوا منه أعز وأثمن ما ينال الانسان ؟ ويقول أولئك المؤرخون أن تيزيوس لم يقتل سيرون في رحلته الاولى إنما قتله بعد ذلك عند ما استولى على اليزيس التي كان يحتلها الميغاريون وطرد حاكمها ديوكلس . هذه هي المتناقضات التي تروى حول هذا الموضوع

ولما بلغ في مسيره اليزيس تغلب على سرسيون الاركادى وقتله ، سار منها الى أريمة التي لا تبعد عنها قتلى داماست بتمديده على سريه كما كان يفعل هذا الفاتك بضيوفه واقتداء بهرقل الذي كان يوقع بالمجرمين العذاب الذي أعدوه له . وهكذا اهلك يوزيريس وخنق انتة وقتل سيسنوى في معركة عنيفة وهشم رأس ترمير بوس ، فذهبت فعالته مثلاً ، والظاهر أن ترمير بوس هذا كان يهشم رؤوس المارة بأن يصدمها بمنزف . فكان تيزيوس يعاقب الاشرار بما كانوا يفعلون ويقضى عليهم بالعذاب الذي كانوا يذيقونه لغيرهم .

ولما وصل الى شواطى سيفيز استقبله رجال من أسرة بناليد بالتحية والترحاب فرجا اليهم أن يطهروه وبعد أن قاموا له بالتحايد المعروفة أنزلوه ضيفاً في منازلهم . وكانت هذه المرة الاولى التي قوبل فيها بالترحاب . ويقال أنه بلغ أثينا في اليوم الثامن من شهر كرونيوس المعروف الآن بشهر هيكابنيون (١) فوجد الاعمال العمومية مختلة لما كان قائماً في المدينة من الاضطرابات وكانت صحة ايجة معتلة لاضطراب شؤونه المنزلية وكانت ميده المنفية من كورنت تعمل الملك بالشفاء من ضعفه بالعقاقير . عرفت هذه المرأة تيزيوس فاضمرت له سوء عزمته على أن تقضى عليه قبل أن يعرفه ايجة . فأقنعت ذلك العجوز وكانت الخافوف تملأ صدره أن يدعو تيزيوس الى وليمة الضيوف حيث يدس له السم . حضر الوليمة على نية الا يبدأ هو بالاعلان عن نفسه لياتى التعارف من جانب والده وأراد أن يدلّه على نفسه باظهار السيف وهو يقطع اللحم المقدم به . عرفه ايجة وللحال قلب كأس السم ووجه

(١) بين يوليو وأغسطس .

أسئلة الى تيزيوس ولما أجابه حياه تحية ابنة، ثم اعترف به أمام جميع الاهالي فاستقبلوه فرحين لما عرفوا من قدره. ويقال ان السم انتشر في ذلك الحى الدلفى الذى تحيط به الاسوار الآن حيث كان يسكن ايجة ولا يزال العمود المربع الشرقى للميكل يعرف حتى اليوم باسم عمود باب ايجة.

كان البلانتيون لايزالون على أملهم فى الاستيلاء على ملك ايجة متى مات بلانسل فلما علموا أنه نادى بتيزيوس وريثاً له لم يهتموا أن ايجة الذى تبناه بنديون ولم تكن له صلة بأسرة اريختيد لم يكفه ان ملك داول حياته بل يريد ان يورث تيزيوس الملك من بعده. وما هو الا غرب مجبوراً بالنسب. فتأهبوا للحرب وقسموا الجيش الى فرقتين ليأخذوا العدو من ناحيتين . تقدمت الفرقة الأولى بقيادة الملك من جهة سفيت . وكنت الاخرى فى جرجتوس، وكان بينهم منادى من انيود يدعى ليوس افشى الى تيزيوس سر البلانتيين . فلم يضع الوقت سدى بل اسرع فالنصب على الفرقة الكامنة وباداها . ولما بلغ خبرها الفرقة التى يقودها باللاس لاذت بالفرار ويقال ان اهالى قرية بالين من ذلك العهد لا يزوجون ولا يتزوجون من الاينيوزين، ولا يذكرون فى مناداتهم تلك الكلمات المعروفة « اكويت ليوس » (اسمع أيها الشعب) اجتناباً للفظة ليوس اسم ذلك المنادى الخائن .

رأى تيزيوس مرانا لشجاعتهم واكتساباً لعطف الشعب ان يذهب لقتال ثور مارانون الذى أضر كثيراً بأهالى تيرابول فأخذه حياً . وبعد أن طاف به المدينة قدمه ضحية لابولون دلفى . ولا نزال ماروى عن « هيكله » والواجبة التى أدتها له خاليا من الحقيقة لأن اهالى الصواحي كانوا يجهلون فى معنى ايتدموا الى جو تيرا الهيكلية ضحية يدعونها الهيكلية . يكرمونها بها حركة ويدعونها من باب التصغير والتحبس هيكلين . مثل ما فوات هي عند ما استقبلت تيزيوس وكان اذ ذلك مازال حدثاً. تلك عادة المعجزة اذ يصغرون الاسماء تحبياً وقد اندرت ان تقدم ضحية لجويتر اذا عاد تيزيوس من الحرب منتصراً . ولكنها ماتت قبل عودته فاقام تيزيوس حفلة اعترافاً بفضل الضحية التى لتها .

هذه رواية فيلوخورس (١) .

وحدث بعد ذلك بقليل ان مندوبي مينوس (ملك كريت) جاؤوا يطالبون الالهة للمرة الثالثة بدفع مائة هدوا بتقديمه سنويا . وذلك انه لما قتل اندروجة ابن مينوس غيلة في الاتيك اضرم مينوس على الآثينيين حربا شعواء . وفي ذلك الوقت صبت الآلهة على البلاد شر الويلات من عقم ومرض ونضوب انهار فقال وحى ابولون لن يهدأ غضب الآلهة حتى يسترضى مينوس . فأرسلوا اليه المنادين يسألونه السلام فرضى على ان يرسل اليه الآثينيون مدة تسع سنوات سبعة أبناء وسبع بنات كل سنة . والمؤرخون على اتفاق في ذلك : ويقال في أفضع الروايات أن هؤلاء الابناء متى وصلوا الى كريت كان نصيبهم ان يزج بهم في اللابيرنت (البرياء او التيه) حيث يفترسهم مينوتور . او انهم يتوتون ضالين في ذلك التيه وهم يحاولون عبثا الاهتداء إلى مخرج . اما مينوتور فيقول عنه اوريبس انه « جسم مزدوج ومخلوق فظيع » ويقول ايضا « انه مزيج من طبيعتين ثور وانسان . » ولكن فيلوخوروس يقول ان الكريتيين ينكرون ذلك ويقولون ان التيه ليس سوى سجن لامشقة فيه سوى استحالة الخروج منه . يضيفون الى ذلك ان مينوس اقام احياء لذكرى ابنه العابا رياضية تكون مكافأة الفائزين فيها اولئك الابناء الذين يكونون في التيه . وكان الفائز في العهد الاول لتلك الالعاب أحد ندماء الملك وهو رجل يدعى توروس قاصى القلب فظ الاخلاق سىء الطبع يكثر الاساءة الى فتیان أثينا . وينكر أرسطو في مؤلفه جمهورية البوتيين أن مينوس كان يقتل أولئك الفتیان، ويقول إنهم كانوا يقضون حياتهم في الخدمة مستأجرين . وحدث أن الكريتيين ذهبوا وفاء لنذر الالبكار من أبناءهم الى دلفي فانضمت اليهم سلالات الاسرى الآثينيين فغادروا المدينة جميعا ولكنهم لم يجدوا في دلفي ما يقوم بأودهم فذهبوا الى ايطاليا وأقاموا فرق قمة يابيج، ثم عادوا الى تراقيا ودعوا أنفسهم بوثيين . ومن أجل هذا نحت بناتهم احدى أغانيهم الدينية بقولهن : « لنعد الى اثينا » .

(١) مؤرخ أثيني في القرن الثالث ق . م .

من الخطر أن يعرض الانسان لبغض طائفة تعرف صناعة الكلام وتحذق فنونه. فكم شنت المسارح على مينوس . ولم يغن عنه قول هزيود « انه أكبر الملوك » ولا قول هوميروس « انه نديم جوبتير » فقد تغلبت عليه حملة الشعراء وصبوا على رأسه من أعلى مسارحهم ألوان الموان وسجلوا عليه القسوة. ومما قالوا فيه إن مينوس مشرح الجحيم ولم يكن رادامنت سوى منفذ لأوامر مينوس جاء الموعد الثالث لاداء الغرامة ولزم عند ذلك اجراء الاقتراع عن آباء الاسر ذوى أولاد. وكان هذا مشار لتدمير الاهالى ضد ايجة يتبعونه بأنه علة هذالك النكبة وهو وحده الذى لا يناله نصيبه من الجزاء، وقد نزل عن تاجه لابن غير شرعى وانه لا يعنيه حرمانهم من أبنائهم الشرعيين. آلمت هذالك الشكاة نفس تيزيوس فاعتزم مشاطرة الاهالى نصيبهم فى هذه البلية. فقدم نفسه مختاراً للذهاب بلا اقتراع ، فأعجب الآثينيون بشهامته واكسبه الاخلاص حبهم . وقد الح ايجة على ابنه ان يعدل عن عزمه واكنه لم يستطع اقناعه لشدة مراسه واخيراً رضى له ذلك ومن ثم اقترع على الآخرين .

اما رواية هيلان نيكوس (١) فهى ان انتخاب هؤلاء الشبان لم يكن عن اقتراع بل كان مينوس يختارهم وكان تيزيوس اول من وقع عليه اختياره واشترط ان يقدم الآثينيون المركب التى تقلهم، والا يكون مع الشبان الذين يبجرون سلاح. وان تبطل هذه الغرامة عند موت مينوتور .

كان المعروف حتى الآن انقطاع الامل فى عودة هؤلاء الشبان لذلك كانوا يجعلون شراع المركب عند اقلعها اسود للدلالة على انهم يسيرون الى موت. مؤكداً ول كن تيزيوس طيب خاطر والده وملاً قلبه ثقة بتغلبه على مينوتور. فأمر ايجة للبحار بشراع ابيض واوصاه ان ينشر عند عودته اذا عاد ابنه سالماً وان ينشر الشراع الاسود ايدانا بوقوع النكبة . ولكن سيمونيدس يقول ان ذلك الشراع لم يكن ايضاً بل كان مصبوغاً بعصير زهرة العفص فى لون خضرة الاغصان وتعرف بصبغة الكرمس وهذه علامة النجاة من الموت .

(١) مؤرخ ولد فى ليسوس سنة ٤٩٥ ق . م . ولم يبق من آثاره سوى قطع منثور

يقول سيمونيديس ان بحار تلك المركب هو امارسياداس فيريكاسوس. واكن فيلوخورس يقول ان سيروس السلايينى اهدى الى تيزيوس بحاراً يدعى نوزينوس ونوتياً يدعى فيا كس، لان الآتييين لم يكونوا حينذاك يارسون الملاحه، وسبب هذا الاهداء ان مينيس ابن ابنة سيروس كان بين اوائك الفتيان . يؤيدون هذه الرواية بائمال الذى اصبه تيزيوس تكريماً لنوزتوس وفيما كس في فالير بالترب من هيكل سيروس ، وانهم يقيمون عيد البحارة تكريماً لهما .

ولما تم كل شى عذب تيزيوس بزملائه من بريقتانا الى هيكل دلفى وقدم عنهم للاله ابولون غصن الضراعة وهو غصن من الزيتون المقدس عقدت على رأسه شرايط من الصوف الابيض ، وبعد الفراغ من الصلاة البحر يوم ٦ مونيشيون (ابريل - مايو) وجرت لناث للعادة حتى اليوم أن ترسل البنات الى دلفى تضرع للآلهة . ويرغمون ان الآله امره وهو فى دلفى أن يتخذ فينوس (الزهرة) مرشدة يستعين بها فى سفره . كما يرغمون ان العنزة التى كان يقدمها ضحية انقلب تيساً لذلك لقبت الآلهة ايتراجس (تيسا) .

يقول اكثر المؤرخين والشعراء انه بعد نزوله الى كريت اولعت به اريادنة فاعطته ملغاً من انابيب وعلته طريق الخروج من التيه . وانه قتل مينوتور ثم ابحر عائداً مع اريادنة ورفوق . ويقول فيروسيديس ان تيزيوس حطم المراكب الكريتية قبل ابحاره حتى لا يلاحق به . ويقول داهون ان توروس قائد جيوش مينوس قتل أثناء المعركة البحرية التى وقعت بينه وبين تيزيوس عند الشاطىء لمنع السفر . ولاكن فيلوخورس يقول انه عند ما اتان مينوس الألعاب المعتادة لاقاه بها احياء لذكرى ابنة ، ثملى الطون جميع الأهل الى بعضهم توروس وانتصاه على جميع أقرانه . بغضه اليهم سوء أخلاقه عدا ما كانوا يتهمونه به من صلات غير شريفة مع الملكة « باسيفاية » ولهذا اذن مينوس راضياً لتيزيوس فى منازلته . ولما كانت عادة الكريتيين أن تحضر النساء هذه الحفلات وشهدت اريادنة القتال فتنت بجبال هذا الشاب الآيىنى وأعجبت بالمبارز الجرىء الذى بز جميع أقرانه وقد دهش له مينوس ذاته لاسيما عند ما رأى توروس مغلوباً على أمره يضحك منه الجميع

ساخرين . حينئذ سلم الفتيان الى تيزيوس ورفع عن مدينة أثينا تلك (المدينة) التي كانت تقدمها . تناول كليداموس هذا الموضوع من أعلى نواحيه . وذهب فيه مذهباً يخالف الجميع بشروحات مستفيضة . قال انه كانت هناك معاهدة بين جميع شعوب اليونان بحرم تجهيز مركب بأكثر من خمسة بحارة ماعدا جازون ربان المركب أرجوس الذي كُنَّ يجوس البحار ليطهرها من القرصان ، وحدث أن ديدال هرب من كريت الى أثينا على زورق فتعقبه مينوس في عدة مركب كبيرة بالرغم مما نصت عليه تلك المعاهدة . فألقت به العواصف على شواطئ صقلية حيث مات . سخط ابنه ديكالون على الآثينيين وطالبهم بتسليم ديدال مهدداً بقتل الفتيان الآثينيين (رهائن مينوس) اذا أبوا عليه مطالبه . فأجابه تيزيوس في لطف معتدراً بأن ديدال ابن عمه وانه من أسرته لانه ابن ميروب ابنة اريخمة وعمد في الوقت ذاته الى اعداد عمارة بحرية كبيرة أخفى جزءاً منها عند ثيموتادس في أتيكة بعيداً عن الطريق العام . وجزءاً عند تتيوس في ترزين ليجهل التسليح أمراً خفياً . ولما أعد عدته أبحر بقيادة ديدال ومنفي كريت . فلم يشك أحد في غرضه . وتوهمها الكريتيون عمارة أصدقاء . فاستولى تيزيوس على الميناء وأنزل جنوده وأسرع بهاجمة مدينة سنوس ونشب القتال عند أبواب التيه فهلك ايكالون وجميع رجال حرسه . واذ صارت اريادنة بوفاته صاحبة الملك استرضاه تيزيوس واسترد جميع شبان أثينا وعقدت معاهدة بين الكريتيين والآثينيين وأقسم هؤلاء ألا يعودوا للحرب .

وهناك روايات شتى عن اريادنة ولكنها لا تستند الى حقيقة تاريخية . يزعم البعض أن تيزيوس هجر اريادنة فشنقت نفسها يأساً . ويزعم البعض أنها بعد أن ألقها البحارة الى جزيرة باكوس تزوجت من أوتاروس كاهن باخوس وأن تيزيوس ضحى بها في سبيل غرام جديد .

« كان يهيج الهيام بحب أجلة بنت بابويوس » . ويقول هرياز الميغاري (وهو كاتب مجهول) أن بيزاسترات سلخ هذا البيت من أسفار هزيود وأضاف اليه ارضاء للآثينيين بيتاً آخر لهُو ميروس في مناجاة الأبطال .

« تيزيوس و بيرتيوس من أبناء الآلهة العظام . (الأوذيسية) » .
ويقول غير هولاء أن اريادنة رزقت من تيزيوس ولدين اونوبيون وستافيلوس .
هذا رأى يون من اهالى جزيرة خيوس (١) الذى يقول عن وطنه :
« المدينة التى انشأها اونوبيون بن تيزيوس » . وكل ما يروى من هذه الخرافات شائع
على الالسة . ولكن المؤرخ بايون (٢) (من اماتونت) اذاع عن هذه الحادثة
رواية تخالف سابقتها . زعم ان العواصف القت تيزيوس على شواطىء قبرص . وكانت
اريادنة حبلية . مذبذبة فانزلها الى البر . وفيما هو يستوثق لمركبه دفعته الرياح الى عرض
البحر . فأخذت نساء الاهالى اريادنة واجتهدن فى أن يخففن عنها آلام الوحدة
واطلعنها على خطابات مدعيات ان تيزيوس كتبها اليها . واكثرن من العناية بها عندما
اخذهن الى الموضع . ولكنها ماتت قبل ان تلد فأدين لها واجب الجنائز . عاد تيزيوس
بعده ذلك فحزن حزناً شديداً لموتها . وقدم الى الاهالى مبلغاً من المال لتقديم ضحية
أكراماً لذكراها . وأقام لها تمثالين احدهما من الفضة والآخر من النحاس .
وما زال يحدث فى التقدمة التى تقام فى الثانى من شهر جوربيوس (سبتمبر) ان
ينام شاب على سرير يقصد صراخ وتأوهات المرأة عند المحاض . وما زال يدعو
اهالى اماتونت الغابة المقدسة التى فيها مقبرة اريادنة غابة اريادنة —
فينوس الزهراء .

ولكتاب تاكسوس رواية اخرى . إذ يزعمون انه يوجد اثنان باسم مينوس
واثنتان بأسم اريادنة . الاولى تزوجت باخوس فى ناكوس وهى والدة ستافيلوس
والاخرى قزبية العهد ، اختطفها تيزيوس ثم هجرها فجأة الى ناكوس ومعها مرضعها
كورين وما زال قبرها شاهد . وقد ماتت اريادنة . هذه فى الجزيرة ولا تتفق
الحفلات التى تقام لهذه مع تلك . الاولى تقام بين البهجة والسرور . والاخرى
بمازجها الحداد والحزن .

غادر تيزيوس كريت ونزل الى دالوس وبعد ان قدم الضحية الى ابولون وقدس
تمثال الزهراء الذى اخذ من اريادنة ، رقص مع الشبان الاثينيين رقصة مازال

الدالوسيون يمارسونها وهي عبارة عن خطوات متوازنة تتجه وتتقابل في نواح مختلفة على مثال منحنيات وتعريجات التيه. ويقول داسبارك إن الاهالي يدعونها رقصة الكركي . وقد رقص تيزيوس هذه الرقصة حول سيراتون (القرن) وهو هيكل تتألف واجهته اليسرى من قرون الحيوانات، ويقال أيضاً إنه أقام حفلة لعب في دالوس وهناك قدم الى الفائزين سعف النخل . ولما دنا من أتيكا أنسى الفرح تيزيوس وبجارتة الشراع الابيض الذي من شأنه أن يبشر إيحة بالعودة السعيدة، فبلغ اليأس من إيحة أن رمى بنفسه من أعلى الصخر فمات لوقته .

دخل تيزيوس الميناء وأدى الضحية التي نذرها للآلهة في فالير عند سفره وأرسل المنادى يبشر المدينة بعودته فلقى المنادى أناساً يبكون وفاة الملك . واستقبله الآخرون بفرح عظيم وأهدوا اليه الاكليل جزاء البشري التي حملها اليهم . وأخذ الاكليل وطوق بها عصا السلام (١) ولما عاد الى البحر كان تيزيوس لم يفرغ بعده من أداء فروضه الدينية فبقى خارج الهيكل حتى لا يكدر التقدمة . وبعدها أعلن وفاة إيحة فاندفع الجميع الى المدينة منتحبين باكين . لذلك تراهم حتى اليوم في أعياد أوسخوفوريس يتوجون عصا السلام ذاتها، لا البشير . وعند نهاية العيد يصيح الجميع ايلوليوا - يو! - يو! - فالصيحة الاولى صيحة المهرولين الفرحين، والثانية صيحة الدهشة والاضطراب .

وبعد ما دفن تيزيوس والده أدى في السابع من شهر بيانيسيون (بين اكتوبر ونوفمبر) نذر لابلون لأنه يوافق يوم عودتهم الى أثينا بعد تلك الرحلة الموفقة . ويقال إن سبب غليهم الخضار في ذلك اليوم هو أن الشبان طبخوا في وعاء واحد كل ما بقى لديهم من المونة وأكلوها معاً . وهم يحملون في هذه الاعياد غصن زيتون مكسو بالصوف على ما كان يفعل المبتهلون حينذاك إذ يعلقون عليه باكورات الاثمار اشارة لانقطاع العقم من أتيكا وهم ينشدون الاشعار الآتية :

« يحمل الغصن تيناً وخبزاً مغدياً .

١ - عصا من شجر الصفصاف أو الزيتون في رأسها جناحان وقد التفت حولها حيتان متقا باتان . « اشارة السلام والتجارة » والحيتان رمز الحكمة والحيلة والاجعنة دلالة النشاط

« وعسلا في كوتيل (١) وزيتاً صالحاً للطعام .

« وكأساً من التبيذ الجيد يسرك وينيمك .

ويقول البعض إن هذه الأشعار كتبت تذكراً لما كان يقدمه الالينيون للهراكلين، ولكني تخيرت أكثر الروايات تقريراً .

أما المركب ذات الثلاثين مجدافاً التي ركبها تيزيوس ورفقه عادوا بها سالمين إلى أثينا فقد عني الالينيون بصيانتها إلى عهد ديتميروس دي فلير، وكان كما نخر من أخشابها جانب انزعده وأحكوا وضع جديد مكانه . ويذكر الفلاسفة هذه المركب في أبحاثهم عن طبائع الأشياء ، فمنهم من يقول إنها هي بذاتها، ومنهم من يقول أنها غيرها، أي مركباً أخرى .

وتيزيوس هو الذي أنشأ عيد أوسخو فوريس لأنه في الحقيقة لم يصحب إلى كريت جميع البنات اللواتي وقع عليهن الاقتراح ، بل انتار شابين من أصدقائه في ملامح البنات ، ولكن قلبيهما عامران بالشجاعة والحزم وجعلهما يستحمان بالياه الساخنة وأن يبقيا في الظل وأن يداك كما جسديهما ليحفظا نعومتها وترنص بشرتهما وأن يعطرا شعورهما ، ثم مر بهما على تقليد أصوات البنات وحركة من والبسهما ثياب النساء وغير من عاداتهما حتى صار من الخيال أن يذك الناظر اليها في جنبهما ، وتحت ثياب هذا التمدكر خاطبهما بالفتيات فلا يكونا موضعاً للظن . وبعد العودة قام هو وصديقه بموكب حافل مرتدين الثياب التي يلبسها اليوم الذين يحملون الأغصان المقدسة في هذا العيد . ويقال إنهم يحملون هذه الغصون تكريماً لبانخوس وأريادنة ! إشارة إلى أن تيزيوس ورفقه عادوا إلى أثينا إبان حصاد الأثمار . ويقوم (الديبنو فوربون) الذين يعدون هذه الحفلة بكل ما يعمل أثناءها بتمثيل أمهات الذين وقع عليهم الانتخاب . فيقدمون إليهم جميع ألوان الطعام ويقصون عليهم الكثير من الخرافات كما كانت تفعل الأمهات اللواتي كن يروين لأبنائهن القصص تعزية واحياء شجاعتهن . ويرجع الفضل في بيان هذه التفصيلات للمؤرخ

رامون . ثم خصصت قطعة من الارض لبناء هيكل لتيزيوس ، فأصر أن تقوم الاسرة التي فرضت عليها تلك الجزية بنقنات الضخيمة، وجعل الوكالة فيها لاسرة فيتالديس ، وهكذا وفي تيزيوس لتلك الاسرة بحرق الضيافة التي لقيها منها .

وبعد وفاة ايجة نهض تيزيوس بمشروع خطير مدحش وهو جمع أهالي الأتيك كلهم في مكان واحد ليجمع منهم شعباً واحداً في مدينة واحدة . كانوا قبيل ذلك متفرقين في قرى مترامية فيصعب جمعهم لمدولة في الشؤون العامة، عدا أنهم كانوا متنافرين يكثر وقوع الحرب بينهم طاف تيزيوس بنفسه بكل قرية وحادث كل عائلة يقنعها بقبول مشروعه، فلم يتردد متوسطو الحال والمفقر في قبوله . ولكي يستميل كبار النور وعدهم بإنشاء حكومة بلا ملك، تكون فيها الحكامة للشعب والا يبقى لنفسه سوى قيادة الجيش وصيانة القوانين . وأن يتمتع كل وطني بما يتمتع به هو من الحقوق فيما عدا ذلك فاقنع البعض وخشى البعض سلطانه الذي استفحل أمره وداخله أسوف من جراته، فأثر القبول راضياً خشية أن يكره على ذلك . فهدم أما كن الاجتماع والمجالس في كل قرية وأغنى محكمها وابتنى للجميع بعملاً واحداً وغرفة واحدة للمدولة وأطلق على المدينة والقرية اسم دو أئينا ، فكان المجتمع لجميع الاثنيدين . وأجرى النقدمة المعروفة باسم دو ماتوسي ، التي تقدم في السادس عشر من شهر هيكتونيوون (بين يوليو وأغسطس) ولا تزال حتى اليوم . ثم ربوعه فتنازل عن الملكية وعنى بتنظيم شئون الدلة ، وكانت العبادة أول همه . واليك ما أجابت به الآلهة رداً على سؤالاته منبئة بحظ المدينة

« ياتيزيوس ابن ايجة وابن ابنته تيزيوس .

« أراد والدي أن تتعلق كثير من المدن من حيث مصالحها وحظوظها بمدينتك .»

« فلا تجعل قلبك نهياً » للأفكار مثل القرية . فبالرغم من العذاب ستجتاز

البحار »

ويقال إن الرحي تنبأ بعد ذلك بزمان للمدينة بأن :

« تكوني كالقرية . تبتلين ولكنك لا تفرقين »

ورغبة في زيادة عمارية المدينة سن شرعة المساواة بين جميع من يرغبون سكنها . ويقال إن النداء المعروف (أيتها الشعوب تعالى جميعاً) هو النداء الذى استخدمه تيزيوس لجعل أثينا ملتقى جميع الأمم . خشى بعد ذلك أن يؤدي هذا التراحم الى اضطراب الجمهورية ، فقسم الشعب ثلاث طبقات : الاشراف والفلاحون والصناع . خص الاشراف بالمناصب الدينية والحكم وسن الشرائع وتأويل العقائد المقدسة ، وبهذه الميزات تساوت مع الطبقتين الاخرين ، امتاز النبلاء بمناصب الشرف ، والفلاحون بفوائد منتجاتهم ، والصناع بوفرة عددهم . وقال ، رسطوان تيزيوس أول من آثر حكومة الشعب وتنازل عن السلطة الملكية . وقد أثبت هوميروس قبله هذه الحقيقة لأنه خص الاثينيين وحدهم بلقب « شعب » عند تعداد السفن (الاياذة) ثم ضرب تيزيوس سكة (عملة) عليها صورة ثور قد يكون ذكرى ماراتون أو إشارة الى قائد جيوش مينوس ، أو انه قصد بذلك ترغيب الاهالى فى الزراعة ويقال إن هذه العملة سبب ما يدور على الألسنة من قولهم « ان هذا يساوى مائة ثور أو عشرة ثيران » .

ثم أنه وحد ما بين أتيكا والاراضى الميغارية وابط وثيقة العرى ونصب على البرزخ ذلك العمود المشهور وكتب على جانبيه العبارتين التاليتين بياناً للحدود البلدين . كتب على الجانب الشرقى « ليست هنا باليبلو بونيز . هذه يونيا . » وكتب على الجانب الغربى « هنا الباليبونيوز . وليست يونيا . »

اقتدى تيزيوس بهرقل فى انشاء الالعب . أقام هرقل الالعب الاولمبية تكريماً لجوبتير ، فطمح تيزيوس أن يقيم اليونانيون ألعاباً برزخية تكريماً لنبتون . أما الاحتفالات التى كانت تجرى فى هذا المكان فلما كانت تقام تكريماً للماليسوت ليلا ، وكانت أدنى الى تناول الاسرار منها الى عيد عام . ويزعم البعض أن الالعب البرزخية كرسست لسيرون ، أقامها تيزيوس كقارة عن قتله احدى ذوى قرباه . وسيرون هذا هو ابن كاتتوس وهانوشة بنت بتيوس . ويزعم البعض أنها كرسست لسينس لا لسيرون ومهما يكن من أمرها فقد اتفق تيزيوس مع الكورنثيين أن تكون لمن يحضرها من الاثينيين المقاعد الاولى وأن يكون لهم منها ما يسع ما يعطيه شرع السفينة تيورى منشوراً .

ثم قام تيزيوس برحلته الى (بونت اكسين) ويقول فيلاخوروس وغيره إنه راقب
هرقل في حملته على الأمازون (النساء المترجلات) وكان فوزه انتيوب جزاء
بسالته. ولكن جملة الكتاب ويدينهم فاراسيد وهيلا نيكوس وهارو دور، يزعمون
أن رحلته حدثت بعد حملة هرقل على سفننه الخاصة وأنه أسر الامازونة. وهذه
أشبه بالحقيقة لأن الرواة لم يذكروا عن سواه أسر امرأة مترجلة. ويقول بيون إنه
احتمال على أسرها. وذلك أن الأمازونات (المترجلات) صديقات الرجال
بطبيعتهم فلم تهربن عند نزول تيزيوس الى شواطئ بلادهن وأرسلن اليه هدايا للضيافة؛
فطلب الى المرسلة أن تنزل الى مركبه، فما كادت تنزل اليها حتى أقفلت سفينته.
كتب رجل يدعى مانا كراكث تاريخاً عن نيسة ونيتيني روى فيه أن تيزيوس
عند عودته بانتيوب قضى أياماً في تلك الربوع وكان في صحبة ثلاثة شبان أخوة
من أثينا وهم اينويوس وتوويواس وصولون، وقد أولع الأخير بحب انتيوب ولم
يغض بسرّه الا الى واحد من أصدقائه ولكن انتهى به الأمر الى مكاشفة انتيوب
بغرامه فانكرت عليه في لطف وحكمة ولم يشك أمره الى تيزيوس. ولما نيس صولوون
ألقى بنفسه في النهر ففرق. وعندئذ علم تيزيوس نبأ الشاب وما كان يمانيه من لوعة
الحب والألم، فأعادت هذه الحادثة الى ذاكرة تيزيوس وحى الكاهنة وهو الأمر الذي
تلتهاه في دلفي بأن ينشئ مدينة في أرض غربية حيث يشعر بالأم موجع وأن يتم
فيها صحبه حكماً، فأنشأ مدينة دعاها بيتوبوليس (اسم الآله) ودعا النهر المجاور
لها صولوون احياء لذكر ذلك الشاب. وعهد الى اخوى صولوون بحكم
المدينة. ومن لها شرائع وترك معهم هرمس أحد سكان أثينا وما زال أهالي
بيتوبوليس يطهون على أحد أماكن المدينة بيت هرمس؛ ولكن تحريفاً بسيطاً
في هذا الاسم جعله اسم إله لا اسم بطل

والظاهر أن حرب المترجلات لم تكن عن طيش ولا من أجل امرأة. هل
يمكن أن يعسكرن حول أثينا وينشرن القتال حولها، اذا لم يكن قد امتلكن
نلك الاراضي ثم أخذن في مهاجمة المدينة بتلك الجرأة؟ أما اجتيازهن البوسفور
على جليد من الثلج فليس مما يسهل تصديقه. ولكن تسمية جملة أماكن في أثينا

باسمائهن ، وتلك المقابر التي دفن بها من هلك منهن في القتال ؛ فدليل على أنهن قد
عسكرن في وسط المدينة

تردد الجانبان طويلا محجمين عن القتال ولكن تميز يوس عملا بمشورة الوحي قدم
ضحية لآله الخوف وبدأ الهجوم في شهر بوديروميون (بين سبتمبر و أكتوبر) في
ذلك اليوم الذي لا يزال الأثينيون يقدمون فيه القرابين ليهود يروميون . وقد قال
كليداموس في شرح هذه المذقة إن المترجلات بلغن المكان المعروف اليوم
باسمهن ونشرن جناحهن الأيمن في « حرزانيسه » وأخذ الأثينيون في مهاجمة
الجناح الايسر كما تدل على ذلك قبور القتلى التي لا تزال قائمة عند مدخل بيرة ،
فتقهقر الأثينيون متراجعين أمام المترجلات ، ولكن القوة التي هاجمت الجناح
الأيمن ردت العدو حتى معسكره بعد أن فتكت به فتكا ذريعاً وانتهى الأمر
من القتال بمقد معاهدة بين المتحاربين بواسطة أسيرة تميز يوس التي يقول البعض
إنها قتلت وهي تحارب بجانب رجلها ، وأقيم فوق جثتها عود هيكل الأرض
الاولمبية .

ولا غرابة أن تضطرب الروايات عن حوادث كهذه طال عليها القدم . الا يقال
اليوم إن الامازونة الاسيرة كانت تمهد سبيل النجاة لمن تقع في الاسر من
اخواتها ؛ وان قتلى الحرب دفن في الاماكن المعروفة باسمائهن ؟ وما أكثر ما يعدون
من مقابر تلك المترجلات في أنحاء شتى ؛ والظاهر أنهن لم يخترقن اراضى تساليا
بلا قتال .

هذا ما رأيت تدوينه عن حرب الامازونات ولكن أحد الكتاب ذهب
الى القول بأن اسيرة تميز يوس هي التي حرضت أخواتها على اقتحام تلك الحرب انتقاماً
لنفسها من رجلها الذي مال عنها إلى الزواج من فيدر ؛ وان هرقل أباد تلك المترجلات .
وهذه خرافة خيالية لا حقيقة لها لأن القائد الاثيني لم يتزوج من فيدر الا بعد
وفاة أسيرته وقد رزق منها ابناً يدعى هيبوليت أوديموفون . أما الولايات التي
عاناها من جراء هذه الزوجة الجديدة وابنها وأجمع على صحتها المؤرخون
والشعراء ؛ فلا ريب فيها .

ثم أقدم على الزواج من كثيرات لم يكن زواجه منهن على شرف ولا انتهى
بسعادة. وقد اختطف امرأة ترزنية تدعى انا كسو. وبعد أن قتل سنيس وسيرسيون
اختصب بناتهما. ثم تزوج من باريسة والدة اجاكس ثم فير بيه ديوبه بنت
ايفيكاس وعيب على زواجه من أجلة بنت بانوبيوس انها حملته على هجر عشيقته
اريدانة في ندالة ولوهم. ثم جاء احتطافه هيلانة التي عمت الحرب من أجلها جميع
اتيكا فكانت كما سترأ سبباً لنفيه وموته

يرى هيرودور أن تيزيوس لم يشترك الا في الموقعة التي دارت بين اللاتينيين
والنتوريين بينما كان لا بطال يقومون بمواقع حربية مشرفة. ويرى غيره بالعكس
من ذلك أنه رافق جازون في السكولشيد وانه باشتراكه مع ماليجر هزم خنزير
كاليدون وكان ذلك منشأ المثل المعروف « لا بد من تيزيوس » ويزعم له البعض
أعمالاً مجيدة وانه دعى هرقل الثاني. وانه كان عوناً على اكتشاف جثث اقلبي
الذين ماتوا وهم يقفون عند أسوار طيبة على غير ما رواه أوربيد في مأساته
« المتوسلات » التي يكذبها فيها اخيلوس في مأساته (الاليزيون) وكان ذلك
على أثر قتاله مع الطيبين الذين تمكن من اقناعهم بعقد هدنة وهذه اصدق رواية
وكانت هذه أول هدنة عقدت لدفن القتلى واكن المعروف عن هرقل أنه كان
يرد جثث القتلى الى أعدائه ؛ على ما رواه تيزيوس نفسه

أما حكاية صداقته مع بيريتاوس فذلك أن هذا أراد امتحان شجاعة
تيزيوس الذي ذاع صيته فأختطف قطيعاً من ثيران ماراتون ولما علم أن خصمه
يطلبه ثبت رابط الجأش فلما وقعت العين على العين امتلأت نفس كل منهما
اعجاباً بالآخر وأخذ كل منهما بجمال الآخر وأنفته وأبهته فبسط بيريتاوس يده
الى قرنه وسأله أن يقدر ما خسره معلناً استعداده للقيام بكل ما يطلبه فأعفاه تيزيوس
وطلب اليه أن يكون صديقه وأخذ في القتال فاقسم كل منهما للآخر أن يكون له
الصديق الوفي الى الأبد

حدث بعد ذلك أن بيريتاوس الذي تزوج من ديداميدا صديقاً لزيارته البلاد
والتعرف باللاتينيين ودعا السنطوريين ايضاً الى الوليمة ، ولكن هؤلاء اغفلوا في سكرهم

واجب الوقار ومدوا يدهم الى النساء فذموا الاهالي عليهم ذلك وهموا بهم فقتلوا البعض فوراً وافنوا الكثيرين في حومة القتال بمساعدة تيزيوس وطردهوا الباقين من البلاد

ولكن هيرودوروس روى هذه الحادثة على غير هذا الوجه قائلاً ان الحرب كانت قائمة عند ما ذهب تيزيوس لمساعدة اللايبيين وانه انتهز هذه الفرصة فذهب الى تراخين لقرّبها منه لمقابلة هرقل الذي كان يستريح من عناء حروبه ، فتبادل البطلان عبارات التهناني وعواطف المودة . ولكن الأرجح هو ما رواه القائلون بأنهما تعارفاً قبل ذلك بزمن بعيد وان هرقل بفضل تيزيوس تناول الاسرار ، ومن قبلها التطهير ، وهو ما كان في حاجة اليه لما اقترفه على غير علم من الاخطاء . قال هيلانيكوس ان تيزيوس كان في الخمسين من عمره عند ما اختطف هيلانة التي كانت دون سن الرشد . وقال البعض تبريراً له من هذه الجريمة الشنيعة انه لم يختطفها بنفسه ، ولكن ايدا وليمة هما اللذان اختطفهاها وأودعاها أمانة بين يديه وأنه أبي أن يردها الى دياسكوروس عند ما طلبها منه . وقيل اكثر من ذلك أن تندر هو الذي عهد بها اليه خوفاً من أنرسوفوروس بن هيبوكون الذي كان ينوى اغتصابها عنوة وهي دون البلوغ . ولكن أشبه الروايات بالحقيقة التي تؤيدها الشهادات الكبيرة ، هي أن تيزيوس و بيرتياوس ذهبا معاً الى إسبارطة واختطفها هيلانة وهي ترقص في معبد ديانة اورتيا ، وهربا بها . وأن الذين اقتنوا أثرهما لم يتعقبوها الا الى حدود تيجة ولما اجتاز السالبان حدود بيلوبونيز وصارافي مأمن اقتربا فيما بينهما على هيلانة على شريطة ان من تصير نصيبه يعاون الآخر على اختطاف أخرى . كانت من نصيب تيزيوس ولم تكن بالغة اشدها بعد ، فذهب بها الى ايفدنس وأودعها والدته إثره وجعلها في حمي انيدنوس صديقه وأوصاه بشدة اليقظة وكتمان السر . وبرا بوعد لبيرتياوس ذهب معه الى ابيرة لاختطاف ابنة ايدو نيوس ملك المولوس . وكان هذا يدعوزوجته بروسبرين وابنته كوره وكلبه سيربير . وكان من عادته أن يعرض خطاب ابنته لمقاتلة ذلك الكلب مع الوعد باعطائها لمن يتغلب عليه . ولكنه علم أن بيرتياوس جاء لاختطاف الابنة

لا ليظنها زوجة . قبض على الخططين وجعل بيريقتوس فراسة لسكبه سريري واحتفظ بتزيوس أسيراً .

ولكن ما نسته بن باتيموس وحفيد أوانوس بن زرخته أول من عرف معنى الدعاية والشهرة واختبر تأثير الخطبة المنطقية بآثارها الكارثية على المواطنين وانعاجهم ضد تزيوس الذي سمعت منه الامانة الياس . فخرجوه من بلادهم في قرانه وحشرهم في مدينة واحدة حيث جعلهم من رعاياه بن عبودية . وكان زبير الجمهور عادياً عليه الانخداع للشيخ من الحرية . في حين انه يجرد المواطنين من وطنهم وعبادتهم عاقب عليهم احتمال مستقبل أسنهم ببول الاصل بدلاً من موكله الصالحين وحكامهم الشرعيين .

ولم يسعد ما نسته في دساتره وغاياته شيء أكثر من حرب التنداريين الذين اغاروا على أتراك مساحين بناء على دعوته ، وكان يرى ذلك بعض الترافلين لم يبدأوا بالعداء بل طلبوا أن ترد اليهم اجسادهم . فابايسم الاثينيون انما ليست لديهم وانهم لا يعادون أين عى . تذهب التنداريون بالتقاليد ولكن أكاديموس ولا ندرى كيف علم السر بأنهم أن هيلانه خبيثة في الفيدانس . فخصه التنداريون جزاء هذا الفضل بالاحترام والرغبة طوال حياته . -
وكانت السبارطيون الذين كرت غاراتهم على أتراك بعد ذلك وامنوا فيها نهباً وسلماً كانوا يحرصون على عدم المساس بمدنق الاكاذمية الاكراما لاكاديموس ولكن ديسيارك يقول انه كان في جيش التنداريين اوكاذين يدعى احداهما اخاذيتوس والآخر ماراتوس ، سمي هذا المكان باسم الاول وكان يقال له اخاذيمية ، ثم أكاذيمية . وسميت قرية ماراتون باسم الثانى لانه اجابة لامر الوجيه قدم نفسه ضحية على رأس الجيش . سار التنداريون الى الفيدانس واكتسبوا المعركة وأخذوا المدينة عنوة . ويقال ان اليكوس بن ميرون لقي حتفه هناك ذ كان يحارب من أجل الديونستوريين وان المكان الذى دفنت فيه جثته في

أرض الميجاريين لا تزال تدعى باسمه . وقل هاراياس ان اليكوس هلك في أفيدنس بيد تريوس نفسه . مستشهداً بالبيتين الآتين اللذين قبالا في اليكوس في أفيدنس ذات الربوع الخضراء

كان يقاتل لاسترداد هيلانة الحسناء . ولكن تريوس — قتله (١) على أنه ليس معقولا أن يكون تريوس موجوداً وتسقط أنه وأفيدنس في أيدي الاعداء .

وإذ سقطت أفيدنس اضطرب الاثينيون وتمكن مانسته من اقناع الشعب أن يفتحوا الابواب للتنداريين وان يستقبلوهم استقبال أصدقاء قبالا انهم لا يعلنوا الحرب إلا ضد تريوس الذي بدأهم العداء وانهم مخلصون للوطنيين ومنقذوهم . وقد جاء ساوكهم مبرراً لهذه الشهادة . لم يطلبوا مع ما لهم من السيادة سوى أن يتسلموا الاسرار المقدسة بصفقتهم من ذوى قربي الاثينيين على مثال هرقل . تبناهم أفيدنوس كما تبني بليوس هرقل وسامهم الاسرار الالهية ودعاهم « اناس » (٢) منحوا هذا اللقب اما لانهم حبوا المدينة السلام . واما لانهم منعوا الاذى عن الاثينيين ، بالرغم من جنود جيشهم العرمرم بينهم . يطلق هذا اللقب على من يتولى العناية ، الحماية ، والعمل هذا هو السبب في اطلاقهم لقب انا كتوس على الملوك . ويقول البعض ان التنداريين منحوا هذا اللقب لظهور نجوم في السماء تحت هذا الاسم من كلمات اتيكية تدل على ما هو في العلاء .

ويقال انه قبض على « أتره » والدة تريوس وسيقت أسيرة الى لاسيديمونيا (سبارطه) ومنها سارت مع هيلانه الى ترواده يعتمدون في ذلك على بيت شعر لهوميروس (٣) « أتره بنت بتاوس ، وكليمن النجلاء . »

(١) لا يعرف قائل هذين البيتين

(٢) — ملك . (٣) الالباذه

ويقول البعض ان هذا البيت مدخول على قائله لا يقل كذبا عما يروونه عن مونخيوس الذى يدعون انه ثمره غرام سرى بين داموفون ولاوديس وان اثره اخفته فى اليون . ويقول إستر (١)

فى كتابه الثالث عشر عن اتيكا غير هذا . يروى عن بعض المؤلفين ان اسكندر الذى يدعوه التساليون بارس انهزم فى موقعة ضد اشيل وبتروكل بانقرب من نهر سيرخيوس ، وان هكتور استولى على مدينة ترازين وعرضها للسلب والنهب وقاد اثره التى تركوها هناك . وهذه الكذب الروايات .

نزل هرقل يوماً ضيفاً على أيدونائوس المولوسى وقصه الامير حادثة بيريتاوس وتزيوس وما كانا يتصدان اليه ، وما نالها من العقاب . حزن هرقل لما نزل باحدهما من موت مخجل وخشى على حياة الآخر ، لم يرفأنة من الكلام عن بيريتاوس وطالب اليه ان يتفضل فيسأله تزيوس فاجابه الى طلبه . صار تزيوس طليقا وعاد الى اثينا حيث لم تكن الغلبة قدمت على اصحابه . وكان اول همه ان كرسى الهياكل التى خصه بها الاثينيون ، باسم هرقل واستبدل اسماءها من التزيوسيه الى الهرقالية ولم يبق لنفسه على رواية فيلوخوروس سوى اربعة . حاول فى ايامه الاولى ان يتولى الحكم وادارة الاعمال على ما كان له . ولكن الفتن والاضطرابات قامت فى وجهه . فاقنع ان اعداءه التدماء اضافوا الى بعضهم له احتقاره لضعفه . وان الشعب قد فسد فبدل ان يطيع صامتا صار يطلب ان يتزلف اليه . حاول ارغامه بالقوة ولكن المحرضين والخطباء شلوا جهوده . بنس من استعادة سلطانه فارسل اولاده خفية الى اربا عند الفانورين خالكودون ، وبعد ان صب لعنته على الاثينيين ، فى حرجوتوس فى مكان لا يزال يدعى اراتاريون ، ابجرالى سيروس : ظانا انه سيوجد بها اصدقاء وكانت له بالجزيرة املاك موروثه .

كان ليكومد حينذاك ملكا على سيروس ، ذهب اليه تزيوس ورجا اليه ان

يعيد اليه املاكة لانه ينوى الافادة هناك . ويقول البعض انه طلب اليه نجدة ضد الاثينيين ولكن لم يكد حتى جازب رجل له تلك الشهرة من جهة وارادته رضى مانسته من جهة اخرى منار يشيغه الى قمة الجبل مسعيا الرغبة في ان يريه املاكة ورمى به من اعلى الصخور فتردى تزيوس في سقوطه . ويقول البعض انه قدم الى قدمه وهو يتمشى على عادته بعد العشاء . ثم يعبا احد حينذاك بموته . واستتب الامر ما نسته في اثينا . وعاش ابنه تزيوس كافراد الناس عند الفانور وحضروا معه حرب ترواده مات مانسته في ذات الحصار وعاد الابناء الى اثينا واستولوا على تمام ملكيتها . عاد الاثينيون بعد قرون الى تكريم تزيوس كبطل دعاهم الى ذلك جملة اسباب اهمها ان كثيرين من الجنود اوشموا انهم راوه في موقعة ماراثون يتقدم الجيش محارباً البربر .

كان قادن حاكماً بعد الحرب « المادية » . وأمرت الكاهنة الاثينيين الذين جازوا لاستخبارتها ان يجمعوا عظام تزيوس وان يحتفوا بدفنها وان يخرجوا عليها . ولكنه لم يكن من السهل إيجادها ولا معرفة القبر لان سكان الجزيرة كانوا همجاً غلاظ الاكباد لم يعاشروا احد من الشعوب ولم يعانوا احد . ثم حدث ان سيمون على مار واما في سيرته استولى على جزيرة سيروس فعنى بهذا البحث . رأى على ما يقال نساء اثينقر رجة من الارض وينبش بمخالبه وكن وحياً لغياً هبط على سيمون واحتفر هناك فوجد نعش رجل طويل القامة . والى جانبه ربح وسيف . نقل سيمون هذه الرفاة على مركبه ، عم السرور جميع الاثينيين واستقبلوا رفته في حفاوة مهيبة وقدموا الضحايا كأن تزيوس عاد حياً الى المدينة . وأودعوه وسط اثينا في المكان المقام عليه الآن ملعب الجناز (الرياضة البدنية) وهو ماجاء العبيد والضعفاء الذين يخشون ظم كبار القوم . والحقيقة ان تزيوس كان طوال حياته حى المظلومين ومحبيب دعوة المستغيثين .

يقم الاثينيون الضحايا تكمياله في الثامن من شهر يمانيسيون (اكتوبر / نوفمبر)

اليوم الذي عاد فيه من كريت مع رفاقه . وهم يحتفون بتكريمه أيضاً في الثامن من كل شهر . وقد يكون ذلك لأنه عاد لأول مرة من ترازين الى أثينا في الثامن من شهر هيكتونيون (يوليو -- أغسطس) كما قال ديودور البرياني . (١) أو لانهم برأوا بن هذا العدد اليق به . اذ انه ابن نبتون وهم يقدمون التضحايا لهذا الآله في الثامن من كل شهر . وسبب ذلك ان عدد ثمانية أول مكتب لأول عدد زوجي . ومضاعف أول مربع ، ويمثل قوة نبتون الثابتة التي لا تتغير . ذلك الآله الذي ندعوه . اسفالبيوس (٢) وجايوكوس (٣)

«١» كاتب يكثر ملوك رخوس من ذكره . له مؤلف عن المنازل . ولم يعرف بتغير هسنا
«٢» الذي يدعم أساسات الارض «٣» الذي يحتضن الارض .

رومولوس

من ٧٦٩ الى ٧١٥ ق - م

لم يتفق المؤرخون لاعلى موجد اسم روما ، ذلك الاسم العظيم الذى ذاع
مجدد بين جميع الامم ، ولا على سبب تسمية المدينة بهذا الاسم . يقول البعض
أنه بعد أن طاف البلاسجيون العالم تقريباً وأخضعوا كثيراً من الامم حطوا
رحالهم في هذا المكان ودعوا مدينتهم روما تنويها لما لاسلاحهم من قوة (١)
ويقول البعض إن بعد سقوط تروادنجما جماعة من اهلها وتيسر لهم الحصول على
سفن: ثم قذفت بهم الرياح فرسو اعلى شواطى ايريريا بالقرب من نهر التبر . وكان
التعب قد انهب قوى نساءهم وملت مشاق السفر وكانت بينهم واحدة تدعى
روما لايقبل زكاؤها عن كرم محبتها اقترحت عليهم اضرار النار فى السفن
فعمان بنصيحتهما . غضب الأزواج ثم استسلموا لضرورة الواقع واقاموا حول
جبل بالاتن . حيث فقت سعادتهم ما كانوا يؤملون وجدوا من الارض خصوبة
ومن الاهالى ترحيبا ولذلك خصوا روما بالاكرام ، وأطلقوا اسمها على المدينة التى
كانت سبباً لوجودها . ويقال أن عادة تسليم الرومانية على اهلها وأزواجها
بقبلة على الفم اصلها أن الترواديت بعد اشعالهن النار فى السفن كن يهدثن غضب
ازواجهن بالتوسل اليهم وتقبيلمهم على هذا النحو . ويزعم البعض أن روما التى
دعيت المدينة باسمها هى بنت ايطالوس ولوكاريا ، ويقول آخرون انها بنت
تالاف بن هرقل وأنها تزوجت أنياس (أنيه) ويقول آخرون ان اسجاني بن
أنياس كان زوجها . وهؤلاء يدعون أن الذى بنى روما هو رومانوس ، بن عولوس
وسرسة ، ويدعى أولئك ذلك لرومانوس بن اماتيون ، الذى ارسله ديومد الى
ترواده ؟ ويقول البعض أن الذى وضع اساسها هو رومانوس ملك اللاتينين بعد

(١) معنى كلمة « رومي » اليونانية توة .

أن طرد منها الترهينيين الذين جاءوا من تساليا الى ليديا ثم من ليديا الى ايطاليا .
 وادهى من ذلك أن الذين يدعون ولهم الحق أن رومولوس دعا المدينة باسمه
 غير متفقين فيما بينهم على أصل رومولوس ذاته . بحسبه البعض ابن انياس واكتيا
 بنت قورباس . وانه نقل اذ كان طفلا مع اخيه روموس إلى ايطاليا وإن نهر
 التيرطفي خطم جميع السفن الاسفينية الطفلين التي دفعها بلطف الى شاطئ عمهد
 ونجت على غير المنتظر ودعيا المكان روما . ويقول آخرون أن روما بنت
 واكتيا هذه تزوجت لاتينوس ، بن تملك فولدها رومولوس . وينذهب البعض
 الى أن رومولوس هو امرأة اتصال سرى بين أميليا بنت انياس ولافنيا
 بإلانه مارس .

ومن الرواة من يتحدث عن ميلاده باغرب الخرافات . يزعمون ان
 تارختيوس ملك الالبونيين وهو من أظلم الناس وأقساهم ؛ ترأت له وهو في
 قصره رؤيا الهية ؛ رأى رمز اله التناسل خارجاً من بيته ليلا حيث قضى بضعة
 أيام ، وكان في اتروريا وحى تانيس فأرسل هذا الملك يستشيرَه فجاب الوحي
 ان عذراء تتصل بهذا الاله ويكون لها ولد جليل الشأن يتفوق على جميع رجال
 عصره بشجاعته وقوته وحظه . أفضى تارختيوس الى احدى بناته بهذا الوحي
 وأمرها باتمامه . لم تر الفتاة ذلك وأرسلت احدى خادمتها ، غضب الملك عند
 ما علم الخبر وهم بقتل الفتاتين . ولكن الالهة فيستأترادت له في حلم ونهته عن
 قتلها . امر بنتيه أن تنسجا قطعة قماش ووعدهما أن يزوجهما متى أتمتا فكاتنا
 تشغلان طول النهار حتى اذ جاء الليل أمر تارختيوس نساءه بحمل ما نسجتا .
 وضعت الخادم التي حملت من فالوس (اله التناسل) (توأمين) ساهما الملك
 الى رجل يدعى تاراتيوس وأمره بقتلهما . وضعهما الرجل عند شاطئ النهر

(١) يدعو فلطارخوس شقيق رومولوس ، روموس . اما جميع اللاتينيين

وهناك أسرعت اليهما ذئبة وأرضعتهما بما تحمده من الغذاء وأخذت
الطيور رزقهما بما التقط من الغذاء.

بقيت هذه الخرافة إلى أن رآها راسي بشر فحدثه بشهنة فحدث ثم اجترأ
على اللغو منهم، وأخذ الطفالين، وما شبا قاتلا تراختيوس وهرماد. هذه رواية
كاتب يدعى بيو النيون (١) في مؤلفه تاريخ إيطاليا.

أما أشبه الروايات بالحقيقة والتي أجمع غايها الأكثر الشهرة فهي رواية
ديوكس البيديارستي التي أذاهها قبل سواه بين اليونانيين وأيدها قايوس
بيكتور (٢) وقد وقعت بها اختلافات إلا أنها في جملة ما ينبغي

انتهى إرث سلالة أنياس الملكيين إلى الآخوين. نوميتور وأوليوس
قسمة أوليوس إلى قسمين أحدهما المملوكة والآخر المال والذهب الذي جرى
به من ترواده. اختار نوميتور المملوكة ولكن أوليوس صار بماله أقوى نفوذاً
من أخيه وسلبه التاج بأهون سبب. خشى أن تلد بنت أخيه أبناء فجعلها
« فستاً » كاهنة حتى لا تنزوح وتقتضى حياتها عذراء. بعضهم يدعونها إليا.
والبعض ريل وآخرين. سافيا بولكنها وجدت بعد قليل حبلى خلافاً لقوانين
الكاهنات. شعفت لها اثنتونيت الملك لدى والدها فأبقي على حياتها. خشى
أوليوس أن تلد على غير علم منه فأودعها سجنًا ضيقاً لا يراها فيه أسد.
وضعت توأمين من أجل وأفخم ما تلد الوالدات. ازداد خوف أوليوس فعهد
إلى خدام أن يعرضهما للبالد. ويقال إن ذلك الخادم يدعى نوستيوس ويقول
آخرون إن هذا اسم الذي التقطهما. وضع الخادم الطفالين في مهد ونزل يأتي
بهما في النهر ولكنهما وجد التيار شديداً فلم يجزأ على النزول فلقى بهما على
الشاطئ وعاد. هدأت المياه واحتملت المهد بلطف إلى أرض مهددة تدعى

(١) كاتب مجهول. (٢) أقدم مؤرخي اللاتينيين معاصر هينيان وكتب حوادث
روم، ولم يبق منها شيء تقريباً.

اليوم سرمانوم وكانت تسعى جرمانوم . وضحى ان ذلك لان اللاتينيين يدعون
 الشقيقين « جرمان » وكان على مقربة من هناك شجرة تين بريئة يدعونها
 « رومينال » ويظن البعض ان هذه التسمية نسبة الى رومونيوس اول ان
 الحيوانات الخبيثة كانت تنسب وسط النهار فتستريح في ظلالها . لو ان ذلك نسبة
 لرضاع الطفلين هناك . وذلك ان قدم اللاتينيين كانوا يدعون المدي « روما »
 ويدعون الالهة التي تعنى برضاع الاطفال رومانيا . ولا يدخل الخبر في تسميتها
 أما الظاهر فكان من التين

هناك بقي الطفلان ترضعهما الذئبة . يعاونهما الشترق في تغذيتهما والعديبة بهما .
 وهما من الحيوانات المفترسة ثلاثة مارس . ويخص اللاتينيون الشترق بميادة خاصة
 وهم كذلك يصدقون شهادة الوالدة ان الطفلين ابنا مارس . ويقول بعض
 المؤرخين ان ذلك وهم منهم . لان أموليوس كان مدججا بالسلاح حينما دخل
 يفتصبها . ويقول البعض ان اسم المرضع كان في هذه الخرافة نورية لاحتمالية .
 لان اللاتينيين كانوا يطلقون كلمة ذئبة على أنثى الذئبة والوهس وتلك كانت حلة
 زوجة فوستولوس الذي عني بتربية الطفلين . وكانت تدعى أكالارنسيا : يقدم
 اليها الرومانيون كل سنة التقدّمات في شهر ابريل ويقوم كاهن مارس بصلاة الجلالة
 ويدعى عيدها عيد لارنسيا .

وهم يكرمون أيضا لارنسيا أخرى للمناسبة التالية .

حدث ان حارس هيكل هرقل رأى في ساعة الليل ان يتبرح على الاله مقامرة
 بالنرد (الزهر) يشترط اذا ربح ان يمنحه الاله ما يريد . واذا خسر قدم للاله ودية
 فاخرة وحسناء ينام معها . اتفقا على ذلك وانق النرد عن هرقل أولا . ثم عن نفسه .
 فكان الخاسر . فوفى بعهد ادب الاله . وأدبه نعمة واستأجر له الانسيا التي كانت
 في ريعان صباحها لاتزار الا قليلا . وأقم سرير الويلمة في الهيكل . واذا انتهت
 المادبة احتجز لارنسيا ليستمتع بها الاله . ويقال ان هرقل استمتع بها حقيقة وأمر

ان تذهب باكرا الى الساحة العمومية وتقبل أول رجل تقابله وتتخذة خليلا وكان أول من قابله وطني عجوز وغني جداً قضى حياته حتى تلك الساعة أعذبا. وكان يدعى تاروتويوس . لقي لارنسيا لقاء حسنا جدا وعلق بها حتى انه عند موته ترك لها أموالا عظيمة . أوصت معظمها للشعب الروماني . ويقال انها نعمت بشهرة واسعة . وكانت تكرم بصنمها خليمة آله عند ما اختفت فجأة على مقربة من المكان الذي دفنت فيه لارنسيا الاولى . وهو يعرف اليوم باسم فالابري : مأخوذ من ان نهر التبر كان يطغى احيانا فيجتازه الناس على قارب الى الفوروم . (ساحة المدينة) واجتياز المياء على هذا النحو يقال له (فلاتورا) ويقول البعض ان الذين كانوا يقيمون الالعاب للشعب كانوا يدون الاقشعة من المكان الى الملعب (السرك) مبتدئين بهذه الساحة . والرومانيون يدعون القماش « فاللا » هذا هو أصل الحفلات التي يقيمها الرومانيون للارنسا الثانية .

قام فوستولوس راعي خنازير أموليوس بتربية الطفلين في منزله على غير علم من احد . ويزعم البعض وهو أدنى الى الصواب ان نوميكتور كان يعلم ذلك وانه كان يتدبها بما يحتاجون اليه خفية . نقلا بعد ذلك الى جابي . (١) ليتعلما اللغة وكل ما يجب ان يتعلم الاشراف .

دعى رومولوس وروموس نسبة الى الشدى لانه قد شوهده ان الذئب ترضعهما . وكان لهما من اعتدال قمتيهما ووسامة وجهيهما ما يدل منذ الصبا على ما يكون لهما من شأن . وكما زادت أيام حياتهما . ازداد كل منهما شجاعة وجرأة واقداما عند الخطر . ولكن رومولوس كان يفوق اخاه بسلامة الذوق والمهارة في تدبير الامور . ففي المرض او التنص او كل علاقته مع جيرانه . يبدو عليه انه خلق للقيادة أكثر منه للطاعة . لذلك كانا محبوبين من جميع زملائهما ومن كانوا دونهما . اما وكلاء الملك ورؤساء قطاعه الذين لم يربوا لهم عليهما فضلا في

(١) مستعمرة البيا في اللاتيوم على بعد اثني عشر ميلا من روما .

الشجاعة . فكاننا يحقرناهم ولا يعبا أن يتهددوهم وغضبهم وساروا في حياتهما سيرة
الأحرار . ولم تكن الحرية في نظرهما البطالة بل العمل برياضة البدن . القمص ،
الركض . القضاء على قطاع الطرق والنصوص . حماية المظلومين من ظلم الظالمين .
بذلك اكتسبا شهرة واسعة .

وحدث ان رعاة نوميستور اشتبكوا مع رعاة رومولوس في معركة واختطفوا
منهم قطعانا فاستاء رومولوس وروموس لذلك واقتنوا أثرهم وسقتوا شملهم وعادوا
بالغنائم التي سلبت . فزع نوميستور لذلك ولكنهما لم يعبا بالامر وكانا قد
حشدا جنداً من الاهالي والعبيد بحجة اتقاء العصيان والنورة . وجرى بعد
ذلك ان رومولوس كان غائباً فقدم ضحية دينية لانه كان عالماً بالتقاليد الاولية وفي غيابه
التقى رعاة نوميستور بروموس في نفر قليل من رجاله فانقضوا عليه وجرح
كثيرون من الجانبين ولكن النصر بقى لرجال نوميستور فخذوا روموس أسيراً
واقناده الى مصاحبتهم وعرضوا عليه شكائهم ضده فلم يجز نوميستور على عقابه
خشية اغضاب أوميلوس فنقد اليه لانصافه من الاهانة التي لحقت به وهو
أخوه في خدمة الملك ، فتأثر الانبانيون واشفقوا من اذلاله وأروا ان مقامه حقيق
بالا يدل . عطف أومولوس على مطالبه وسامه روموس يعمل به ما يشاء . اصطحبه
الى منزله واكنه لا يستطع الا يعجب بهذا الشاب لما رآه فيه من الجمال والقوة والجرأ
والثبات ما ينطق بتلك الصفات التي جعلته لا يبالي بالنظر الخدق به . ايضاف
الى ذلك ما يروى عن أعماله الجليلة التي تؤيدها ما يشهد عياناً وظنى أن ذلك
أثر وحى إلهي قرر اجراء الاعمال الجليلة التي بدأت من ذلك الحين استشعر
الحالة نوميستور واران يستوضح الحقيقة فسأل الشاب من هو وما مولده ، وكان كلامه في
هوادة ولطف وعطف حقيق أن يدخل على نفس الشاب الثقة والامل .

أجاب روموس بجرأة . انى لا اكنك شيئاً وأنت على ما يلوح لى أولى
بالحكم من أوميلوس انك على الاقل تسمع وتتحقق قبل أن تعاقب . أما هو فإنه

يسلم المتهم بلا تحقيق . كنا نحسب أنفسنا حتى اليوم أبناء فوستولوس ولارا نسيا خادم الملك . ونحن تؤمان . ولكن منذ وشوا بنا اليك واضطردنا للدفاع عن أنفسنا سمنا أقوالا مدهشة وسيكشف موقفنا الخطر هذا اذا كانت حقيقة بالثقة أم لا . يقولون انا ولدنا خفية وانا غدينا وأرضعنا بطريقة غاية في الغرابة . وان الطيور الجارحة والوحوش البرية التي القيما اليها قامت بتغذيتنا اذا كانت ذئبة ترضعنا نديها وشترق يقدم لنا ما يالقطه ايام كنا في مهيد على شاطئ النهر الكبير ولا يزال المهيد محفوظا تحيط به شرايط من النحاس ونايه جروف لا تسكد تقراً قد تكون لوالينا يوماً ما علامة لتعرفنا ولا يحين ذلك الا بعد فوات الوقت اذ سوف يقضى علينا . قارن نوميتور بين هذه الاقوال وعمر رموس والزمن الذي عرض فيه الاطفال للهلاك فخامرهم امل بهيج فعول على محادثه ابنته خفية وكانت لاتزال رهن السجن

ولما علم فوستولوس ان روموس اسر وقد سامه امولوس الى نوميتور تعجل رومولوس لاغاثة وكشف له عن سر ميلاده ولم يكن من قبل لا يشير الى ذلك الا باشارات غامضة لا يقصد منها سوى ازكاء العواطف الشريفة ثم حمل بنفسه المهيد وانسرع به الى نوميتور وهو يرتعد خوفاً على روموس ، ادخل ما كان عليه من رعبه الريبة الى نفوس حرس الملك وانتهى بهم الريب والجوابات المضطربة الى اكتشاف المهيد الذي كان يخفيه تحت رداءه . وقضت الصدفة ان يكون بين الحرس احد الذين عهد اليهم امولوس ابعاد الطفلين وشهد ماتعرضاً له من خطر . فما رأى المهيد حتى عرفه من شكله وما كان محفورا عليه من الكلمات . تعاب الحارس على الشك فاسرع لفورده الى الملك مصطحباً فوستولوس ليحمله على تقرير الحقيقة . لم يتملك الحرف فوستولوس تماماً ولكنه لم يملك الحزم تماماً فاعترف بان الطفلين على قيد الحياة ولكنهما بعيدان عن البابرعيان القطعان . وقد احضر المهيد الى « اليا » لانها تريد ان تراه وتامسه ليقوى فيها الامل بان ولديها لا يزالان على قيد الحياة

أخذ اميلوس الطيش الذي يلزم المضطربين المتتردين الواقعين تحت تأثير
 نخوف والغضب فأرسل رجلا من اهل الطير صديق لنوميتور يسأله ألم يسمع ان
 ابنا ليا على قيد الحياة . واصل ذلك الرجل بينما كان نوميتور يهيم بمعاينة روموس
 وضعه الى صدره واخذ يشدد أمل الشاب ويدفعه لاغتنام الفرصة والنضم اليهم
 مقدما نفسه لمساعدتهم لم يكن في الوقت متسع لان رومولوس صار على مقربة منهم
 وقد انضم اليه اكثر اهل المدينة يدفعهم خوفاً وبغضبهم لامولوس . وكان رومولوس
 قد حشد جيشا عرمرمنا قسمه الى طوابر يذات الطابور منها من مائة رجل يقود كل
 طابور رجل بيده قنطرة على رأسها حزمة من العشب والخطب . وهذا ما يدعى اللاتينيون
 حملة العشب الماتولول . ولا يزال الجنود الذين يستظنون هذا العلم يعرفون بهذا الاسم حتى
 اليوم . وكان روموس قد أسماها الوطنيين المقيمين في البيا . بينما كان رومولوس يتقدم
 برجاله استولى الرعب على الظلمة وحار في أمره وبقي على غير هدى لا يدري
 بما يدافع عن نفسه فتقبضوا عليه وهم في تلك الحالة وأعدوه

هذه رواية قابيوس وذيوكاس البياريتي يراها البعض مدخولا عليها
 الكثير من المحسنات الدرامية والزخارف الخرافية ؛ ولكن هل نستطيع
 تكرانها لو فكرنا فيما يحكيه الحظ الموفق من الروايات الشعرية او فكرنا فيما
 وقعت اليه روما من النجاح الباهر . فلم نكن لتصل الى ما درصت اليه من قوة
 ومنعة اذا لم تكن مرتكزة على اساس اهل تدل عليه العظام والمعجزات ؛

عادت السكينة الى المدينة بعد موت امولوس ولكن رومولوس وروموس لم
 يقبلا المقام في البيا دون أن يحكماها لم يقبلا ان يحكماها في حياة جددهما . فبعد ان
 أقرا السلطة بين يديه وقاما بواجب التكريم لوالدتهما عولا على الرحيل اليكما
 مكانا يكون لهما الامر فيه . وعليه اعتزما انشاء مدينة في المكان الذي أرضا فيه
 فكان لهما من هذا المقصد أشرف عذر . على انه لم يكن لهما بد من ذلك . لم
 يكن جندهما سوى جماعات من المنفيين أو العبيد الهاربين فكانوا بين أمرين

أما ان يعرضا سلطانهما للضياع بتشتيت شمل جيش كهذا أو أن يذهبا به الى مكان آخر يستقرون فيه. لان الالبيين لم يتباوا مخالفة هؤلاء المنفيين والهاربين ولا اعتبارهم وطنيين. يدلنا على ذلك أولا اختطاف نساء السابين. (Sabiue الذى لم يحدث عن شهوة وحشية بل عن ضرورة لانهم لم يجدوا سبيلا لزواج اختياري والحقيقة انهم أحسنوا رعاية النساء اللواتي اختطفوهن . كما يدلنا على ذلك انهم لم تكذب يستقر بهم النقام حتى انشأوا للهاربين ملجأ دعوه هيكى الاله ملجأ (١) يقبل فيه الجميع لا يسلم العبد لسيدته ولا المدين لدائنه ولا القاتل لحاكمه محتجين بوحى من ابولون يكفل الحرية لجميع الهاربين . لذلك كثر عدد سكان روما التي لم يكن بها سوى الف منزل . وسأتكلم عن ذلك فيما يلى :

وقد شجر عند انشاء المدينة خلاف بين الاخوين على الموضع الذى تقام فيه . انشاء روهولوس المكان المعروف باسم روما المربعة . وهى قلعة على جبل (بالاتن) واعتزم المقام فيها ولكن روهوس اختار حصناً على جبل « افانتين » (٢) ثم اتفقا ان يفض النزاع بينهما ما تشير اليه الطيور الكريمة . فوقف كل منهما فى المكان الذى اختاره . ويقال ان روهوس شهد ستة عقبان أما روهولوس فشهد اثنتى عشر ويزعم البعض ان الاول شهد عقبانه حقيقة اما الثانى فقد خدع أخاه وانه لم ير الاثنتى عشر الا عند ما دنا منه روهوس . ومهما يكن من الامر فان هذه الحادثة هى سبب ما نراه اليوم من ان الرومانيين يفضلون التفاؤل برؤية العقبان . ويقال ان هرقل أيضاً كان يسر اذا رأى عقابا قبيل اقدمه على عمل . والحقيقة ان العقاب أقل الطيور ضرراً فلا يمس ما يبنره الانسان ولا ما يبنرعه ولا ما يقوته ؛ انما يعيش من الجثث وهو لا يقتل ولا يجرح حيا ما ، ولا يمس الطيور حتى الميت منها احتراماً لنوعه ، وهو فى ذلك على خلاف

١ بلوطارخوس هو الوحيد الذى تكلم عن هذا الاله عل انه خطأ واضح كان هناك هيكى وماجاً لاله « ماجاً » ٢ دعى باسم رومونيوم ويدعى الان ريناريوم

النسور والبيوم والصقور التي تعتدى على الطيور الحية وتمزتها ، ولقد قال اشيل .

« هل يمكن ان يكون الطائر اندى يأكل لحم طائر نقياً (طاهراً)

ومع كل قن الطيور الاخر تقضى حياتها بمراى منافرتها في كل مكان .
ولكن ظهور العقاب نادر جداً ومن الصعب العثور على أو كاره . وحدث عن
هذه الندرة الرأى القائل بأن العقبان تأتي مهاجرة من بلاد أخرى : وهذا
شأن الناس في الحوادث غير الطبيعية حيث تجرى الاشياء على مايقول عرفاء
الغال في غير مجراها العادى بل بارادة الآلهة تدل عليها باشارة ظاهرة .

وإذ علم روموس أنه خدع حزن حزناً شديداً لذلك كان يسخر منه أخيه
وهو يحفر الحفرة التي تحيط بالجدران وكان يعطل تنفيذها . ويقول البعض أن
رومولوس قتله في الحال ويقول الآخرون ان «سيلر» احد اصدقاء رومولوس هو
الذى قتله . وقد هلك في المعركة . فرستولوس واخوه بلستوس الذى كان عوناً
له في تربية رومولوس . وقد لجأ القاتل الى اتربرى . (١)

وبعد أن دفن رومولوس اخاه ومربيه فى الرمونيوم اشتغل ببناء المدينة واحضر
من اتربرى اناس اعلموه نظام الحفلات والتقاليد الواجب مراعاتها والاصفاء بالاشهاد .
واحتفر حفرة حول المكان المعروف اليوم باسم « كوميس » وألقوا
فيها بكورة من كل شىء حلال من حيث الشرع وضرورى من حيث
الطبيعة . من ثم اخذ كل واحد قبضة من تراب البلد الذى أتى منه وألقاه فيها
بعد مزجها كلها وأطلقوا على الحفرة اسم « العالم » ومن هذه النقطة رسموا
حظيرة المدينة وضع المؤسس سلاحاً من النحاس فى المحراث وعلق ثورا وبقرة
واحتز على الخط المرسوم حزاً عميقاً وكانت مهمة السائرين فى أثره أن يأخذوا
الطين الذى يخرج المحراث فياقوه فى الحفرة لا يتركون منه شيئاً . وكان الحز

(١) وقد اطلق اسمه على كل سرب خفيف كما اطلق على كينتوس . بتالوس الذى أقام
بعد موت والده بيضة أيام وقتله قتال الجلادين . اشارة الى السرعة التى جرى
بها اعداد الحفلة .

رسماً لجدران المدينة ودعوة يوم مريموم اى وراء أو بعد الحائط . وكان فى الاماكن
التي يراد جعلها أبوا يرفع الحرات فيبقى بلا أثر . لذلك يعتبر الرومانيون
الجدران مقدسة . اما الابواب فلا . لانها لو اعتبرت مقدسة لكان ادخل
الضروريات الى المدينة . واخراج الاشياء النجسة خارجاً للمدين .

ثم انشأ روما فى الحادى عشر من مايو (١) ولا جدال فى ذلك ولا يزال
الرومانيون يقيمون هذا العيد السنوى ، يدعونه عيد ميلاد وطنهم وكانوا فى أول
عيدهم لا يقدمون فيه ضحايا حية قائلين أن عيد ميلاد مدينتهم يجب أن يكون
ظاهرًا لالتوُّه الدماء . على أنهم قبل تأسيس روما كانوا يقيمون عيداً خلويًا
يدعونه « بليلي » ولا يطابق اليوم تاريخ الرومانيين تاريخ اليونانيين . ويقولون
ان اليوم الذى أسس فيه رومولوس المدينة بعد الثلاثين من الشهر اليونانى ، وان
الشمس كسفت فى ذلك اليوم وان الشاعر اتياخوس من تارس قد رقيه فى
السنة الثالثة من الاولمبيادة السابعة

كان للفيلسوف قرون وهو أكثر الرومانيين معرفة بالتاريخ صديق يدعى
تاروتوس فيلسوف ورياضى يستخدم أوقات فراغه فى رصد الكواكب ويقال انه
حذق هذا العلم طلب اليه قرون أن يحدد يوم وساعة ميلاد رومولوس يستنتج من
أعماله المعروفة كما يعمل فى المسائل الهندسية قائلًا بما أنه توجد نظرية يستدل بها
من تاريخ ميلاد الانسان على حياته . فاذا علمت حياة الانسان أمكن الاستدلال
منها على تاريخ ميلاد صاحبها ، فقام تاروتوس بما عهد اليه صديقه وبعد أن
فحص حوادث رومولوس وحركاته مدة حياته وكيفية موته وما تلاها وقرن بينها
بدقة قال بثقة وبالتردد ان رومولوس حبل به فى السنة الاولى من الاولمبيادة الثانية
فى ٢٣ من الشهر المصرى كيهك فى الساعة الثالثة نهاراً اثناء كسوف الشمس
كسوفًا تامًا ، وولد فى ٢١ من شهر توت عند مطلع الشمس وانه أسس روما

(١) فى ٢١ ابريل سنة ٧٥٣ ق . م . هذا هو الرأى الأكثر احتمالاً والاكثر انتشاراً .

في التاسع من برموده بين الساعة الثانية والثالثة

ويروي الرياضيون ان نصيب المدينة كنصيب الاشخاص له وقته المعين
 تكن ملاحظته من موقع الكواكب أثناء التأسيس على أن ما في هذه الروايات
 من الملاحظة لا يعادل ما في الخرافة من مضايقة في نظر القراء

ولما تم بناء المدينة أخذ رومولوس في تقسيم رجال جيشه الى فرق تؤلف
 كل فرقة من ثلاثة آلاف رجل وثلاث مائة فارس وأطلق عليها الجيوش المنتخبة
 دلالة على انه اختار من بين الاهالي من يصلح للقتال ، وترك للباقيين مهام
 الشعب فأطلق عليهم هذا الاسم ، اختار رومولوس من الاعيان مائة ، والف منهم
 مجلسا ودعاهم اباء او حماة. ودعى الهيئة كلها مشيخة او مجلس الشيوخ ويقال في
 سبب هذه التسمية ان أعضاء المجلس كانوا اباء لابناء احرار أو لانهم كانوا
 يستطيعون اظهار ابئهم ولم يكن ذلك في وسع جميع أهالي المدينة الاولى
 ويرغم البعض أن هذا الاسم مشتق من الرعاية او الحماية على ما كان معروفا من
 حماية العظماء للضعفاء ويقال لهما مشتقة من كلمة باترون وهو اسم أحد روق ايفندر
 وكان معروفا بغيرة وعطف على الضعفاء . والاولى ان يقال بان رومولوس أطلق
 عليهم هذا الاسم لانه يجب على الاقوياء ان يحنوا على الضعفاء حنوا أبويًا . ويعلم
 الشعب ألا يخشوا الاقوياء والا ينظروا الى ما يمتعون به من شرف بعين الحزن
 بل يحفونهم بالاحترام والرعاية ناظرين اليهم نظرههم الى الآباء وان يكرمهم بهذا
 اللقب ، بالاجانب يدعون الشيوخ حتى اليوم سادة ورؤساء اما الرومانيون فانهم
 يدعونهم الآباء المختارين وهو اسمي القاب الشرف لا يعرض أصحابه للحسد أو الخلد .
 كانوا يدعون أولا لآباء فقط ولكن لما ضم اليهم غيرهم أطلقوا عليهم لقب الآباء
 المقدسين. وكان هذا اللقب اسعى ما يشرف به الشيوخ تميزا لهم عن الوطنيين .

ثم قسم الاهالي الى فريقين فريق العطاء وفريق الشعب ودعا الفريق الاول
 الحماة أو المحامين والآخر الاتباع (أو العملاء) . وجعل العلاقات بينهما على أحسن

وأفضل ما يكون مبنية على الواجبات المتبادلة الحمة أو المحامين يفسرون الشرائع
 لا تبعانهم يدافعون عنهم أمام الخدك بمدونهم بنصائحهم وإرشاداتهم ويتمنون بانفسهم
 جميع أعمالهم . اما الاتباع أو العملاء فكانوا شديدي التعلق بهم جميعهم يخدمونهم
 ويرعون جانبهم ويساعدونهم في أمهار بنات الفقراء وتسديد ديونهم ولا يمكن حاكم
 ولا شركة ان تسكره عميلا (أوقابعا) على أداء شهادة ضد عميل ولا محاميا ضد
 عميله . واستمرت هذه التقوانين الا ان المحامين رأوا فيما بعد ان من العيب ان يجعل
 ان يتناولوا من الفتراء الصغار مثلا .

يقول فايوس ان رومولوس بعد تأسيس المدينة بأربعة شهور فكر في ذلك
 المشروع الخطير وهو الخطط الساييات والمعتمدان الذي حملته على ذلك هو رغبته
 في الحرب لاعتماده بما أفضى به اليه الوحي من التقدير ينجي لروما عظمة خطيرة
 وكما غنتها الحرب ازدادت عظمة . فعمد رومولوس الى هذه الشدة لاثارة الساييين
 لذلك لم يختطف سوى عدد قليل من الفتيات لايزدن عن الثلاثين عدا لان حاجته
 الى الحرب كانت أشد من حاجته الى زوجات . والاقرب الى الصواب هو انه
 رأى المدينة ملاءى بالاجانب ولا نساء لهم سوى نفر قليل والباقيون من ذوى الحاجة
 والامل التريب منظور اليهم بعين الاحتقار فلاح له ان هؤلاء لا يفتقن طويلا في
 زمانه . قال ان يهد لهم بهذا الاغتصاب النبيل معاهدة الساييين متى تمكنوا من
 استرضاء زوجاتهم . لما تنفيذ مشروعه فكأيلي : اشاع أولا انه وجد مذبح المذبح
 الارض . وهو الاله كونسوس . أو المشير والرومانيون يدعون اليوم جمعيتهم العمومية
 مجلس المشيرين . ويدعون كبار حكاهم قناصل أو مشيرين . ويرغم البعض انه الاله
 نبتون لان المذبح وجد في المضرب (اللاعب) الكبير الذي تبقى مفتوحا الا في ايام سبق
 الخليل . ويرغم البعض ان كان المداولات تم عن سر بقاء المذبح تحت الارض
 وقد اعلن رومولوس انه احتفاء باكتشافه سيقيم حفلة تكريم علانية للاله نبعه
 العاب ومناظر . فخرج اليها الناس من كل جانب . وكان مرتديا ثيابا رجاوينا يحيط

به كبار الوطنيين وجلس في صدر المحفل (في النصف الاول) اما اشارة الهجوم فهي ان يقف رومولوس فيمنى طرفا من ثوبه ثم يرده ووقمت طائفة من رجال ترقب الاشارة مسلحة بانسيوف ولما اعطيت الاشارة استل القوم سيوفهم وهجموا صارخين واختطفوا بنات السايين وتركوا الرجال يهربون لا يتعقبهم احد. ويزعم البعض ان اللواتي اختطفن لم يتجاوزن الثلاثين فتاة ولكن فالاريوس الاتيومي يقول ان عددهن سبعماية سبعة وعشرين فتاة ويقول «جوبا» ابن ستماية وثلاثة وثمانون وكاهن ابكار. وهي ملاحظة تخالف مقصد رومولوس كل الخرافة ولم يكن بينهم سوى امرأة واحدة تدعى هرزيلي اخذت خطأ ولم يكن من غرض الغاصبين الاساءة الى السايين ولا شباع شهوة حيوانية بل كان الغرض توثيق الاتحاد بين الامتين ويزعم البعض انها تزوجت من هو ستليوس احد مشاهير الرومانيين ويقول غيرهم انها تزوجت من رومولوس نفسه فرزقت منه ابنة دعاها بريما (الاولى) لانها ولدت اولاً ثم ابنا دعاه اوليوس (الجماعة) ذكرى لاجتماع الشعب تحت امرته . وقد دعته الاجيال بعده ايليوس . على ان رواية زينودوت التريزيني هذه كذبها غير واحد.

وحدث انه بينما كانت جماعة من الغوغاء الذين اشتركوا مع الغاصبين يقودون سارية غاية في الجمال بحسن الاعتدال لقيتهم جماعة من الوطنيين فارادوا انتزاعها منهم ولكن اولئك صاحوا بهم قائلين انهم يقودونها الى تالاسيوس : وهو شاب وافر الكرامة والاحترام واذ سمع هؤلاء هذا الاسم صفتوا ايدينا بالواقفة والاستحسان وعاد بعضهم مع الموكب محبة وتكراما لتالاسيوس هاتفين باسمه. ومن هذا نشأت العادة المتبعة عند الرومانيين اذ يذكرون اسم تالاسيوس في اناشيد اعراسهم كما يذكر اليونانيون اسم « ايمينه » ويقال ان هذه الزوجة كانت سعادة لزوجها . وقد علمت من سيلتوس سيللا القرطجني وهو كاتب اصطفته اليها الشعر والكتابة. ان رومولوس اعطى هذا الاسم لجده علامة الاختطاف وان جميع الذين اختطفوا البنات كانوا يصيغون جميعا : تالاسيوس ! ولذلك جرت العادة بذكر اسمه في الاعراس .

ولكن معظم الكتاب وبينهم جوبايعتقدون ان مؤدى هذه الكلمة تحريض الزوجات على حب العمل وغزل الصوف وكانوا يدعونه « تالاسيا » لان الكلمات اليونانية كانت في ذلك الحين كثيرة الامتزاج بالكلمات اللاتينية اذا كانت هذه الملاحظة حقيقة وكان الرومانيون يستخدمون كلمة تالاسيا في معناها اليوناني جاز لنا ان نجد لهذه العادة اصلا محتملا، في نص المعاهدة التي ختمت بها الحرب بين السايين والرومانيين ، تنص بنودها الاولى على ان الأزواج لا يكلفون زوجاتهم سوى غزل الصوف. واستمرت العادة على ذلك في كل زواج فلئن كان اهل العروس وصحبها وكل من يحضر الحفلة يهتفون في مرح « تالاسيا » فلانهم يذكرون الزوج انهم يحضرون اليه زوجة غير مكافئة بشيء سوى غزل الصوف

وهناك عادات اخرى وهي ان العروس لا تجتاز بنفسها عتبة دار زوجها بل يحملها الغير فيجتاز بها العتبة ذلك لان الساييات لم يجتزنها قط بل حملن بالقوة . ويزعم البعض ان عاد تفرقة شعر العروس بمجد الرمح دلالة على ان زواج الرومانيين كان اغتصابا ومجد السيف . وقد تكلمنا عن هذا الموضوع بالتطويل في المسائل الرومانية .

وقع هذا الاختطاف في الثامن عشر من الشهر المعروف الآن باغسطس وكان يدعى حينذاك سيكستليس . وهو يوم الاعياد القنصاية (القونسيوسية) كان الساييون شعباً كثير العدد حربياً بطبيعته يسكن ضواحي لأسوارها . لا اعتقادهم وهم جالية من لاسينديمون (سبارطه) انه يجب عليهم مواجهة الخطر بلا خوف . ولكنهم رأوا انفسهم مأخوذين بتلك الرهائن الثمينة التي اغتصبها العدو وخشوا الاذى يصبب بناتهم فأوفدوا مندوبين الى رومولوس يعرضون عليه شروطاً معتدلة وهي ان يرد عليهم بناتهم وان يرأب الشعب الذي احدثه ويعمد الى الاقتناع والطرق المشروعة لتوثيق عرى المودة والاتحاد بين الامتين فاني

رومولوس رد البنات والزمهم المصادقة على الزواج .

وبما كان الساييون ينظرون في هذا الرد ويضيعون الوقت في اعداد معدات القتال أعلن اكرون ملك السنينيين الحرب وكان شجاعا وضابطا ماهرا قد داخلته الريبة من زمن بعيد في مشروعات رومولوس ورأى من اختطاف الساييات انه جاره مخيف لايسهل اخضاعه اذا لم يسرع بتأديبه . فتقدم اليه رومولوس في جيش كبير وخرج هذا لملاقاته ونا وقعت العين على العين قارن كل منهما بين خصمه وبين نفسه ثم اتفقا على مباراة يبقى اثناءها الجيشان ساكنين . أنذر رومولوس لوتهم له النصر ان يجعل أسلحة اكرون تقدمة لجويتر . (المشتري) انتصر عليه وقتله بيده وهزم جيشه واستولى على مدينته . ولم يلحق بالانلين أذى الا انه الزمهم هدم منازلهم والسير معه الى روما . حيث يصيرون وطنيين لهم جميع حقوق سكانها . لم تكن لروما لتبلغ شأؤها من العظمة لولا ضم الشعوب المغلوبة على أمرها اليها ووزجهم باهلها . أراد رومولوس ان يجعل التقدمة أكثر قبولا لدى جويتر وان يشهد الوطنيين مشهداً طلياً فعمد الى بلوطة فاجتثها وشد بها حتى جعلها في هيئة شارة النصر وعلق بها سلاح اكرون منسقة وشد ثوبه ووضع على شعره اكليلاً من الغار وحمل شارة النصر على كتفه اليمين وسار ينشد أناشيد النصر يتبعه جنده مدججين بالسلاح . فاستقبل في روما بالفرح والاعجاب . وكانت هذه الخفلة أصلاً وقاعدة لما تلاها من الانتصارات . وسميت هذه الشارة تقدمة جويتر الضارب لان رومولوس سأله ان يضرب اكرون ويقتله .

يقول فلرون ان هذه الاسلاب تدعى أوبيم من كلمة أوبس اللاتينية ومعناها الثروة ولكن يحتمل أن تكون من كلمة أوبوس (العمل) لانه لايجوز تقدمة هذه الاسلاب الا من قائد قتل بيده قائداً عدوا له ولم يوفق لذلك سوى ثلاثة من قواد الرومانيين . أولهم رومولوس بعدمقتل اكرون السنيني ثم كورنايوس كونسوس الذي قتل تولوميتوس زعيم الأترسكيين

ثم كلوديوس مارسولوس الذي قبر فيريدومار ملك الغاليين . وقد دخل الآخزان الى روما فوق عربة يجرها أربعة خيول يحملان على أكتافهما اشارة النصر . وقد اخطأ دليس في زعمه أن روهولوس استخدم عربة لأنه من المؤكد ان تاركان ابن دامارات كان أول من أعلى شأن الانتصارات الى هذا المقام . من ملوك روما . ويتول البعض أن بيبايكولا هو أول منتصر دخل روما على عربة . أما رومولوس فان جميع تماثيل انتصاراته في روما تمثال على أقدامه بعد هزيمة السنينين وبينما كان الساييون يستكملون استعدادهم اجتمع اهالي فيدان وكروستو مريوم واتيتيم وهاجوا الرومانيين فلم يكن نصيبهم سوى الفشل فاخذت مدنهم وقسمت اراضيهم بين الفاتحين واخذوهم الى روما مجردين وقسم روهولوس املاكم بين الوطنيين تاركالاباء البنات المختطفة املاكم اهاجت هذه الفضائح غضب السايين فعقدوا لواء الرياسة لتاتايوس على جميع جيشهم واخذوا ستمهم الى روما . لم يكن الذنوم المدينة امرايسيرا اذ كانت تحمي مدخلها القاعة المعروفة الآن بالكاتبول تحت قيادة تاريوس ، لابنته ، تار بيا كما يزعم بعض الكتاب الذين ينسبون الى رومولوس حماقة سخيفة والحقيقة ان تار بيا ابنة القائد اشتهت الاساور التي كان يلبسها الساييون في معاصمهم اليسرى فعاهدتهم ان تفتح لهم ابواب القلعة نظير اعطائها ما يلبسون من الاساور عاهدها تاتايوس على ذلك وفتحت لهم ليلا أحد ابواب القلعة فدخلها الساييون ولسان حالهم يقول مع انتيجونيس « أحب الذين يخونون اما الذين خانوا فلا » او يردد ما قاله قيصر اغسطس في تراس ريميتالك « أحب الخيانة اما الخائن فلا . وهذه حال كل من يستخدم الاشرار مثلهم كمثل من يستخدم سم الحيوانات السامة يسر بوجودها عند الحاجة ولكنه متى اخذ منها ما يحتاجه كره ما انطوت عليه من شر . وهذا شأن تاتايوس مع تار بيا امها السايين وفاء بالعهد ان لا يرضوا عليها بما يلبسون فزع هوسواره والقاه على راسها مع درعه واقتدى به الجنود في بعض وقت على تار بيا

وهي هدف ثم حتى سقطت قتيبة تحت عباء الذهب والدروع .
ويقول سولبيتيوس على ما رواه جوبا ان رومولوس اعدم تاربيوس جزء
حياته . وهناك روايات عن تاربيياغاية في السخف منها قوظم انها ابنته . تاتيوس
قائد السابينين اكرهت على المقام مع رومولوس وسلمت القلعة الى ايها فعاقبها على ما
اخياثة هذه رواية انتيجينوس (١) اما الشاعر سيميوس (٢) فقد كان مخرفا في .
زعم من انها لم تسلم القلعة للسابيين بل للغالين الذين احببت اليكهم حبا جماة
واليك اشعاره .

« هناك على قمة الكابوتو كانت تسكن تاربييا ، التي احدثت خراب قلاع
روما اشتد بها الشوق للزواج من ملك السلت ، فلم تصن بيت ابائها .
ثم يقول في موتها

ان البويين وجميع امم السلت ، لم يقصوا شعرهم على قبرها وراء نهر البو :
بل انزعوا سلاحهم عن اذرعهم الحربية ورموا بها تلك الفتاة العسة
فكانت حلة جنازاتها .

دفنت تاربييا في هذا المكان وعرف باسم « التاربيين » حتى جاء تاركان
القديم وكرسه باسم جوبتير ونقلوا عظام تاربييا واتخذوا المكان اسما غير اسمها . على
انه لا يزال بين منحور الكابوتو صخرة تدعى حتى اليوم الصخرة النار بية وهي
التي يتخذون منها الحجرين .

ولما رأى رومولوس ان السابينين امتلكوا القلعة دفعته سورة الغضب الى
اعلان القتال فقباه تاتيوس بلا تردد وانما ان طريقه الى التراجع مأمونة اذا
اضطر الى ذلك . وكان موقع القتال محصوراً بين الجبال وكان القتال صعباً على
الجانبين لسوء حالة الأرض حيث الميدان ضيق لا يسمع بالهرب من العدو ولا

١ وليس هو الضابط المشهور فهذا يدعى انتيجنوس كلارستيوس وكان في عهد بطليموس
قيادلفوس وله مؤلفا في تاريخ ايطاليا ، مجموعة تاريخية عظيمة .
٢ شاعر يوناني قليل الشهرة . الف تاريخ ايطاليا شعرا .

بمطار دته . وكان مهر التبر قد طفي قبل ذلك بأيام فترك الأرض المعروفة اليوم باسم (فوروم) (ندوة المدينة) موحلة لا ترى فيها العين شيئاً فلا سبيل لاجتنابها ولا سبيل للهرب . وكانت الأقدام تغوص فيها . كاد الساييون لجهاهم المكان ان يقوموا فيها لولم تنقذهم صدقة حسنة . ذلك أن كورتيوس وهو جندي شهير اخذته كبرياؤه وشجاعته وشهرته فاندفع بجواده بعيداً عن رفاقه ففانص به الجواد في الوحول أعلى سوطه وصوته لانهاض جواده على غير ضائل وما رأى أن جهوده تذهب عبثاً ترك الجواد ونجا بنفسه . ولا يزال المكان يعرف حتى اليوم ببركة كورتيوس

ولما حضر الساييون هذا انظر تقدموا للقتال وحمل وطيس الحرب لا تعرف مغبته هالك اثنائها من الجانبين خلق كثير بينهم هوستيلوس زوج هرسيلى . وهو على ما يظن جد تولوس هوستيلوس الذى صار ملكاً على روما بعد «نوما» تعددت المعارك فى أيام قليلة ولكن الاخير كانتنا شهرها حيث أصيب رومولوس بجرح فى رأسه من حجر كان يقتله فانقطع عن مقابلة الساييين وفى هذه الاثناء ثنى الرومانيون زيل الفرار وتعتبهم الاعداء حتى جبل بالائن واذا كان رومولوس قد شفى من جرحه قليلاً نادى بالماريين يعيدهم الى صفوفهم وصاح بهم بكل قواه ان يثبتوا للعدو وأن يقفوا في وجهه واذا رأى ان الفرار عاماً وليس من أحد يجسر على العودة رفع يده الى السماء وتضرع لجوبتير أن يقف الجنود وينقذ روما من الخراب . وما فرغ من صلاته حتى رأى عدداً كبيراً من رجاله خجل من رؤية الملك وحده وحلت فيهم الشجاعة محل الفرع . فوقفوا فى المكان المعروف الآن بهيكل جوبتير ستاتور فنظموا صفوفهم للساييين ودافعوا حتى ردهم الى المكان المعروف الآن باسم راجيا وهيكل فستا .

وبينما هم يتأهبون لمعاودة القتال وقف الجميع أمام مشهد غريب يعجز القلم عن وصفه . ذلك أن الساييات المسببات جرت بين الجميع تصيح بهم

صيحات الفزع والالام استولى عليهن رعب الهى فاندفعن بين المحاربين والقتلى
متدمات الى ازواجهن وابائهن تحمل طائفة منهن الابناء فوق اذرعتهن والاخريات
محمولات الشعور يدعون السابقين والرومانيين باعز الاسماء تأثر المتقاتلون وافسحوا
لهن مكاناً بين الجيشين المعضياحين آخر الصفوف وكان منظرهن يملأ القلوب
حنانا وبلغ أشده قولهم بعد النوم الحر العائد

«ماذا جئنا؟ بآية جريمة أو اى ذنب استحقينا ما جلبتم وما تجلبون علينا
من الآلام؟ . اختفظنا رجال بالتموة رغم كل شريعة واصبحنا منهم . ولم يفكر
فينا اخواننا واطباءنا واقاربنا الا بعد أن صار هؤلاء الرومانيون الذين كنا نبغضهم
اعزاء علينا . واصبحنا نألم ونبكي لتمثال أولئك الذين حملونا قسوتهم وظلمهم لم
تأتوا لناخذوا بشارنا أيام كنا لا نزال عذارى وجئتم اليوم تنتزعون نساء من
ازواجهن وامهات من البنائين ! يا ويلهن ! لم يسؤنا نسيانكم ايانا كما تسؤنا اليوم
عودتكم هذه ثمار العطف والحببة التى لقيناها من أعدائنا وهذه ثمار عطفكم
علينا ! اذا كان هناك باعث آخر حملكم على حمل السلاح لكان الواجب أن
تعدلوا عن ذلك اكراماً لنا نحن اللواتى جمعنا بينكم وبين من تحسبونهم اعداءكم
بروابط القرابة والصدقة . اما اذا كنتم تحاربون من أجلنا فخذوا معنا أصهاركم
وأحفادكم أعيدونا الى آبائنا واقاربنا دون تحرمونا من أزواجنا وأبنائنا . انا نضرع
اليكم أن توفروا علينا استعباداً جديداً . »

الحت هرسيلي بشدة وانضمت اليها رفيقاتها وأخيراً وقفت الحرب وتفاوض
الزعماء وكانت النساء تجمع بين ازواجهن وأبنائهن وبين آبائهن واخوتهن تقدمن
المؤونة للمحتاجين وتنقلن الجرحى الى منازلهن تضمدهن جراحهم وتواسيهم وتربهم
مكاتبتهن من ازواجهن وكيف انهن موضع عطف واحترام الجميع . وبعد ذلك
تم التعاقد على ما يلى :

ان النساء اللواتى ترغبن المقام مع ازواجهن لا ترغمن (كما قلنا) على شيء

سوى غزال الصوف . وان يشترك السايون والرومانيين في سكنى المدينة . وان يبقى لها اسمها (روما) من اسم رومولوس . وان يطلق على الرومانيين اسم الكريتيين أيضا نسبة الى وطن تاتيوس . وان يتولى الحكم تاتيوس ورومولوس بالاشترار وأن يقتسما قيادة الجيوش ولا يزال المسكن الذي عقدت فيه المعاهدة معروفة باسم « كويديس » المجتمع (محل الاجتماع) واذا تضاعف عدد سكان المدينة اخذ من السايين « مايا شيوخ » انضموا الى الندماء وزيدهم الفرقة كل الى ستة آلاف راجل وستاية فارس وقسم الشعب الى ثلاثة فرق الاولى رامننس (من رومولوس) والثانية تاتيننس (من تاتيوس) والثالثة لوسيرنس (المقدس) نسبة الى الغابة المقدسة التي افتتح فيها رومولوس ملجأ ولجأ اليه اغلب الذين عرفوا باسم وطنى روما : اما أنهم لم يقسموا في بدء امرهم الا الى ثلاث قبائل فمروف من ابناء القبائل او الفرق ؛ ومن لقب الزعيم الذى يلقب به رئيس كل منها تحتوى كل منها على عشرة اقسام ، يزعم البعض انها دعيت باسماء الساييات ولكنه زعم خاطئ لانها اساء اما كن . وقد خصت النساء بكثير من امتيازات الشرف والتكريم يخلى لمن اسمى مكان فى الطريق ولا تلفظ فى حضرتهن كلمة غير شريفة ولا يترأى لمن احد عاريا . وان القضاة الذين يعرفون جرائم خطره كبرى لا يذكرونها فى المحاكم . وان يلبس ابناءهن حلى تدعى فتاقيع لتشابهها فتاقيع المياه . وان يلبسوا ثيابا ارجوانية .

• زركشة

لا يجمع المالكان المجلس كله ليعرض عليه ما يعد من المسائل بل ينفرد كل منهما بدرسها درسا مبدئيا مع شيوخه ثم يعتمد المجلس للفصل فيها وكان تاتيوس يسكن المكان المعروف الان بهيكل مونيستا وكان رومولوس يسكن المكان المعروف باسم درجات الشاطى الجميل الواقعة فى الطريق الذى يمر به السائر من جبل بالاتن الى الملعب الكبير

ويقال ان شجرة الزيزفون المقدسة كانت فى هذا المكان وهى التى تروى .

عنها القصة الآتية : اراد رومولوس ان يتمكن قوته فرمى من اعلى جبل افاتين رمحا كان خشبه من الزيزفون فنفذ في الارض حتى صار من الخصال اخراجه . واذا كانت الارض جيدة نبتت فيها الشجرة وامتطت جذورها وتشعب غصونها عنى خلفاء رومولوس بهذه الشجرة غيرة منهم على صيانتها اذ كانوا يعتبرونها اثرا مقدسا فلحظوها بسياج فذا مر بها انسان ورأى ورقها اذا بلا لثقة (الرى) انطلق في المدينة ينشر هذا النبأ فيمتصيح الناس الماء ! الماء ! كأن هنالك حريق فتسرع الناس من كل جانب يحمل كل اناء مملوا ماء . ويقال انه عند ما كان كايوس قيصر يصلح تلك الدرجات اضر العمال وهم يحفرون ، بجذور تلك الشجرة على غير انتباه فدبات تواضع السابيون على استعمال شعور الرومانيين وقد ذكرنا في حياة توما كل مايمهم في هذا الموضوع . واخذ رومولوس عنهم الدروع الطويلة واستعملها هو واجند الروماني بدلا من دروعه . وكان الشعبان يشتركان في تقدماتهم واعيادهم بدون ان يعطل كل منهما اعياده الخاصة . انشاءوا اعيادا وتقدمات جديدة . ومنها عيد ماترونال (الامومه) حيث تسكرم النساء اعترافا بفضلهن في عقد السلام ومنها عيد كرمنتال وكرمنتا على مايقول البعض هي احدى الهات الجحيم التي تتحرك عند ميلاد الذكور ولذلك كانت الوالدات تخصصها بالعبادة . ويقول البعض انها زوجة ايفاندر الأركادى وهي نبية هامة تنطق بالوحي شعرا فتبنت كرمشتا من كلمة كرمينا اللاتينية ومعناها شعر . واسمها الحقيقي نيكوستراتا باتفاق جميع الكتاب . وبالرغم من هذا يقول البعض على شيء متى الحق ان كرمشتا معناها فقدان الخواص . اشارة الى ماكان يعتبرها من الهديان اثناء حمى التنبوء . لان كلمة كريبا اللاتينية تفيد الحرمان او فقدان كلمة منس تؤدي معنى الفهم او الادراك قد تكلمنا عن عيد باليلي وعيد نوبارك فهو باعتبار مايجرى فيه عيد كفارة وهو احد ايام فبراير المشهورة ، ومعنى اسم هذا الشهر التكفير . وكان يدعى هذا اليوم فيما مضى « فيرواتا » اما عيد لو بارك فعناده عيد الذئاب وفي هذه التسمية

ما يدل على قدمه وأنه نشأ في عهد الأركاديين أصحاب أفندر على أن هذا لا يصح أن يكون سببا . فقد يكون هذا الأسم مأخوذا من الذئبة التي كانت تغذى رومولوس ؛ وانا لنرى في واقع الأمر أن اللوباركين يبدأون شوط الجري من المكان الذي عرض فيه رومولوس على ما يقال . ومع ذلك ففي بعض مايجرى أثناء هذا العيد مايتلى شيئا من الغموض على أصله حيث يذبحون معزا ويقر بون طفلين من عائلة شريفة يسمها القايمون بالتقدمة بسكين داميه . يتلوهم آخرون يمسحون الأثر بخرقه من الصوف مغموسة في اللبن . وعتى تمت هذه العملية يضطر الطفلان للضحك ثم يأخذ اللوباركيون جلود المعز يصنعون منها احزمة ويجرون عرايا لا يسترهم سوى حزام من الجلد يضر بون بالسياط كل من يقابلونه ولكن الزوجات الصبايا لا تفر من هذا الجلد لاعتقادهن انه ذا اثر صالح في الحمل والوضع . وممايجرى في هذا العيد ان ائرا كضين يضحون بكاب . ويزعم بوتون (كاتب يوناني الاصل مجهول .) وقد اصطنع اشعاراً ذكر فيها عادات الرومانيين لا تستند الا الى خرافات . يزعم هذا الشاعر ان رومولوس بعد ان قهر أموليوس جرى فرحا حتى المكان الذي كانت الذئبة ترضع فيه الطفلين ثديها وان هذا العيد تقليد لجريه . وان أطفال العائلة الشريفة تجرى « وتضرب في سبيلها كما كان رومولوس وراءوس يجريان والسيف وصلت في أيديهما من ألبا .

ويقول ان مسألة مس الجباه بالسكين الدامية اشارة الى ما حدث ذلك اليوم من المنابح والمهالك . اما الاغتسال باللبن فشارة الى أول غذاء أعطى للطفلين .

اما كايوس اسيلوس وهو خطيب الشعب سنة ٥٥٦ لروما وضع مؤلفا باليونانية عنوانه التواريخ . فيزعم ان رومولوس وراموس قبل انشاء روما ضلا أثر قطعانها وبعد ان تقربا بتقدمة للاله « فون » اله الحيوانات . نزعاً ثيابهما لكي لا تعظما الحرلرة وأخذا في الجري لذلك يجرى الرا كضون في العيد عرايين .

أما التضحية فيمكن القول إذا فرضنا أنه عيد كفارة حقيقة فإنه ضحية خليقة بالتطهير: لأن اليونانيين أنفسهم يضحون بهذه الحيوانات فيما يشبه ذلك من التقدّمات وما أكثرها عندهم (انظر كتاب المسائل الرومانية لفلوطارخوس المسألة (٦٨) إذ كانت تنطوي على الاعتراف بفضل الذئبة التي غدت واخذت رومولوس فلا غرابة أن يضحى بكلب وهو العدو اللدود للذئب وقد يكون عقاباً لأنه يعطل اللوباركين في ركضهم . ويقال إن رومولوس هو الذي أنشأ عبادة النار المقدسة وأنه عهد برعايتها إلى عذارى تعرف باسم الفستال ويعزو البعض انشائها إلى نوما مع الاعتراف بأن رومولوس كان تقياً جداً وعالماً بفنون العياقة وكان يحمل عصا الفال وهي عصا مقوسة الطرف تستخدم عند مراقبة الطيور لتحديد مناطق السماء وكانوا يحرسون على الاحتفاظ بها في القصر . وقد ضاعت عند ما أخذ الغالون روما ولكن بعد طرد أولئك المتوحشين (البربر) وجدوها تحت كومة من الرماد لم تمسها النار بأذى مع أنها التهمت واقتلفت كل شيء في الضواحي

ويعدون بين الشرائع التي سنّها رومولوس شريعة قاسية جداً وهي تحرم على النساء مفارقة أزواجهن وتحويلهنّ لغيرهنّ إذا طلق النساء إذا اقترفن جريمة التسميم (دس السم) أو ادعاء الأطفال أو امتلاك مفاتيح مزررة (مقلدة) أو لعلّة الزنا . أما إذا طلق الرجل امرأته لغير إحدى هذه العلل فتأخذ الزوجة نصف ماله وتعطى النصف الثاني للالهة سيرس . ويلزم الزوج بتقديمه لآلهة الحجيم .

ومن أغرب ما يؤخذ على رومولوس أنه لم يذكر جريمة « قتل الوالد » وإنما يطلق هذه الجريمة على كل من قتل انساناً . كأنه يعتبر جريمة قتل الانسان جنابة لا تغتفر وأنه من المحال أن يقتل الولد أباه . والحقيقة أنه مضى على روما ستمائة سنة لم تقترف فيها ما يشبه قتل الوالد . وكان لوسيوس أوستيوس أول من اقترفها وذلك بعد حرب هنيبال . وكفى .

حدث بعد مضي خمس سنوات على حكم تاتايوس أن جماعة من ذوى

قرباء قابلوا وفدأ من لورنت قاصداً رومه فطمعت الجماعة في أهوال
المسافرين وأرادوهم على تسليمها فبقي عليهم هؤلاء رطلهم ووقفوا لهم موقف المنافع عن
نفسه فتمهات عليهم جماعة تاتيوس وقتلوهم فطلب رومولوس أن يسلم الجائون فاعتاب
ولكن تاتيوس أخذ يسوف ويماطل وكانت هذه أول مرة شجر فيها الخلاف بينهما إذ
كانا سائرين معاً على اعتدال وانفاق ولما عبي اهل التملى أقامة العدل بسبب تاتيوس
هجموا عليه وهو يندم تقدمه مع رومولوس الا انه لا فاقا تيوموم وقتلوه . ولما كتبهم اخذوا عدل
رومولوس وساروا حوله هاتمين . أخذ رومولوس جثة تاتيوس واجرى له الجنائزة
الثلاثة بمقامه ودفنه في جبل اثنتين بالقرب من المكان المعروف باسم
« أرميا وستورايوم » ولكنه لم يهتم بالانتقام له . ويزعم بعض المؤرخين ان
ان اللورنتيين حدا بهم الخوف الى تقديم قتلة تاتيوس اليه فطلق سراحهم
قئلاً لقد انتقم التمل للتمل . وكان هذا المسلك سبباً ما قيل بأنه ارتج فانتخلص
من زميل . ومع كل فلم ينشأ عن هذا الحادث اضطراب ما . ولم يتخذ الساييون
ذريعة للعصيان ضده . البعض عن طريق الحطب لشخصه والبعض خوفاً من
بطشه والبعض احتراماً واعجاباً لانه في نظرهم إله . وكثير من الشعوب كان
يخطف رومولوس بهذا النوع من الاكرام وهكذا أرسل اليه قدماء اللاتينيين وفدأ
ليعقدوا مع الرومانيين معاهدة اتحاد وصدقة .

ويزعم البعض أنه أخذ مدينة فيدين على خرة وهي قريبة من رومة . أرسل
اليها اولاً فرساناً حطوا متاريسها ثم اخذ الالهات على خرة . ويزعم البعض أن
الفيديين هم الذين بدأوا بالاغارة على أراضي روما وخربوا القرى فكان دم
رومولوس وفاجأهم عائدين وأخذ مدينتهم ولكنه لم يخرّبها ولم يهدم مبانيها
بل أقام فيها جالية رومانية وأرسل اليها يوم عيد ابريل الفين وخمسةائة
وطنى ايسكوبها .

وحدث بعد ذلك بقليل ان أصيبت روما بطاعون قتل وامتد حتى الى

الاشجار والحيوانات فعمت . وامطرت المدينة دما . فضيف الى هذا الشتاء رعب وهمي ولكنهم اذ رأوا الورثا حل بها مثل ما حل بالمدينة لم يبق ندى الاهالى شك في أنه محضب الله على المدينتين عقابا لمقتل تاتيوس وجماعة المسافرين والحقيقة انه منذ سلم الجانون من الجانبين خفت وطأة الوباء وظهر رومولوس للمدينتين بكفارة يقال انها لا تزال قائمة حتى اليوم تعمل عند باب قرانتيين وقد هاجم الكاتريون الرومانيين قبل انقطاع الوباء انقطاعا تاما وهمين ان هؤلاء قد اعيانهم الوباء فلا يستطيعون الدفع عن انفسهم . ولكن رومولوس لم يضع الوقت سدى بل اسرع اليهم فبرز مهم تاركا في ميدان القتال ستة آلاف ، واستولى على المدينة ونقل من اعلمها نصف الباقين الى روما وانزل اليها من الرومانيين ضعف ما بقى بها من الاهالى وكان ذلك في شهر أغسطس . ولم يمض على بناء روما ستة عشرة سنة حتى غصت بالسكان على ماترى . ووجد بين اسلاب الكامر يوم عريقة من النحاس الاصفر تجررها أربعة جياد . فقدمها رومولوس الى هيكل فولكان واقام عليه تمثاله متوججا بتاج النصر .

كان له من تعاطف شأنه ما الحى الضعفاء من جيرانه اساطفاته قنعين منه بالسلام . اما الاقواء فقد تولاهم الخوف والحسد وشعروا ان رومولوس جار لا يستهان به . فيجب عليهم تعطيل تقدمه ومعتقته . رأى « النيبون » انهم أصحاب اراض شاسعة ومدينة كبيرة فبدأوا العداة اذ طال به يوم بان يرد اليهم فيدين باعتبارها احدى مدنهم وهو زعم ليس فقط غير عادل بل أنه مضحك لصدوره من قوم لم يقدموا اية مساعدة للفيديين وقت انظار ايات حروبهم مع الرومانيين ثم يأتون بعد سكوتهم عن قتل الرجال يطالبون بيوتهم واراضيهم بعد أن وضع عليها انغير يده . ولما طردهم رومولوس باحتقار قسدوا جيشهم الى فرقين وجروا احدهما لمخاربة الرومانيين في مدينة فييدان والاخرى ملاقة رومولوس فافاجت الاولى وقتلت من الرومانيين الفين ولكن الاخرى هزمت شر

هزيمة وقدمت اكثر من ثمانية آلاف من رجالها ثم وقعت معركة اخرى بالقرب من نيدان شهد الجميع انه كانت من عمل رومولوس الذي بذل فيها كثيراً من المهارة والبسالة واظهر من القوة فوق طوق الانسان ولكن رواية القائلين ان رومولوس قتل بيده نصف الاربعة عشر الف جندي الذين بقوا في حومة الوغى خرافة لاتصدق كما ان المسانين متهمون بالمبالغة لقولهم ان اريستومين قدم ثلاثة مرات مقدمة هيكاتوفوني لانه قتل ثلاثااية سبارطي في ثلاثة معارك .

لم يله رومولوس باقتفاء اثر الفيين بل قصد لفورد مدينة فايس فلم يبد الأهالى مقاومة بعد تلك الصدمة . وقبل رجاءهم في ان يعتقد معهم معاهدة لمدة مائة سنة بشرط أن يسلوا الرومانين جانباً كبيراً من اراضيهم يدعى السبع (جزء من سبعة) وان يسلوا إليه الملاحات المجاورة للنهر وخمسين من كبارهم رهائن . وأقام رومولوس حفلة النصر في شهر اكتوبر بحجور راءه عدداً كبيراً من الاسرى بينهم قائد الفيين وهو شيخ سلك مسلك الطيش بدل أن يسير على ما يليق بخبرة سنه . ومنذ ذلك جرت العادة في حفلات النصر أن يأخذ شيخا الى الكابتول بعد الطواف به في الاماكن العمومية يصيح دونه المنادى (سردى للبيوع) لان الاترسكيين يعتقدون أن جالية جاءت من سرد الى ليديا وعليه تكون فايس مدينة اترسكيه .

كانت هذه خاتمة حروب رومولوس لم يستطع بعدها اجتناب العثرات التي لايقع فيها إلا القليل ممن نهض بهم الحظ الموفق إقمة السيادة والشرف . إذ دهي بنجاحه وامتلأ ثقة بنفسه واستخف بالجمهور وطني . واستاء الناس من بذخه في الملابس إذ كان يلبس الرداء الارجواني ومن دونه الفروة . وكان يعقد الجلسات وهو جالس على مقعد منقلب . يحيط به شبان يدعون الراكضون لسرعتهم في تنفيذ أوامره . وكانت تمشي أمامه طائفة من هؤلاء يحملون عصيا يبعدون بها الناس عن طريقه يحملون أطواقا يغنون فيها من يأمرن بالقبض عليه ويطلقون

على هؤلاء آقب (المشايد) لما كانوا يحملون من عدة يشدون بها الوثاق على
المغضوب عليهم .

وقد آل الحكم الى رومولوس بعد وفاة جده نوميستور . على ألبا . ولكنه
عامل هذا الشعب بكرم إذ نزل لهم عن حكومة بلادهم محتفظا لنفسه فقط بحق
إرسال حاكم يقيم العدل بين الألبين . وكان هذا ميثاق الشهوات عطاء روما
يطلبون السيادة على بلد مستقل لملك فيه يطاعون ويطيعون في وقت واحد .
ولم يكن الشيوخ « أعضاء مجلس الشيوخ » أصحاب رأى في إدارة الحكم
ولم تكن ألقابهم سوى علامات شرف إذ كانوا يدعون إلى المجلس بحكم العادة
لالمفاوضة والمناقشة ؛ يسمعون صامتين أوامر الملك . ولم يكن لهم من فضل على
الجمهور سوى سبق المعرفة بما تقرر . ومما زاد صدورهم حرجا ان رومولوس
بمحض ارادته ، وبدون موافقتهم ولا استشارتهم ، وزع على الجند الاراضى
المكتسبة ورد الى الفينين رهائنهم .

رأى المجلس فى ذلك ذراية وامتھانا ، لذلك وقعت الشبهة على الشيوخ عند
اختفاء رومولوس بعد ذلك بقليل ورماهم الناس بالظنون والتهم ، اختفى
رومولوس فى أول شهر يوليو الذى يطلق عليه الآن اسم كنتليوس ، وكل
ما يعرف عن حادثة وفاته إنما وقعت فى ذلك اليوم . ولا تزال تقام الحفلات فيه
ذكرى لهذا الحادث وليس فى اختفاء الحقيقة بالامر الغريب فقد وجد سيبيون
الافريقى ميتا فى منزله بعد العشاء ولم يعرف أحد كيف مات . قال البعض إنه
مات لكبر سنه وضعف بنيته ، وقال آخرون انه تناول سماً . والمظنون ان اعداءه
أغاروا على بيته ليلا وخنقوه ؛ على ان جثته عرضت على الجمهور وكان لكل
انسان أن يرى فيها دليلا على كيفية موته « . اما رومولوس فقد اختفى دفعة
واحدة ولم يبق من جسمه اثر ولا من ثيابه خرقة . لذلك يظن أن الشيوخ وثبوا عليه
فى هيكل فولكان وقتلوه وأخذ كل منهم قطعة من جثته يخفيها تحت رداءه .
(٨٢ - العظام)

ويقول البعض إن اختفائه لم يحدث لاني هيكل فولكان ولا في حضور الشيوخ وخدمهم . كان رومولوس قد عقد ذلك اليوم جلسة للشعب خارج المدينة بالقرب من غدير العنزة . هبت فجأة عاصفة لا يستطيع القلم وصفها . وقامت في الجوز وبعده أخفت ضوء الشمس ، انتشر الظلام على الأرض ولم يسمع سوى دوى الرعد من كل جانب . وكانت رياح هوجاء تهب شديدة . استولى الذعر على الناس فاختتموا ولكن الشيوخ التفتوا حول بعضهم البعض هدأت العاصفة وعاد للنهار ضوءه ، وعاد الشعب إلى اجتماعه ؛ وكان أول همه البحث عن مله واستطلاع اخباره ، منعهم الشيوخ عن البحث والتنقيب وامروا جميع الرومانيين ان يقيموا عبادة رومولوس ، قائلين انه رفع الى مصاف الالهة . كان ملكا وديعا كريما فصار لىكم إلها . صدق الشعب اقوالهم وعاد بين الفرح والامل وعكف على عبادة الهه الجديد . ولكن الريب والانتقام اوغرا صدور البعض فطلب كشف الستار عن الحقيقة . ازعجوا الشيوخ اذ اتهموهم بقتل الملك واخفاء الجريمة باحاديث مضحكة .

بينما كانت الحال على هذا الاضطراب اذ تقدم احد اشراف الشيوخ وهو رجل معروف بفضله وصدقه . مهيب الجانب وافر الكرامة محترم من الجميع ، يدعى يوليوس بروتوكولوس كاتم سر وصديق رومولوس وكان زميلا له في رحلته من ألبا الى روما . تقدم هذا الرجل الندوة العمومية (الفوروم) بحضور جميع الشعب واقسم واضعا يده على المذبح ؛ انه بينما كان سائرا ترى له رومولوس في اجمل وابهى ما يكون يحمل سلاحا وهاجا كالنار ، استولى عليه الرعب عند رؤيته وانه صاح به : ماذا جنينا ايها الملك ؟ لماذا تركتنا غرضا لتهم ظلمة وتركت المدينة كاليتم غارقة في الحداد ؟ اجابه رومولوس هندارادة الالهة يا بروتوكولوس بعد ان عشت بين الناس زمنا طويلا و بنيت مدينة ستفوق جميع المدن قوة ومجدا واذ كنت ابن السماء فقد عدت للمقام في السماء . وداعا اذهب وقل للرومانيين : ان لهم من الاعتدال

والشجاعة خير الوسائل لبلوغ قمة السيادة . اما انا فساكون اله الوحي مختار النفس
اسم « كيرينوس » آمن الرومانيون بصدق هذه الرواية ثقة منهم بصدق راويها
وقسمه . استشعر كل منهم بتأثر قاهر ووحى اله ولم يفكر احد في المماضة وعدلوا
عن ظنوتهم وخر الجميع ساجدين ومصلين لكيرينوس ضارعين ضراعتهم لاله .
تشبه هذه القصة مايزعمه اليونانيون عن ارستياس البروكوزى وكليومد استياله ،
مات ارستياس في دكان صقال واسرع اصحابه لاخذ جثته ولكنهم وجدوها قد
اختفت . وقال جماعة آتين من سفراتهم لقوه في طريق كروتون . اما كليومد فكان
رجلا في بنية وقوة لامثيل لها ولكنه كان عرضة لنوبات جنون وغضب تدفعه الى
اعمال غاية في الشدة والقسوة . دخل يوما مدرسة اطفال وضرب عمود القبة فخطمه
وسقطت القبة على الاطفال وسحقتهم ولما رأى كليومد الناس يجرون وراءه دخل
صندوقا واغلقه عليه وشد على بابه بقوة لم يستطع الناس فتحها متألمين فاضطروا
لكسر الصندوق ولكنهم لم يجدوا به الرجل حيا ولا ميتا . بلغت الدهشة منهم
اشدها فبعثوا من استوحى لهم وحى ولف مخبأهم النبأ الآتى : ان كليومد استياله
آخر الابطال . ويقال ايضا ان جثة الكيمين اختفت بينا كان الناس يسرون
بها الى الحريق ولم يجدوا مكانها سوى قطعة حجر . وهناك كثير غير هذه من
القصص التي لا تقل عن هذه بعدا عن الحقيقة ارادها واضعوها ان يشركوا الانسان
الفانى مع الالهة في الخلود . حقيقة انه من الكفر والحسد ان ننكر ما في الفضيلة من
الصفات الالهية ولكن من الغباوة ان نخلط بين السماء والارض . لنحرص على
الحق ولنقل مع بنداد : ان اجسام جميع المخلوقات خاضعة لسلطان الموت ، ولكن
هناك صورة تعيش ابداً وهي صورة ماياتى الينا من الالهة ان هذا
الجزء من الالهة وهو يعود اليهم لامع الجسد بل بعد ما يتخلص من الجسد .
اذ ينفصل عنه تمام الانفصال ويصير طاهراً تقياً لا يتصل بشيء من الجسد
الفانى . قال هيراكليت ان النفس وحدها هي الكاملة ، تنطق من الجسد انطلق

البرق من السحاب . اما التي انغمست مع الجسد وصارت شهوة جسدية فهي كالبخار الكثيف القائم تلتهب بصعوبة وترتفع ببطء . فلنحذر ان نرسل الى السماء مع نفوس الابطال اجسامهم التي تأتي عليها طبيعتها ذلك . انما نرسل مع نفوسهم فضائلهم : فيكون من المؤكد انهم بفضل العسل الالهى يتجولون من اناس الى ابطال ومن ابطال الى عبقرين . ومضى لهم السلام ونالوا الرضى التام واجتنبوا كما يفعل المتقدمون فى الاسرار ، شهوات الجسد الارضية النائية حينئذ ينقلون الى مصاف الآلهة لاجرسوم أو قرار على وبروح الحقيقة وانها تقضاء شرعى وهناك ينعمون باجمل وابهى سعادة .

وقد اختلفت الاقوال فى لقب كيرينوس الذى أعطى لرومولوس ، يقول البعض ان فى معنى كلمة « مارس » ويقول البعض انه نحت من كلمة « كيريت » التى اطلقت على الرومانيين ، ويقول البعض ان القدماء كانوا يدعون حديد الرمح أو الرمح ذاته « كيريس » ويدعون تمثال جوتون الذى يضعونه أعلى الرمح كيريتيس ، وكانوا يدعون الرمح الذى يقدسونه فى القصر « مارس » . وكان يعطى المتفوقين فى الحروب رمحا مكافأة لشجاعتهم ، وعليه يكون رومولوس قد دعي كيرينوس لانه كان محبوبا من مارس اولانه اله سلاحه الرمح . وقد اقيم لهذا الاله هيكل على الجبل المعروف باسم (جبل كيرينال) أو الكيريني عرف يوم اختفائه بيوم هروب الشعب ، وعذارى كبرائين (العنزة) (كبرا كلمة لاتينية معناها العنزة) . وكانوا يقدمون فى ذلك اليوم القرابين خارج المدينة بالقرب من مستنقع العنزة وكان من عاداتهم عند خروجهم لتلك التقدمة ان يتصايحوا منادين أسماء مختلفة مثل ماركوس ، لوسيوس كايوس تشبيها وتقليدا لما وقع منهم أثناء فرارهم . اذ كان الفرع قد ذهب بصوابهم واختلط عليه حتى معرفة الاسماء . ويقول البعض ان ذلك لم يكن تمثيلا لخرقة ولكنه تمثيل لاناس يسرعون مهرولين . واليك الدبيب . لما طرد كامي جيوش السالميين عن المدينة

وكان الاهالى قد كدهم التعب وخارت قواهم . عندذاك اجتمعت شعوب من اللاتيوم على رأسهم ليفيوس يوستيميوس وقفوا بجيوشهم أمام روما . أرسل قائد الشعوب مناديا ينادى : ان اللاتينيين يريدون تجديد المعاهدة القديمة التي كادت تتلاشى وانه يجب ان يحدد اتحاد الامتين بروابط زواج جديدة : فاذا أرسلت اليهم عذارى وأرسل فتية كانت بينهم صداقة على مثل ماحدث لهم مع السابين اضطرب الرومانيون لهذه المطالب وحاروا في أمرهم بين حرب يخشونها وبين ارسال نساء يجعلهم ارسالهن في حكم الخاضعين لللاتينيين . وبيناهم في حيرتهم جاءت جارية تدعى فيلوتيس وفي رواية أخرى توتولا . ونصحت لهم ان يعمدوا الى حيلة توفر عليهم عناء الحرب وتخليبهم من قبول تلك المطالب . اما الحيلة فهي ان يرسلوا الى العدو فيلوتيس ذاتها ومعها أخريات من حسان الجوارى الرقيق . يلبسن ثياب الحرائر . وتهيجن الليل ترفع مشعلا موقداً من معسكر الاعداء فيخرج اليهم الرومانيون مسلحين يأخذونهم على غرة وهم نيام : قبل رأى تلك المرأة ووقع اللاتينيون في الفخ رفعت فيلوتيس المشعل من اعلى شجرتين برقة . وأسدلت بين المشعل ومعسكر العدو ستائر وابسطة تخفي عنه ضوءه . رآه الرومانيون وهم ولوا مسرعين يتنادون . اخذوا العدو على غرة ومزقوا شملته شرمزق . واحتفاء بهذا النصر يقيمون عيد هرب الشعب ويدعون يومه يوم عذارى شجرة التين ، يؤدبون في ذلك اليوم وليمة للسيدات في ظلال اشجار التين . وتطوف نساء الرقيق لاعبات تترامى بالحجارة تقامداً لما كانت تصنعه الاماء مساعداً للرومانيين إذ كن يرمين العدو بالحجارة . لم يذكر هذه الرواية إلا قليل من المؤرخين على أن طريقة التنادى والخروج نهاراً وتقديم القرابين بالقرب من غدير مستنقع العنزة أكثر ملاءمة للرواية الأولى هذا اذا لم تكن الحادثنان قد وقعتا في يوم واحد لازمنة مختلفة ومهما يكن من أمر هذه الروايات فان رومولوس قد اختفى من بين الناس وهو في الرابعة والخمسين من عمره وفي السنة الثامنة والثلاثين لحكمه

الموازنة بين تريوس ورومولوس

هذا بالاستطاعت جمعه حقيقيا بان يذكر عن تريوس ورومولوس . رأينا تريوس حراً غير مكره وفي وسعه ان يخلف جده في حكومة لا تنقصها الأبهة وان يعيش ناعم البال في ترابين رأيناه يقدم من تلقاء نفسه وثابا على العظام . ورأينا رومولوس على حد قول افلاطون لا يجراً على العظام الا عن خوف وفرار من الرق الذي كان يعيش فيه ، ومن عقاب الموت الذي كان يهدده ، وكان اخطر ما قام به هو قتله ظلماً واحدا هو حاكم البيا . اما انتصارات تريوس على سيون ، وسنيس وبرو كوست وكورنت ، لم تكن سوى لهو وطلائع اعمال . لم يكن حين اهلك أولئك الطفلة وقضائه على طغيانهم وانتقاده اليونانيين من شرهم معروفاً من احسن اليهم كل هذا الاحسان . اصف الى ذلك انه لو اراد السفر مجراً لسافر مطمئناً آمنآ جانب أولئك السفاحين . اما رومولوس فلم يكن له من سبيل للطمأنينة مادام اموليوس حياً واليك دليلاً على تفوق تريوس انه دون ان تصل اليه اية اهانة شخصية انحط على أولئك الاشرار الخير الاخرين . اما رومولوس واخوه فكانا يعيشان مطمئنين مادام بعيدين عن اذى الطاغية لايباليان بما يصيب الناس من شره . ولئن برهن رومولوس على بسالة حين جرح في حربته مع السابينين ، وحين قتل أكرون بيده وحين انتصر على اعدائه في حومة الوغى ، فلاندرى كيف نوازن بين هذه الاعمال الجليلة و بين حروب تريوس مع المونيهور والمترجلات (الامازون)

اما اقدام تريوس على تحرير اتيينا من الضريبة التي كانت تدفعها إلى كريت وسفره مختاراً مع الفتيان والفتيات وتعرضه لخطر الموت فريسة المونيهور او الذبح على قبر اندروجيه او احتمال نير العبودية من قوم معروفين بغلظة أكبارهم وقسوة طباعهم . فلا نستطيع التعبير عما يستلزم هذا الاقدام من الشجاعة وعظمة النفس والاخلاص للخير العام . يالها من رغبة شديدة في المجد والفضيلة . لا اظن

الفلاسفة مخطفين في قولهم ان الحب قانون وضعته الآلهة لحماية الناس وحفظ
 كياناتهم (١) ان حب اريادنه كان ولا شك من عمل الآلهة استخدمته لنيجاة
 تزيوس فلا نلوم من اولعت به ذلك الولوج الشديد بل يجب ان ندهش من أن
 جميع الرجال وجميع النساء لم يحملوا اله مثل هذا الحب . ولكنى استطيع القول
 ان هذا الغرام الذى احسنه وحدها هو الذى جعلها أهلا لحب اله ؛ لان من
 احبته كان الجمال والخير والبطولة . ولقد احبت فيه من أحب الجمال والخير والبطولة .
 خلق تزيوس ورومولوس ايحكما وكلاهما لم يعرف الحرص . على طبيعة
 الملك : امتنها الملكية احدهما عن طريق الديموقراطية والآخر عن طريق
 الاستبداد ، سقط كلاهما فى غلطة واحدة عن طريقين مختلفين . ان أول واجب
 على من يتولى الحكم هو صيانة المملكة . يجب عليه أن يجتنب مالا يجب
 ويأخذ بما يجب واذا زاد في لينه أو شدته لم يعد ملكا ، ولا رئيس شعب بل
 يكون ممانقا أو ظالما يجلب على نفسه البغض او الاحتقار . ينشأ احد هذين العيبين
 عن الدعة والانسانية وينشأ الآخر عن الأنانية والقسوة .

اذا لم نلق تبعه شفاء الناس على القدر وحده . وراينا من الواجب ان تقدر
 مالا يضرب العقول والقلوب من الاثر ، فلا يسعنا الاغضاء عن الغضب الاعى
 والانفعال المشهور اللذين ركبهما رومولوس ضد أخيه وتزيوس ضد ابنه . واذا
 راعينا الظروف كان أولاهما بالعذر من كانت أسباب هياجه خطير ، وكانت
 صدمته أشد عنفاً . شجر الخلاف بين رومولوس وبين أخيه على مسألة عامة تحت
 المداولة ولا يمكن ان نفهم كيف ذهب به الانفعال إلى ذلك الحد . اما تزيوس
 فكان فى ثورته ضد ابنه خاضعا لمؤثرات قوية لم يستطع التغلب عليها إلا لئيل
 من الناس : الحب والغيرة دوشايت امرأة . وهناك فرق عظيم بانتهى غضب
 رومولوس الى عمل وفاجعه ؛ اما غضب تزيوس فانتهى الى سباب ولعنات

وهي الانتقام العادي للشيوخ . اما نكبة ابنه فمن صنع القدر . وعليه يتعين علينا ان نعطي الافضلية في هذه المسألة لزيوس .

يمتاز رومولوس أن سلطانه بدأ حقيراً اذ كان هو واحده عبيدين معروفين انهما أبناء راعي الخنازير ؛ حررا أنفسهما قبل أن تتحرر جميع الشعوب اللاتينية تقريباً ونالا أعظم الالقاب وأمجدها ، انتصرا على اعدائهما وانقذا الاهالي ؛ وحكما الامم واقاما المدن وأنشأها دون أن يعمدا الى نقل السكان كما فعل تريوس الذي فخر بمدنا مأهولة قديمة معروفة باسماء ملوك وأبطال لكي يجمعها هيئة واحدة ومركزاً واحداً . يمتاز رومولوس أيضاً بالزامه الشعوب المغلوبة على أمرها بهدم مدنهم والسكنى مع الفاتحين ولم يكن الغرض في الاصل نقل أو توسيع مدينة انشاء كل شيء من لا شيء ؛ أوجد أمة ووطناً ومملكة وعائلات وروابط زوجية ومماهدات لم يصب أحد من جرائها موت ولا خراب بل كان العكس ، خيراً عظيماً لجميع اللاجئين الذين لم يكن لهم ملاذ ولا ما يجتمعوا ليكونوا شعباً ويصيروا وطنيين . لم يقل رومولوس قاطع طريق ولا عابثاً ، ولكنه أخضع أمماً ومدناً وأجرى في موكب نصره ملوكاً وقواداً .

تضاربت الاقوال في مقتل روموس ، يعزو البعض الجريمة الى غير رومولوس ومن المؤكد أنه انقذ والدته من الموت وأجلس جده نوميكتور على عرش انياس بعد ما آل به الامر الى عبودية حقيرة .

أوفى له الخدمة راضياً ولم يسئ اليه حتى عن غير قصد . أما نسيان تريوس أو اغفاله العمل بوصية والده في تغيير شراع المركب فليس له في اعتقادنا مبرر ولا تخليه البراهين المطولة ؛ في نظر أحدل القضاة من عقاب قاتل والده . تكلف أحد كتاب اثينا الثناء عليه فدعى أن يجيبه لما علم بقدم السفينة أسرع مهرولا الى القلعة ليراه عن بعد فزلت قدمه وهوى . وكان لم يكن معه أحد من حاشيته أو أتباعه .

ولا ندرى عذراً لتزيوس في اختطاف النساء ، ارتكب هذه الجريمة غير مرة ، سبي أريدينية ، وانتيوب ، وانا كسوس من ترازان وبعدهن هيلانه وهي دون سن البلوغ . سبي وهو شيخ طفلة صغيرة حين لم تكن شيخوخته لتسمح له بالذنو من امرأة وان كانت حلالاً . على أنه ليس للسبي ذاته سبب معقول لان بنات ترازان وسبارطه والمرتجلات لم تكن له مخطوبات ولاهن أهلاً لان تعطيه أبناء مثل الاتينيات بنات أريخته وسيكروب . فهو ولا شك موضع للتهمة وانه لم يسلك في ذلك سوى مسلك الهوى والشهوة

أما رومولوس فتمسبى مالا يقل عن ثمانمائة امرأة لم يخص نفسه بين جميعاً بل اكتفى بواحدة وهي هرمليا وترك الاخباريات لكبار الوطنيين . وقد ثبت من سلوك الرومانيين مع تلك النساء المسلك الحسن أن الغرض من ذلك السبي هو اتحاد الشعبين وهذا عمل حكيم وسياسة رشيدة . ، جمع بذلك الشعبين وجعل منها أمة واحدة وكان ذلك منشأ الرعاية والود المتبادلين بين السايين والرومانيين ومنشأ قوة وسيادة رومولوس .

ان الزمن خير شاهد ينطق بما أوجده رومولوس في الاسر من الحياء والحب والوفاء ، اذ مضت مائة وثلاثون سنة لم يحدث فيها أن رجلاً هجر امرأته او امرأة هجرت زوجها لم يعرف سوى الخبراء من اليونانيين اسم أول قاتل لاييه ، كما يعرف الرومانيون أن سبور يوس كارفيولوس أول من طاق امرأته على انه كان له من عقمها عذر . هذه شهادة السنوات التي تلت حادثة السبي . وقد نجم الاتحاد عن ذلك ووزعت السلطة بين المالكين وسنت قوانين المدينة التي جرى عليها الشعبان . أما زواج تزيوس فانه على العكس من ذلك لم يجلب للاتينيين صداقة ولا عهداً بل عداوة وحروباً وقتلاً شديماً : وقد انتهى بهم الى ضياع مدينة (افيدنس) ولم ينج اهله الا بشق النفس واطراح انفسهم على اقدام اعدائهم ضارعين اليهم كأنهم آلهة حتى

وثنا لهم واقالوهم من ان يصيبهم ما اصاب الترواويين بعد ان سبى اسكندر (١)
هيالنه ولم تنج والده تزيوس من الخطر اذ اصابها ما اصاب (ها كوبا) اذ تخلى عنها
ابنها خيانة ، اذا لم تكن هذه الرواية خرافة كما يقال عنها وسواها من حوادث تزيوس
على ان ما ينسب للالهة من رعاية نحو تزيوس ورمولوس يجعل بينهما فارقا كبيرا :
حمت الالهة رومولوس في ميلاده وكانت حمايتها ظاهرة بارزة في حين انه يظهر من
نهي الالهة لا يحببه ان يمس امرأة على ارض غريبة. ان تزيوس جاء الى العالم بالرغم
من ارادة الالهة :

(١) هو المعروف باسم باريس عند اليونانيين

ليكورجوس

نحو سنة ٨٨٤ ق . م .

لا تسمع كلمة عن ليكورجوس المشرع الا وسمعت ما ينافيها . فقد اختلفت
الاقوال في اصله واسفاره وموته حتى شرأعه والحكومة التي انشأها ، واشدها
اختلافا ما قيل عن زمن وجوده . من الناس من يقول انه كان معاصرا لايفتيوس
وانه عاصده على الهدنة ايام الالعب الاولمبية . ومن هؤلاء الفيلسوف ارسطو ،
مستشر يدين بالقرص الذي يعرض في اولمبيا وعليه اسم ليكورجوس ولكن بدل
ارتونستيم (١) وابرلودور (٢) الذين يحسبون الزمن باعتبار عدد ملوك اسبارطه
يرجعون به الى عدة قرون قبل تلك الالعب ويزعم « تبا » (٣) انه وجد اثنان
في اسبارطه بهذا الاسم في ازمئة مختلفة وقد نسبت الى اشهرها الاثنين ويقال
ان اسبقهم عاصر هو ميروس ، ويزعم البعض انهما تقابلا ، ويريدنا كسونوفون
على الاعتقاد بقدم عهد ليكورجوس اذ يرجع حياته الى زمن الهراقلة والحقيقة ان
اواخر ملوك اسبارطه كانوا من هذه الاسرة ولكنهم توصلوا الى الخلافة
هراقل مباشرة على انا بالرغم من هذه التناقضات التي يظهر التاريخ على سطحها
سنعني فيما نورد من سيرة ليكورجوس باقل الحوادث تناقضا على ما تسمح به رواية
الثقة

قال الشاعر سيمونيدان ليكورجوس لم يكن ابن ايمونوس بل ابن برتيمانيس
وبحالفه اكثر المؤلفين في هذا القول . كان والد ديوس يدعى باتروكس بن اريستوديم
وخلف ولدا يدعى اريتون . وهذا ، ولدا يدعى برتيمانيس وهذا ولدا يدعى اينوهوس
رزق ولدا من امرأته الاولى دعاه بولتيكيستس وآخر من امرأته الثانية دياناس دعاه

(١) مؤرخ وفيلسوف وشاعر عاش في عهد بطليموس فيلوباتر (٢) لغوي له مؤلف دعاه
المكتبة وكان معاصرا للمؤرخ السابق (٣) من صغليه وكان معاصرا للسابقين

ليكورجوس . ويزعم المؤرخ او تيخيداس أن ليكورجوس هو السادس من سلالة
باتروكس والحادي عشر بعد هرقل

كان سويوس اشهر اسلافه وفي عصره استعبد السبارطيون اهالي هيلوت
ووسعوا اراضيهم باغتصاب جزء كبير من اراضي الاركاديين ويقال انه لما حاصر
سديوس الكليطورين في مكان صعب لاماء فيه قبل النزول عن الاراضي التي
اكتسبها السبارطيون بشرط ان يسمحوا له ولرجاله ان يشربوا من مياه النبع
المجاور ، وبعد أن تبادل الجانبان الايمان جمع سويوس رجاله وأعلن فيهم انه
يتنازل عن الملك لمن يمنع عن الشرب . فلم يقووا على ذلك وبعد ان شرب الجميع
كان هو آخر من نزل الى النبع واكتفى بان رطب وجهه من مائه مستشهدا
اعداءه الذين كانوا لا يزالون هنالك . فاحتفظ بالاراضي بدعوى ان الجيش كله لم
يشرب ولكن بالرغم من اعجاب الجميع به لم يعط اسمه خلفائه بل دعوا
لارينتونيين كنسبة الى ابنه والسبب على ما أظن أن اريتيون أول من تراخى
في ساطة ملوك سبارطة المطلقة تلقا للجمهور واكتساب الرضاة

نشأ عن تسامح اريتيون ازدياد مطالب الشعب فكان خلفاؤه من الملوك
موضع سخط الشعب كلما حاولوا رده بالقوة ، وموضع زداية كلما تراخوا بمحاملة
وضعفا . لذلك بقيت سبارطة زمنا طويلا فريسة للفوضى حتى ان احسد الملوك
وهو والد ليكورجوس ذهب ضحية بينما كان يفصل بين متشاجرين اصيب بطعنة
سكين قضت عليه وترك الملك لابنه البركر بوليد كتيس فتوفي هذا بعده بقايل
فكان المنتظر ان يتولى ليكورجوس الحكم والواقع انه صار ملكا لان احدا لم
يكن يعلم ان زوجة اخيه حبلى ، ولما ذاع هذا الخبر قال ان الحكم من حق الطفل
اذا كان ذكراً ولم يجر الاحكام الا بصفة وصيا . وكان من عادة السبارطين ان يدعو
الوصى على الملك اليتيم قبا .

ارسلت اليه الأمل خفية من أفهمه أنه لورضى بها زوجة وصار ملكا فلما اتقتل

ثمرة احشائها . استفزع ليكورجوس لؤم طبعها ولكنه لم يرفض طلبها بل تظاهر بانها اقفة قليلا أنه لا يرى حاجة للاجهاض فتد يؤذى الشراب المجهض صحتها ويعرض حياتها للخطر وانه سيجد متى ولد الطفل وسيلة للتخلص منه وبقى يأخذ هذه المرأة بهذه الحيل حتى جاءت ساعة الوضع فارسل اليها من بناته من يعينها على الوضع ويراقبها . فاذا ولدت بنتا سلمتها للنساء وان كان ابنا اسرعت باحضاره اليه مها يكن لديه من الاعمال . ولدت ذكراً وكان ليكورجوس يتعشي مع القضاة عندما احضرت الامينات الطفل اليه . اخذه بين يديه وخاطب الحضور قائلاً « أيها السبارطيون لقد ولد لنا ملك » . وضعه على العرش الملكي ودعاه خازر يلاوس (فرح الشعب) لشدة فرح جميع الحاضرين واعجابهم بمظمة نفس ليكورجوس وعدله .

لم يحكم ليكورجوس سوى ثمانية شهور ولكنه بقي موضع احترام مواطنيه ينفون له الطاعة وينفذون اوامره احتراما لفضائله ولأنه صاحب الأمر الملكي والقائم بالسلطة الملكية . ولكنه لم يخل من الحاسدين يبذلون جهدهم للأضرار بهذا الشاب ؛ لاسيما اقارب الوالدة التي ادعت انها خدعت وقد اهان ليو تيداس ؛ شقيق الملكة ؛ ليكورجوس بلا حياء قائلاً « اعرف جيداً انك ستولى الحكم » اراد بهذه القرية اتهمه واثارة الخواطر ضده حتى اذا اصيب الملك باذى وقعت التهمة عليه ، وكانت الوالدة ايضاً تدعي مثل هذه المفتريات . فدفعه الحزن والخوف مما يخبئه القدر الى الابتعاد إتقاء هذه التهم واعتزم التجوال في العالم حتى يبلغ ابن اخيه سن الرجولة ويكون له وريث .

سافر وكانت أول رحلاته الى كريت فاخذ يدرس انظمة البلاد ويحدث كبار رجالاتها . فاستحسن بعض القوانين وحرص عليها ليحريها في سبارطة متى عاد اليها وتمكن برجائه وتودده من اقناع رجل هناك معروف بحكمته وعلمه السياسية أن يفادر كريت ويقوم في سبارطه . كان هذا الرجل يدعى تالس لا يرى فيه

موطنوه سوى شاعر ولكنه تحت ستار الشعر كان يؤدي في الحقيقة مهمة المشرع العظيم ، وكانت قصائده نحض على الطاعة والوفاء ، بديعة النظم والتنسيق تلام النفس قوة وإيناساً . تلتفت مزاج الجمهور وتوجه اليه حب الخير وتنفي روح البغضاء التي كانت تمزق شمل الاتحاد فهدى على نوع ما ، السبيل أمام أيكوجوس لتعليم وتبذير السبارطيين

انتقل أيكوجوس من كريت إلى اسيا . ويقال إنه قصد برحلته هذه ان يقارن بين سداجة ومرورة الكريتيين وبين ما انضوت عليه حياة اليونانيين وشهواتهم وترقتهم كما يقارن الطبيب بين اجسام الاصماء والضعفاء ويقدر الفارق بين اخلاق وحكومة هؤلاء واخلاق وحكومة أولئك . وهناك عرف لأول مرة قصائد هوميروس وكانت بين يدي خلفاء كليوفيل . وأدرك أن ما تنطوى عليه من آداب وسياسة لا يقل قدراً عما فيها من طرائف الخيال وغرائب القصص . فاسرع إلى نسخها وجمعها وجعل منها مؤلفاً واحداً حمله إلى اليونان حيث كان بعض الشيء منها متفرقا ولكن أيكوجوس هو أول من اذاع شهرة ذلك الشاعر الكبير بين الناس وامتد المصريون أن أيكوجوس سافر إلى بلادهم وانه اعجب فيما اعجب به من انظمتهم وتفرقتهم بين رجال الحرب والطبقات الأخر فنقل ذلك عنهم إلى سبارطة حيث انشأ طبقة خاصة من الجنود والصناع وأوجد بذلك هيئة حكومية طاهرة نقية . ويزيد المؤرخون اليونانيون بعض الشيء في رواية المصريين . أما سفر أيكوجوس إلى ليبيا وإبيريا برحلته إلى الهند لمحادثة الرياضيين الروحانيين فلا أعرف أحداً قال بها سوى اريثوقراطس السبارطي (١)

ابن هيبوكرات

عم الاسف السبارطيون لغياب أيكوجوس ورجوا اليه غير مرة ان يعود قائلين ان ملوكهم لا تختلف عن عامة الشعب الا بالتقاييم ومقامهم ولكنهم يعرفون

فيه قدرة طبيعية على القيادة وقدرة على اجتذاب الناس الى رأيه . وكان الملوك انفسهم راغبين في عودته آمين أن يروع وجوده الجمهور عند الغواية والتمرد وقد وجد عند حضوره العقول مهيئة ، فبدأ بالقضاء على عوامل السوء وتغيير هيئة الحكومة اقتناعاً منه بان القوانين الجزئية عديمة الجدوى وانه يجب أن يبدأ بمداواة الاجسام المشوهة المريضة وابداء طبائع الفساد بالعقاقير والاشربة وتغيير المزاج قبل رسم نظام جديد .

ولما قرأه على ذلك ذهب الى داف لاستشارة الاله . وقدم اليه القرابين وعاد بذلك الوحي المعروف . حيث دعى صديق الآلهة وانه اله اكثر منه انسان يضاف الى ذلك ان ابولون اجاب سؤاله . وانه سيمنحه القدرة على ايجاد قوانين صالحة . تمتاز بقوتها على جميع انظمة الشعوب وشدت هذه الوعود ساعد ليكورجوس فكاشف كبار المدينة والح عليهم في تعظيمه . افضى بذلك سرّاً الى اصدقائه ثم اخذ يضم اليه شيئاً فشيئاً عدداً كبيراً من مواطنيه ، عاهدوه على تنفيذ عزمه .

ولما حانت الفرصة المناسبة امر ثلاثين من كبار القوم ان يجيئوا مسلحين الى الساحة العمومية ارباباً لخصومه . وقد ذكرها ريميوس عشرين من اشهرهم . وكان بين اصدقاء ليكورجوس رجل يدعى ارثميادس كانت له اليد الطولى في تنفيذ المشروع واقامة القوانين . خشى خار يلاوس في بدء الحركة ان يكون مقصوداً باذى فهرب الى هيكل كالسيبوكوس ولما علم نيات كيلورجوس الحقيقية اطمان الى الايمان التي اقساموها له وخرج من الهيكل ووافق على كل ماتم لانه كان بطبيعته ميلاً للسلام . وقد اشار ارخلاوس زميله في الملك الى هذا الخلق المرضي بقوله لمن كان يثني على سلامة نية هذا الشاب « كيف لا يكون خار يلاوس صالحاً وهو يأبى القسوة حتى على الاشرار ؟ »

ان اول واهم ما وضعه ليكورجوس من الانظمة هو مجلس الشيوخ . وهو كما

قال افلاطون. قوة تشارك الملوك في سيادتهم لتهدب من حيزتهم ولا يقل سلطان المجلس عن سلطان الملوك . به للحكومة في الاوقات العصيبة وسائل السلام ونصائح الحكمة . كان دأب الحكومة ان تسمح في لجج من الاضطراب يميل بها الملوك الى الاستبداد ويجتذبها الشعب الى الديمقراطية . وقف مجلس الشيوخ بين هاتين القوتين المتعارضتين قوة ثالثة تحفظ التوازن بينهما ، وبذلك استقرت الحال واستقامت الشؤون .

كان الثمانى وعشرون شيخا يعضدون الملوك كلما اقتضت الحال وقت تيار الديمقراطية ويعضدون حزب الشعب لردع الاستبداد عند الحاجة يقول ارسطوا أن ليكورجوس جعل عدد الشيوخ ثمانية وعشرين لان اثنين من الثلاثين الذين اختارهم تولاها الخوف وابتعدا عن المشروع . ويقول سفاروس (وله مؤلف في احياء ليكورجوس وسقراط ومبحث عنوائه جمهورية اسبارطة) مؤكدا أن العدد الذى اختير من البدء هو ثمانية وعشرون . ولعله نظر في ذلك الى خاصية العدد الناتج من ضرب ٧ فى ٤ وأن العدد ٦ هو العدد الزوجى الكامل لانه يساوى جميع اجزائه وللراى ان اختيارهم ثمانية وعشرين شيخا حتى اذا انضم اليهم الملك كان كانت الجملة ثلاثين شخصا .

كان لهذا النظام في نظر ليكورجوس أهمية كبيرة حتى انه ذهب الى دلف يستوحى (ويترا) لهذه الهيئة خاصة وجرى الوحي كما يأتى « عند ماقيم هيكلًا لجو بيترا السيلانى ومنيرفا السيلانية وتقسّم الشعب الى قبائل وفروع قبائل وتنشئ مجلسا للشيوخ مؤلفا من ثلاثين بما فيهم الملكان وتمقد المجلس كلما اقتضت الظروف بين بايس وسناسيون حيث يقترح الشيوخ القوانين ويكون للشعب حق رفضها ، وهذه الاماكن تدعى الآن اوهونت ولكن ارسطو يقول ان الاول اسم جسر والثانى اسم نهر ومن عادة السبارطيين ان يعقدوا مجلسهم هناك حيث لا اعمدة ولا مباني ويعتقد ليكورجوس أن هذه الخزارف لاتعين على تدبر الاراء

الصحيحة بل تضر بما توحيه من تخيلات عقيمة وكبرياء ونفخخة لاولئك الذين اجتمعوا للمداولة في الشؤون العامة . اذ يتلوهون بالنظر الى التماثيل والصور والزخارف المسرحية وسقف غرفة المجلس المتقنة الصنع

لم يكن لغير الشيوخ والملوك في الجلسة العمومية حق الابداء في عرض موضوعات المداولة بل كان ذلك من حق هؤلاء فقط وللشعب السلطة التامة في تقريرها . ولكنه حدث فيما بعد ان الشعب اخذ يفسد قرارات المجلس بالحذف والاضافة ، فاضاف الملك بوليدور وثيونوتب الى الوحي العبارة التالية « انا حاول الشعب احداث خلاف ، فعلى الملوك والشيوخ ان ينسحبوا » ومعنى هذا انهم لا يوافقون على القرارات وان يؤجلوا الجلسة ويلغوا قرارات الشعب لانها غير مشروعة وقد اقموا مواطنيهم ان هذه اوامر الاله والى هذا المعنى اشار الشاعر عبر تيرته بقوله .

سمعوا الوحي من فم ابولون . ونقلوا الى وطنهم وحي الاله وهذه الكلمات التي لاريب فيها . يرأس المجلس الملك المقدسان . الساهران على مدينة سبارطة الهادئة يليهما الشيوخ ثم رجال الشعب . يؤيدون القرارات العادلة :

على هذا النحو اعد ليكوجوس الجمهورية ولكن حدث بعد عهده ان اصبح الثلاثون شيخنا حكومة طائفة (اوليجارشيه) مطلقا تهديد الحرية العمومية بسلطتها التي لا حد لها فتهدت كما يقول افلاطون بسلطة النواب ، بعد ليكوجوس بثمانية وثلاثين سنة . وكان اثاتوس اول من عين نائبا وكان ذلك في عهد الملك تيوتب سمع الملك زوجته تهيب عليه انه سيمترك المملكة لاولاده اقل سعة مما كانت يوم استلامها . فاجابها ان الامر على عكس ذلك سائر كما لهم اعظم شأنًا وأثبت قدما . والحقيقة انه باطراحه عنها المزيد جعلها في مأمن من حسد الحاسدين وخطر المعتدين ولذلك لم يتعرض الملوك سبارطة لشيء من الخوف الذي أنزله أهالي مسين وارجوس بلو كهم لاستئثارهم بالملك وعدم ميلهم للتهاون في شيء مما

مرضاة للشعب ، ولا شيء أدل على حكمه وبعد نظر ليكوجوس من اتقائه الاضطرابات والولايات السياسية التي نزلت بمسكين وارجوس ملوكا وأهالي وهم من ذوى قرى السبارطيين وجيرتهم كانوا ينعمون في أول عهدهم بما ينعم به هؤلاء وكان نصيبهم من الارض خير نصيب ولكن سعادتهم لم تستمر طويلا أساء الملوك السلطة وتمرد الشعب فاضطرت الانظمة وظهر فضل الآلهة على السبارطيين الذين كانت حكومتهم تدير بحكمة بين النظام والاعتدال على أن هذا الفضل لم يظهر الا فيما ولى من الايام .

والثانى من أنظمة ليكوجوس هو تقسيمه الاراضى . كان عدم التساوى بالغا أشده لا يملك الكثيرون شيئاً ولا مورد لهم وهم سواد الوطنيين في حين أن الثروة كلها مستفيضة بين أيدي نفر قليل العدد . عمد ليكوجوس رغبة في اجتناب الاعتداء والحسد والبخل والنفخفة وما هو أضر منها بالحكومات أى الغنى والفقير الى اقناع السبارطيين بالنزول عن أراضيههم وتقسيمها من جديد وجعل كل الثروات على قدر واحد ومساواة تامة . تتولى الفضيلة وحدها توزيعها اذ لا فرق بين الناس الا باحتقارهم ما ينجل وجبهم للخير . نفذ المشروع فقسم ليكوجوس أراضى لاكونيا الى ثلاثين الف جزء لأهالى الريف وتسعة آلاف لاهالى سبارطة مراعاة لعدد السبارطيين الداخلين فى القسمة . ويزعم البعض أن ليكوجوس لم يزد عدد نصيب السبارطيين عن ستة آلاف ثم أضاف اليها الملك بوليذور الفاً ويزعم البعض أن الاول وضع نصف التسعة آلاف والاخر النصف الثانى . وكان ينتج كل جزء سبعين مدا (كيلة) من الشعير لكل رجل واثنى عشر لكل امرأة مع ما يناسبها من الاثمار السائلة (لعله يريد ما يستخرج منها من الشراب) وفى هذا القدر ما يكفى لحياتهم فى طائنة وصحة وما يسد حاجتهم وحدث بعد ذلك بسنوات ان ليكوجوس مر بلا كونيا وهو عائد من رحلته وكان ذلك ابان الحصاد واذا رأى أكوام الحزم مصفوفة صفوفاً ومنظمة ومتساوية قال

قال لاحد رفاقه « كُنْ حصاد لا كونيا ميراث تتقاسمه اخوة ».

ولكي يقضى قضاء مبرما على جميع أسباب التفاوت بين الاهالى شرع في تقسيم الاموال غير العقارية . ولكنه رأى ان اصحابها لا تطيب نفوسهم لذلك فسلك طريقا آخر وهاجم الترف من سبيل غير مباشر . فبدأ بالغاء النقود الذهبية والفضية غير مجيز سوى النقود الحديدية وجعل القطع ثقيلة الوزن زهيدة القيمة بحيث أنه يلزم لوضع مبلغ عشرة « مين » (١) غرفة كاملة ولا يمكن نقلها الا على عربة يجرها ثوران . وكان تداول هذه العملة سببا لازالة كثير من المبادئ ومن يقبل أن يسرق نقودا لا يمكنه اخفاؤها . أو يطمع في سرقة أو اغتصاب مالا يشتري وما لو قطع أجزاء لا تصلح لشيء . لان ليكورجوس كان يغمس الحديد بعد احمراره في الخلل لتذهب عنه صلابته ولم يمد صالحا لغير ما وضع له لانه يصير سهل الكسر تحت المطرقة

ثم الغى من سبارطة جميع فنون الترف الكمالية على أنه لو لم يلغها لاختفت مع العملة القديمة اذ لا يجد صناعها نفقات صناعتهم لان النقود الحديدية لم تكن لها قيمة بين الشعوب اليونانية الاخر ، يهزأون بها ولا يرغبون فيها ولذلك لم يستطع السبارطيون مشتري بضاعة من الخارج مهما يكن ثمنها زهيدا ولم ترس مركب تجارية في موانئهم ولم تظأ أرض لا كونيا قدم سوفسطائى ولا عراف ولا سمسار عاهرات ولا جوهري يتجر في الذهب والفضة . ولما جرد الترف مما يزيه ويغذيه ذبل من تلقاء نفسه ولم يكن لاصحاب الاموال ميزة على الفقراء ولم يكن لاموالهم منفذ بين الجمهور فبقونها مكسدة في بيوتهم عاطلة بلا فائدة لذلك اتقنت صناعة الادوات الضرورية مثل الاسرة والمقاعد والموائد وكان ذلك سببا لذبوع شهرة الكوز اللاكونى . ذلك الكوز سهل الاستعمال لاسيما للجنود في المعارك ؛ لونه يخفى قنارة المياة التي يضطرون احيانا لشربها وقد يعرفهم

١ المين مائة دراخمة والدراخمة أقل من الفرنك الفرنسى بضع سنتيمات .

منظرها ، وتحجز اسلاكه الداخلية ما يرسب في الاناء من الوحول فلا يصل الى الفم سوى المصفى والفضل في ذلك للمشرع لأن الصناع لما تركوا صناعة مالا ينفع انصرفت همتهم الى اتقان الضروري

اندفع ليكوجوس في اضطهاد الترف والقضاء على شهوة المال فانشأ نظاما ثالثا من أجل ما يكون . وهو نظام الطعام العام . لزم الوطنيين أن يأكلوا جميعاً معاً وأن يتغذوا من لحوم واحدة ومن الاطعمة التي تبيحها القوانين . وجرم عليهم تناول الطعام في منازلهم أو اقتناء الاسرة الناعمة والموائد الفخمة فلا يجعلوا أنفسهم تحت رحمة صناع الفطائر والطهاة وان تسمن أبدانهم في الظلام شأن الوحوش النهمه والحقيمة أن في ذلك افساد للعقول والاجسام واطلاق سراح الشهوات والدعارة . ثم الاضطراب الى النوم الطويل والحمامات الساخنة والبطالة الدائمة والزام ديشة المرضى . هذه مسألة عظيمة الشأن ولكن نتيجتها أعظم . ذلك أنها جعلت الاموال في امان من السرقة أو كما يقول ثيوفراست أقل من أن تشتهى ، أو كأنها صارت لا شيء بتلك الولائم المشتركة والموائد البسيطة ولم يكن في وسع أحد أن يبذخ أو يباهن بشيء لأن الفقير والغنى يشتركان في غذاء واحد فكانت سبارطة بذلك هي المدينة الوحيدة تحت الشمس التي حق عليها ما يقال أن بلوتوس (١) ، أعنى مضطجع على الارض بلا حياة ولا حركة كأنه تمثال ، لم يسمح لاحد أن يأكل في بيته قبل الميعاد ويحضر الولائم المشتركة تشبعان

وكانت الرقابة شديدة على من يمتنع عن الشراب والطعام مع الآخرين يعيبون عليه علانية ترفه وضعفه عن تناول الاغذية التي يجب أن يتقاسمها الجميع وكان هذا أشد أنظمة ليكوجوس اغضابا للاغنياء فاجتمع منهم عدد كبير وصاحوا صيحات الغضب والاستياء ضده ولما تساقطت الحجارة حول ليكوجوس من كل جانب فر من الساحة العمومية وأسرع بالالتجاء الى هيكل ولم يلحقه أحد

ولكن فتي يدعى الكاندر سليم النية ولكنه حاد المزاج أصر على تعبه واذ كان ليكورجوس يلتفت اليه ضرب به الفتى بالعصى فقلع عينه . لم تفت هذه الضربة في عضد ليكورجوس بل تقدم الى مواطنيه مرفوع الرأس وأراهم وجهه داميا وعينه منقوعة فتولاهم الخجل والحيل أمام هذا المنظر وساموا اليه الكاندر ثم ساروا به الى بيته مواسين متأسين وبعد أن شكرهم على صنيعهم وصر فبهم ، أدخل الكاندر إلى منزله ولم يسيء اليه ولا أنبهه على فعلته بل أمر خدومه بالانصراف وعهد اليه أن يقوم بخدمته . فقام الفتى وهو طيب المنصر بجميع أوامره دون أن يفتح فاه واذ كان دائم القرب من ليكورجوس يراقبه كل يوم ويشهد منه العطف والدعة والانفة والدأب على العمل بلا ملل أحبه حبا جما وكان يقول لمعارفه وأصحابه ان ليكورجوس أبعد الناس عن القسوة والكبرياء وانه الين الناس عريكة والظفهم خلقاً هكذا انتقم ليكورجوس لنفسه من الكاندر بأن جعل من ذلك الفتى الغضوب العنيد رجل حكمة واعتدال ثم أقام تذكراً لهذه الحادثة هيكلًا للالهة مينرفا الاو بتيلية (العينية) لان أهالي هذه البلاد يدعون العين « أوبتيل » ويقول البعض و بينهم ذينوسكوريد (١) الذي الف كتابا عن جمهورية سبارطة . أن ليكورجوس جرح ولم تفتأ عينه فقام هيكلًا للالهة تذكراً لشفاؤه ومنذ هذه الحادثة لم يحمل السبارطيون عصا في مجتمعاتهم

كان الكريتيون يدعون هذه الولاية العمومية اندريا ولكن السبارطيون كانوا يدعونها فيديتا ولعالمها فيليتا (الاخاء) لما كانت تدعو اليه من الصداقة والرعاية ولعالمها من اريتيا وهي كلمة يونانية معناها الاكل وذن يجتمع على المائدة الواحدة خمسة عشر شخصا أو اقل أو اكثر وعلى كل ان يقدم في الشهر مدين (٢) دقيق وثمانية كونج (٣) من الخمر وخمسة ارطال من الجبن . ورتالين ونصف

(١) يحتمل ان يكون هو الذي بقى من مؤلفاته ستة كتب في المادة الطبية كان يعيش في

القرن الاول تاريخنا

(٢) المدين يساوي ٥٩٠ ٥١٠ لترا (٣) الكونج ٢٣٧ ر ٣ لترا

رطل من التين ومع هذا تعود المشتري اللحم . اما اذا كان احد الوطنيين يقدم ضحية او ذهب للقتل فعليه ان يرسل الى الوليمة المشتركة باكورة الضحية أو جانباً من غنيمته، لانه كان مباحاً لمن يقدم ضحية أو يقتنص ان يأكل في بيته من ضحيته أو غنيمته وما عدا ذلك كان الكل ملزماً ان يحضر الولائم العمومية . بقي السبارطيون زمناً طويلاً حريصين على هذا النظام ولكن الملك اجيس طلب عند عودته من حملته قهر فيها الاثني نصابه ليتعشى مع زوجته فأبى الزعماء عليه ذلك . اهل اجيس اشد حنقه اداء التقدمة المعتادة فحكوا عليه بغرامة

كانت الاطفال تحضر هذه الولائم العمومية يؤخذون اليها كأنهم يؤخذون الى مدرسة زهد وقناعة . هناك يسمعون الاحاديث السياسية ويتمرسون بطباع الاحرار . وهناك يتعلمون كيف يمزحون في خفة وكياسة وكيف يسخرون بلا فحوص وكيف يحتملون السخرية . صفات يحسبونها حقيقية بالسبارطي أما الذي يضيق بها ذرعاً فما عليه الا ان يشير بوقفها فتقطع . ومن عاداتهم ان اكبر الحضور سنا يقف وهو يشير الى الباب ويقول لكل ضيف « لا تخرج كلمة من هنا » ومن عاداتهم الا يقبل وطني في الوليمة المشتركة الا يرضى الآخريين . تجرى الموافقة عليه على ما يأتي يطوف عبد بأناء ياتي فيه كل من الحضور قطعة من ابيب الخبز مستديرة وهي علامة القبول أو مبسوطة علامة عدم الموافقة وواحدة من هذه كفية لرفض قبول الطالب لانهم لا يريدون قبول من لا يرضى عنه الجميع وكانوا يدعون المنبوذ « كادا » نسبة الى « كادوس » الوعاء الذي يوضع فيه فتات الخبز

ومن اشهر اطعمتهم الشربة السوداء اذا اكل منها اشيوخ ذهببت شهيتهم للحم يتركونه للشباب ويأكلون الشربة فرحين . يقال ان احد ملوك البونت اشترى عبداً سبارطياً يصطنع له الشربة ولما ذاقها القاهها كرهية فقال له الطباخ ايها الامير لا يستطيع هذا الطعام الا من استحم (اغتسل) في الايروتاس ! ! وبعد ان يشرب الجميع قليلاً من الخمر ينطلقون تحت جناح الظلام دون ان تنار

الطريق امامهم لتعود بهم الا ولاج بجرأة وثبات جأش في الظلام هذا هو نظام
الولائم العمومية

لم يكتب ليكورجوس شرائعه بل من سننه ما يحرم كتابته الشرائع فمن رأيه
ان اقوى واعظم ما يجعل الشعب سعيدا وحكيما هو ما كان في اخلاقه وعاداته اذ
تكون المبادئ ثابتة لا يزغزعها شيء لان اساسها الارادة وهي اقوى من كل اكرام
لذلك تخرج بروح الشباب اثناء التربية وهي الشريعة الاولى للحياة . اما العقود
وهي اقل من هذه شأننا فلا تمنى الا بالوجهة الفقهية فانها تتغير بتغير الحاجة فمن
الصالح عدم اخضاعها لاساليب مكتوبة أو عادات تتبدل بل يجب ان يترك
للاختيار يزيد عليها أو ينقص منها على مقتضى الظروف فليكورجوس كان يجعل
التربية الغاية الجلى التي ترجع اليها جميع الشرائع لذلك رأيناه كما تقدم محرم تدوينها
وله ضد الترف امر آخر الا يستعمل في تسوية السقوف وارضى البيوت سوى المطرقة ولا
في تسوية الابواب سوى المنشار . ليس غير . قال ابامينونداس بعد ذلك بزمن طويل
في حديث عن المائدة « لاموضع للخيانة مع غذاء كهذا » وقال ليكورجوس من
قبل في هذا المعنى . لاموضع في بيت كهذا للترف والسكاليات . والحقيقة هل يمكن
ان يتجرد انسان من الذوق وسلامة الطبع فيضع في بيت بسيط بل خشن سريرا
ذاقوا فضية ، وبساطا ارجوانيا أو اوانى ذهبية أو ما يلائمها من عدة البذخ ؟
الا يرى الانسان على العكس من ذلك ان يلائم بين البيت وما فيه ، وبين الفناء
والسرير وبين جميع الاثاث ؟ . والى هذه البساطة ترجع كلمة ليونخداس القديم .
رأى وهو يتعشى في كورنت سقف الغرفة كثير الزخرف فسأل مضيفه هل في
بلادهم اشجار ذات اربع الوان

ويروى عن ليكورجوس امر ثالث وهو تحريمه على مواطنيه اطالة الحرب مع
عدو بعينه لئلا يستبسل ويتمرس لفنون القتال ويعتاد مقاومة الاعداء . لذلك

يعيبون على الملك اجزي يلاس، واللاته الحملات على البيوتى حتى تمرس الطيبيون بالحروب
 ووقفوا في وجه السبارطين ، لذلك قال له انتالسيداس اذراه جريحا « انك تنال
 من الطيبين الجزاء العادل عما علمتهم . لم يكونوا يرغبون في الحروب ولا يعرفون
 شيئا من فنونها ، فعلتهم ضروبا » وكان ليكورجوس يدعو اوامره الثلاث هذه
 (وحيا) كآتها مراسيم وحى املاها الاله ابولون لاقتناعه ان تربية الاطفال اجمل
 واجل اعمال المشرع واقومها عدة تتولاها منذ نشأتهم الاولى بماسن من القوانين
 للزواج والميلاذ . اما مارواه ارسطو عن ليكورجوس فلا نصيب له من
 الحقيقة . زعم أن المشرع السبارطى حاول اصلاح المرأة ثم عدل عن ذلك لانه لم
 يستطع كبح جماح النساء أو الاقلال من الحرية التي اباهاهن ازواجهن اذ كان هؤلاء
 مزمين الابتعاد عن منازلهم لاشتغالهم بالحروب . تراوا ادارتها للنساء فاستفجلت
 سيطرتهم حتى كانوا يدعونهم « سيدات » والحقيقة أن المشرع جردهن من كل
 ما كان لهن من شأن . أراد تقوية عضلات البنات بالمران على الجرى
 والقتال ورمى الرمح والسهام لكي تكون أطفالهن اقوياء المنبت شديدي
 الاصلاب يشبون شجعانا ويحتمان الوضع بلا خوف ويقابلن آلامه
 بشجاعة . أبعد البنات عن رخاوتهم وتربتهم في ظلال الحياة الناعمة مما أضعف
 جنسهن . عودهن الظهور عاريات امام الجمهور كالشبان ، والرقص والغناء في
 الحفلات امامهم وعلى مرأى منهم فكانت الغنيات تشهد مسابقات الشبان
 توبخ من اخطأ وتثنى على من أصاب ، فكانت بذلك تؤخر الشبان بمنحاس
 ذى حدين تثير فيهم التنافس في حب الخير وحب الفضيلة . فمن نال منهم مدبجا
 واحس بالشهرة بينهم عاد مفاخر ابناءهم كذلك كانت واخراتهم لغير انفلحين
 اشد آلاما لنفوسهم من التوبيخات العلانية . لان الحفلات لم تكن قصيرة
 على الوطنيين بل كان يشدها الشيوخ والملوك أنفسهم . ولم يكن في تعريضهم
 شيئا من الخجل اذ كان هن في الفضيلة والحياء حى . ولم يكن أحد يفكر في

سوء ؛ بالعكس كان لهم من ذلك اعتماد البساطة والعمانية باجسامهن وسمو قلوبهن إلى ما فوق عواطف جنسهن إذ يرين أنفسهن قدرات على مساواة الرجل ومشاطرته الجهد والفضيلة. لذلك يحق لجميع نساء سبارطة إن تفكر و تقول ما يعزى إلى جورج جوزل وزوجه ليونيداس . إذ قالت لها أجنبية « انتن نساء سبارطة وحدكن تسيطرن على الرجال » فجابتها « ذلك لانا وحدنا نلد رجالا »

وكان من مشيرات الشهوة للزواج سير البنات عاريت في البواكب وقيامهن بالتمرينات الرياضية تحت أنظار الشبان الذين يحسون أنفسهم منجذبين اليهن لا بدافع « هندسى كما يقول افلاطون بل بدافع الغرام وزاد ليكوجوس في ذلك المعنى حتى جعل العزوبة عاراً . يحرم على العذاب حضور هذه الحفلات و يضطرهن الحكام أيام الشتاء ان يطوفوا الساحة عربانين ينشدن وهم سائرون أناشيد ضد أنفسهم منها أنهم يعاقبون بعدل لعدم طاعتهم الشرائع . ويحرمون عدا ذلك من الاحترام الواجب على الشبان للشيوخ . لذلك لم يلم أحد ما قيل للاعزب درسيليداس رغم كونه من مشاهير القواد . ذلك انه دخل على جماعة وكان بينهم شاب لم يقف له احتراماً « ليس لك ولد يقف لى احتراماً . »

والعادة عند الزواج ان يختطف الشاب زوجته على ان لا تكون طفلة ولا دون البلوغ ، بل رشيدة صالحة للزواج . وهى اختطفها سلمها الى مساعدة الاعراس فتقص شعرها وتلبسها ثياب وحذاء رجل ، وتانيمها على طبقة من اوراق الشجر وتدعها وحدها بلا نور ؛ يأتى الشاب غير مخمور ولا منهك القوى بملاذ ، بل في اعتداله العادى بعد تناول طعامه في الوليمة المشتركة ، ينسل الى جانب خطيبته ويحمل حزامها ويحملها الى فراشه . يقضى معها وقتاً قصيراً ثم يعود فى وقار الى الغرفة التى اعتاد النوم فيها مع الشبان يستمر على ذلك زمناً يقضى نهاره وليله مع رفقه لا يذهب لمشاهدة امرأته الا حذراً ، كأنه يخنث ذلك اختلاسا بمنجل ان يراه أهل البيت ، تعينه المرأة من جانبها بمهارتها على اختلاس الفرص المناسبة

لزيارتها سرّاً ، وقد تستمر هذه الحالة زمناً طويلاً حتى انه ليحدث ان يصير
الازواج اباة قبل ان يروا نساءهم على ضوء النهار . لم يكن من شأن هذه العلاقات
مران الزوجين على التقصد والحكمة فقط . بل تبقى لاجسامهم قوتها وخصبها وتحفظ
نشاط الحدة الاولى وتجدد الحب وتمنعها اشباع شهواتها التي ينهك الافراط
فيها . الرغبات والقوى ، اما اذا افترق الزوجان على ما قدمنا بقيت في نفس كل
منهما بقية من لهب الغرام ودافع للحب والعطف .

لم يكن ليكورجوس بعد ان من للزواج هذا الحياء وذلك الخذر اقل اهتماما
بتعطيل فكرة الغير الكاذبة المتخنة التي تحدث الشجار والاضطراب في الحياة الزوجية
اباح الشركة في الاولاد لمن اراد ، ومن ارائه انه تجب السخرية بمن يريدون
جعل الزواج ميزة شخصية لا يشاركون فيها احد ، ينتمون ممن يعتدى عليهم فيه
بالغدر والحرب . جعل من المباح لشيخ تزوج من فتاة غضة الشباب ان يدخل
اليها فتي شريفا يحترمه ويحبه ، وان يعترف بمن يولد له من دم زكي كابن له . كذلك
يباح للرجل المتأنق الذي يولع بجمال حسناء متزوجة ذوات اولاد ان يظاها من
زوجها ليفرس في تلك النبعة الخصبية ، ويولد اولادا اقوياء يمنحهم كبار النفوس
دماءهم والقابهم . ذلك ان ليكورجوس كان يعتقد ان الاولاد ليسوا لابائهم خاصة
بل جميعهم ملك الدولة ، لذلك اراد ان لا تكون الابناء نسل أول قادم بل الاكثر
جدارة من الرجال . لم يكتب بذلك بل كان يسخر من حماقة وكبرياء ماسنه
المشرعون الآخرون للزواج ، قال في ذلك ، انهم يبحثون لكلماتهم وافراسهم
عن خير الكلاب واكرام الخيول يتوسلون الى اصحابها بالزجاج والاموال ويحجرون
على نساءهم بحتمون عليهم الا يكون لمن ابناء الا من بعولتهن ولو كانوا اغبياء ،
عاجزين ، مرضى . كأن ليس من الحزن للاباء والمربين قبل غيرهم ، ان يكون لهم
ابناء ضعفاء سلالة اباة ضعفاء ؛ وكان ليس من السعادة ان يكون لهم ابناء اقوياء
يشبهون اباةهم في القوة وسلامة البنية .

كان ليكورجوس يستمد قوانينه من الطبيعة والسياسة. لم يحمل نظامه "نسوى السبارطيات على التسهل ، باكثر مما كن عليه فقد قيل ان الزنا لم يعرف في سبارطة يستشهدون لذلك بعبارة قائلها جراردس احد قدماء السبارطين . سأنه اجنبي ماهو عقاب الزاني في بلادكم ؟ فاجابه جراردس لازنا في بلادنا . — قال الاجنبي واذا حدث ؟ . فاجابه يلزم الزاني بشرطويل العنق يستطيع ان يشرب من نهر اوروتاس وهو في اعلى تايجت فقال الاجنبي ، وكيف يحصل على نور في مثل هذا الطول ؟ فاجابه جراردس ضاحكا وكيف يوجد في سبارطة زنا . ؟ . هذا ما يقرر التاريخ عن نظام الزواج .

لم يكن الوالد حرا في تربية ابنه ، كان عليه أن يمنه الى محل يدعى « لسنشه » حيث تجتمع مشايخ كل قبيلة افحصه فاذا كان سليما قوى البنية أمروا بتغذيته وخصوه بجزء من التسعة آلاف نصيب التي قسمت اليها الاراضي ، أما اذا كان ضئيلا نحىلا أمروا بطرحه في جفوة قريبة من جبل تايجت تدعى « أبوتت » لا يرون فائدة من بقائه لاله ولا للدولة اذ خاق ضعيفا . قضيا عليه بالحرمان من الصحة والقوة . ولكي تمتحن النساء سلامة الاطفال لا تغسلن بالياه بل بالنبيد لان المصروعين والمرضى من الاطفال لا يحمون حمام الحمر ، بل يذبلهم ويميتهم ولكن تزيد متانة الاصحاء وتقوى أعصابهم ، من ثم تتولى المرضعات تغذيتهم بطريقة فنية ، لا تشدهم في قماط بل تدع جميع أعضائهم طليقة حرة . تظهر هيئاتهم على طبيعتها . يتعلمون منهن الايتاثر من طعام وأن يقنعوا بالبسيط منه . وان لا يهابوا الظلام أو العزلة . لا صياح ولا نهيج ولا بكاء فما هذه سوى علامات الضعف والجبن . لذلك كان الابنائب يشتركون المرضعات السبارطيات لتربية أبناءهم . ويقال أن اميكلالا التي أرضعت السيببياد الاثني كانت سبارطية . ولكن افلاطون يقول أن بريكلس خص ذلك الشاب بمرب من العميد يدعى زو بير لا يمتاز عن أمثاله بشئ . أما ليكورجوس فقد أتى أن يعهد

بإبناء سبارطة الى عبيد تشتري بالمال ولا الى مربيين من المستأجرة.
 لم يكن الانسان حراً في أن يربي ويعلم ابنه على ما يريد : تؤخذ الاطفال
 متى بلغت السابعة ، وتقسّم صفوفاً تتلقى تربية مشتركة على نظام واحد . يعودونهم
 التعب والعمل معا ، ويرأس كل صف اذكاهم وأبسلهم في القتال . تتجه اليه أنظاره
 يطيعون أوامره ويحتملون ما يأمر به من عقاب بلا تدمير . وهذه التربية كانت
 تعودهم الطاعة ولا شك . كانت الشيوخ تحضر العابهم وتحدث بينهم أسباب
 الخصام والعراك ايروا حقيقة أخلاقهم ويتبينوا جراتهم ، وإذا كانوا لا يهربون من
 القتال . لا يأخذون من العلوم الادبية الا الضروري وما بقي فمحصور في تلقينهم
 الطاعة ، واحتمال المتاعب بشجاعته ، والانتصار في المعارك . وكما تقدموا في السن
 يجهلونهم برياضة أشد ، يحلقون لهم رؤوسهم ويعودونهم السير بلا أحذية واللعب
 بالغياً أكثر الوقت عريانين .

ومتى باغوا الثانية عشر ، لا يلبسون جلباباً بل يعطى لكل منهم رداء في السنة
 ويبقون قذرين لا يستحمون ولا يتعطرون الا في أيام معدودة يسمح لهم فيها
 بشدوق هذا النعيم . ينام كل فريق في غرفة على فراش من القش يصنعونه بأيديهم
 من أطراف العيدان التي تنمو على شاطئ نهر الاوروناس . يجنونها ويقطعونها
 بأيديهم دون أن يستعملوا حديدًا . وفي الشتاء ينامون على هذا القش مضيفين
 اليه بعض الشيء من الفحم القطنى وهو مادة مدفئة . وفي هذا السن تتطلع أعين
 العشاق الى الممتازين . وتزداد عليهم رقابة الشيوخ . يلزمونهم في العابهم
 ومعاركهم ، يقوم الشيوخ بذلك لا كتأدية واجب بل بحرص وعناية كأنهم أباء ومعلمين
 ومهذبين جميع الاطفال ، لا يخلو الولدى وقت ولا مكان يرتكب فيه خطأه الا وجد من
 يوافيه ويعاقبه . يضاف الى ذلك أن معلمى الاطفال يختارون من خير الناس .
 ويختار هؤلاء من كل فرقة أوفر شبانها عقلاً وشجاعة على أن يكونوا قد
 تجاوزوا سن الطفولة بسنتين . يتولى زعيم الفرقة وهو فى العشرين من عمره قيادة

فرقته في القتال ويستعمل أفرادها أيام السلم في خدمة الموائد. يكلف الكبار احضار الاخشاب والصغار احضار الخضروات والبقول ، يسرقون ما يحضرون سواء بتسلقهم أسوار الحدائق أو انسلالهم الى أماكن الموائد العمومية بمهارة وحذر . ومن أخذ منهم عوقب على اهماله وبلادته . يسرقون ما يستطيعون سرقة من اللحوم ويفتنون في اغتنام الفرص ، يسرقون النوام والغافلين عن الحراسة يعاقبون من يقبض عليه بالجلد والخرمان من الاكل ، ولا يأكلون عادة إلا قليلاً . لانهم مضطرون للحصول على حاجاتهم بأنفسهم ، فالجراحة والحيلة من لازماتهم الضرورية . وهذا هو الغرض الاولى من الاقلال في اطعمتهم ، وهناك سبب أضافى وهو أن الاجسام تطول قامتها متى كانت الاعضاء غير متعبة باستهلاك اطعمة تعطل نموها طولاً ولا تسمح لها إلا بالنمو عرضاً . فكانوا ينامون بسهولة لخفتهم وتطول قاماتهم بلا عائق ولا معطل . ويظن البعض أن ذلك من دواعي الجمال ، لان الطبائع الرقيقة المرنة تلائم قوانين النوام المعتدل الجميل ، اما التي ينقلها السمن والافراط في الطعام فتفسد الجمال . وقد لوحظ أن الاولاد الذين تشرب والدانهم شراباً مطهراً اثناء الحمل يكونون اجمل خلقة لان المادة التي تتألف منها اجسامهم خفيفة ، وقابلة للتكيف . وأولى بنا أن لانحزم في هذا الموضوع برأى خاص فلندعه لغيرنا ليجثه بحثاً وافياً .

واليك حادثة تدل على شدة خوف الاطفال من اقتطاح سرقاتهم . سرق احدهم ثعلباً صغيراً واخفاه تحت ثوبه ، وصبر على ذلك الحيوان يمزق بطنه باظفاره واسنانه دون أن يبدوا الولد صيحة المومات في الساحة العمومية حريصاً على سرده لانرى في هذه الحادثة شيئاً من الغرابة اذا اعتبرنا حالة شبان سبارطة اليوم ، فقد رأيت غير مرة شبانا يموتون صامتين تحت سياط الجلاد ، على مذبح «ديانا اورتيا .»

كان الزعيم بعد العشاء وقبل الانصراف عن المائدة يأمر احد الاطفال ان يغنى ،

ويبقى على غيره اسئلة . كان يسأله من هو خير رجال المدينة . وما رأيه في عمل ما .
وبذلك يعودون الاطفال من صغرهم على الفصل بين الصالح والطالح . وتعرف
اخلاق الوطنيين لان التردد في الجواب على سؤال مثل : من هو الوطني الصالح ! ومن
هو سيء السمعة . ؟ كان في نظر السبارطين دليلا على النذالة وفتدان العواطف
التي تحت على حب الفضيلة . وكان من الواجب ان يشفع الجواب بسببه ، والدليل
عليه بايجاز في كلمات هذبة جليلة . اما الجواب المهمل فكان جزاؤه العقاب وهو أن
يعض الزعيم ابهام (اصبع) المجيب وكان العقاب يحدث غالبا بحضور الشيوخ
والحكام ليتأكدوا اذا كان العقاب الذي يوقعه الزعيم عادلا وفي دائرة اختصاصه
ام لا . لا يعرضون له اثناء توقيع الجزاء بل يدعونه حتى ينصرف الطفل فيعاقبونه
بدوره اذا كان قد قسى في المعاقبة او تراخى في اجرائها .

وكان العشاق يشاركون الاطفال الذين يعشقونهم فيما يصيبهم من عار او محم
ويقال ان طفلا وهو يقاتل آخر صاح صيحة دالة على عدم الشجاعة فحكم القضاة
على عاشقه بغرامة . كان العشق في سبارطة ظاهراً ، وكانت الشريقات من السيدات
تمتشق بناتاً ، اما الفيرة فلم تكن معروفة بين السبارطين .
كان العشق نوعاً من الصداقة تربط بين المتعاشقين . يتنافسون فيما بينهم
ايهم يجعل حبيبه أكثر مرّة وفضلاً .

كانوا يعودون الاطفال على أسلوب من الكلام حاد وقارص في ملاحظة ورقة .
يتضمن معان كثيرة في كلمات قليلة . رأينا ليكور جوس يجعل النقود قطعاً
ثقيلة من الحديد لاقيمة لها . ولكنه في النقد البياني عمد إلى العكس . أراد أن
تكون الكلمات قليلة ولكنها ذات معان دقيقة وأفكار قيمة . كانوا يطبعون
الاطفال على الصمت الطويل ويجعلون همهم في مناقشتهم وفرة المعاني في قليل
من الكلام ، لئن كان الافراط في الفحش يضعف اعصاب الانسان وينمك
قواه فكذلك الهذرق في القول يجعله مبتذلاً ساقطاً خالياً من المعنى . سخر ايني يوماً امام

اجيس منك سبارطه ، من سيوف السبارطين القصيرة قائلا « ان المصارعين يتعاونها بسهولة على مسارح الالعاب . فاجابه اجيس ، « وبهذه السيوف القصيرة نصيب أعداؤنا عن بعد . » ورأى أن خطب السبارطين على إنجازها واضحة للغاية اشد وضوح ، سريعة النفوذ إلى عقول السامعين .

كان ليكورجوس ذاته قصير العبارة جلي المعنى ، يدلنا على ذلك ما بقى من اجوبته ، ومنها عبارته عن شكل الحكومة . اشار عليه بعضهم أن يقيم الديموقراطية في سبارطه فاجابه « ابدأ بأقامتها في بيتك . » ومنها كفته في الضحايا سئل لماذا لم تأمر إلا بتقديم ضحايا صغيرة قليلة القيمة فأجاب « ليكون لنا دائماً ما نكرم به الآلهة . » وقوله عن المصارعة الرياضية . « لم احرم على مواطني سوى القتال الذي تمتد فيه الأيدي . » يذكر ون له أجوبة غير هذءاءت في رسائله الى مواطنيه مثل جوابه على سائل سألته . كيف نستطيع دفع غارة الاعداء . ؟ فكان جوابه ، « حتى كنتم فقراء ، لا يطعم احدكم في نصيب أوفر من نصيب سواه . وقوله عن الاسوار ،

« مامن مدينة بلا سور متى كان سياجها لا الطوب بل قلوب الشجعان . »
على أنه لا يمكن الحزم بنفى أو اثبات هذه الرسائل وغيرها بلا تردد .
اما بغض السبارطين الخطب الطويلة فدليلنا عليه العبارات التالية

كان انسان يكثر في غير مناسبة كلمات لا تخلو من معنى فقال له الملك ليونيداس « ما قدرك على وضع الكلمات الطيبة في غير موضعها . » وقيل لخاريلانوس لماذا لم يسن ليكورجوس سوى قليل من الشرائع . « فقال لانه يلزم قليل الكلام قليل من الشرائع وعيب على السوفسطائي هيكانه الذي اجيز له الاشتراك في الموأءء العمومية ، عدم تفوهه بكلمة فقال ارخيداميداس « ان من يعرف مواضع الكلام يعرف ايضاً متى يجب الكلام هذه من طائفة من اجوبتهم القارصة التي تزينها المياقة كما قدمنا . — تضافق وامارات من اسئلة متنطع في غير موضعها كان يكرر سؤاله من هو خير السبارطين فاجابه « اقل الناس شبيها لك » اثنى بعضهم امام اجيس على

عدالة احكام الآلين في اعياد اولمبيا فقال « من اعجب العجبان يعدل الاميون
يوما كل خمس سنوات . باعنى اجنبى باخلاصه للسبارطين قائلا انهم فى بلدنا
يدعوننى صديق السبارطين قتال ثبونوتب ليتهم يدعونك صديق مواطنيك .
— نعمى احد كتاب ائيدنا على السبارطين جهلهم فقال بلستونا كس « صدقت نحن
الوحيدين الذين لم نأخذ عنكم مايضر » وسئل ارخيداميداس كم عدد السبارطين؟
فقال عددنا ايها الصديق كف اطررد الاشرار . »

ولو تابهناهم فى حزلهم لرأيناهم قد اعتادوا حتى فى ذلك الا ينطقوا سخفا او يفتوا
الكلام على غير هدى ، اقترح على سبارطى ان يذهب لسماع رجل يقلد
البلبل ، فقال « لقد سمعت البلبل ذاته . » وقال بعضهم بعد تلاوة البيتين التالين
« بينما كانوا يطفنون الظلم افرسهم مارس الجبار » « هلكوا عند ابواب
ساليانت » . « حق عليهم الهلاك كان يجب ان يدعوا الظلم يحترق . » وعد
شاب ان يعطى ديكه يقتل بعضها بعضاً فى العراك بينها . فقال لا اريد ان اعطونى
ديكه يقتل وهي تدافع عن نفسها . « ورأى أحدهم أناسا محمولين على حمالة فقال
« معاذ الله أن أكون فى موضع لا أستطيع منه النهوض احتراماً لشيخ . »
هذه صراحتهم فى عباراتهم على أنه قد قيل بحق ان ايجازهم فى المران الجسدى كان
أقل منه فى حب الحكمة .

كان ولعهم بالغناء والشعر الغنائى يعادل طابهم الرقة والهناء فى اللغة . كان
فى شعرهم ما يشير الشجاعة ويوحى الحماسة ويحمل على جلائل الاعمال اسلوبه
بسيط قوى ومواضعهم جدية كفييلة بتكوين الاخلاق يظري من ماتوفى سببيل
سبارطه ويندم من أظهروا الجبن يصور حياة هؤلاء بين الاحزان والتعاسة وكان
معشما بين ما يلائم كل سن حاقا على التقدم الى الفضيلة او اظهار ما يحسن أن
يتجمل به الانسان . ويحسن بى أن أذكر بياننا لهذا المعنى كانوا يقيمون فى الاعياد
ثلاث فرق غنائيه مختلفة من حيث الاسنان فكان الشيوخ يقولون . « كنا

فتيانا وشجعانا . « فتجيبهم فرقة الشبان » ونحن اليوم كذلك (شبانا وشجعانا)
 اقترب ترباندر « وتقول فرقة الاطفال » ونحن سنكون يوما كذلك . وأوفر شجاعة .
 واذا القينا نظرة عامة على شعر السبارطين وقد وصل اليها بعضه ، وعلى
 الاغانى الحربية التي كانوا يرتلوها وهم سائرون ملاقاتة العدو لرأينا أن ترباندر وبندار
 لم يخطئا الصواب عند قولهم ان الشجاعة ترافق الموسيقى . فال اول عن
 سبارطه . : هناك تزهر شجاعة الجنود والانعام انشجية والعدالة حامية المدن . .
 وقال بندار « هناك مجلس الشيوخ وفوارس الحروب ، يدهم على الرماح . وفرق
 المرثمين والاعاني والاعباد . » كلاهما يمثل لنا السبارطى شديد الولع بالموسيقى
 والحرب . والحقيقة أن هناك شيئا متعادلان ، هزات الرماح ودقات المزاهر . كما
 قال الشاعر السبارطى .

كان انك يقدم قبل الموقعة قرانا لاله الموسيقى تذكيرا للجنود بما تتقوه
 من التربية وما سوف يحكم به عليهم ولتبعث فيهم الحمية فيخوضون المخاطر ويقومون
 بجلائل الاعمال . وفي هذه الحالة يتسامحون مع الشبان فيما يقتضيه النظام
 من الشدة ، يباح لهم ان يعنوا بشعورهم واثيابهم واسلحتهم . وان موقفهم
 كالزيادة الفتية تنتظر المعركة لمن اشهى ماتتوق النفس الى رؤيته حيث تبرى
 عيونهم جرأة وكبراً وتزداد عنايتهم بتنسيق شعورهم قبيل اقتحام الخطر على
 انها موضع اهتمامهم منذ الشباب واضعين نصب عيونهم قول ليكورجوس ان الشعور
 الطويلة تزيد الجمال هيبه والقبح رهبة . كانت تمارينهم فى المعسكرات اخف
 منها فى ميادين الرياضة وحياتهم الين وافسح فالشعب السبارطى هو الشعب
 الوحيد الذى يجد فى الحرب راحة من عناء المران والاستعداد للحرب .

وهى اصطف الجنود للقتال ولاقى العدو وجها لوجه ، نحر الملك عنزة وامر
 الجنود بلبس التيجان والموسيقىين ان يرتنوا على المزمار لحن كاستود وهو ذاته
 يعنى نشيد الحرب ايدانا بابتداء الهجوم . ومن المناظر التي تجمع بين الحلال
 م ١٠٥ المظاء

والرهبة ، مرأى الجنود تسير بخطى منتظمة على نغمات المزمار ، كل في صفه لا يخرج عنه. ولا اثر للخوف في نفوسهم يقتحمون الخطر باقدام ثابتة ووجوه طاقية تحدرهم الانغام الموسيقية. والحقيقة ان رجالا تسير بهم امثال هذه العواطف لا يمكن ان يخامروهم خوف ولا يساورهم غضب ؛ ان صدورهم مملأى بالثقة والامل والجرأة معتمدين على حماية الألهة .

كان الملك يتقدم الى العدو ومعه مقاتل على راسه تاج ويكون ممن فازوا في الالعاب اليونانية ، ويحكي لهذه المناسبة ان عرض على مصارع سبارطى مبلغ جسيم ليتخلص عن المصارعة في الالعاب الاولمبية فابى ، وبعد أن صرع خصمه وقد شاقه مشاقه طويلة ، ماذا استفدت ايها السبارطى من انتصارك ؟ فقال باسمه . « اصحب الملك في ميدان القتال »

متى تغلبوا على العدو واكرهوه على الفرار ؛ لا يتعقبون الهاربين الا الى حيث يتأكدون النصر ويقفون لاعتقادهم ان ليس من المرؤة ولا من الشهامة ولا مما يخلق بشعب يونانى ان يتعقب ويقتل اناسا اعترفوا بالهزيمة وولوا الادبار وهذا مسلك يجمع بين الفائدة والنبالة اللائقة بالنفوس الكبيرة ، يرى الاعداء انهم يقبضون على من يقاومهم ويبقون على الهاربين فيؤثر الفرار على المقاومة .

زعم هيبياس السوفسطائى (١) ان ليكورجوس كان محاربا عظيما وانه قام بعدة حملات . ويعزو فيلوستفانوس (٢) ان ليكورجوس تقسيم الخيالة الى دوائر يؤلف كل منها من خمسين فارسا وتكون مر بعا . ولكن ديمتريوس الغالارى يدعى ان ليكورجوس لم يحمل السيف وانه وضع نظام حكمته ايام السلم ومن

(١) من اليس ومعاصر السقراط ؛ وقد سخر افلاطون في محاوراته من ادعائه العلم بكل شئ .

(٢) مؤرخ وجغرافى ولد في -يرين وعاصر بطليموس فيلادلفوس .

المؤكد ان ايجاد فكرة « الهدنة » ايام الالهاب الاوليبيسة دليل على رقة خلقه
 وميله لسلام ومع كل فان هيرمنتوس يروى عن بعض الكتاب ان ليكورجوس
 لم يكن يفكر في ذلك اولا ، ولم يقل عنه شيئا لايفيتوس ، ولكنه حضر
 الالهاب اثناء رحلته متفرجا ، حيث سمع خلفه صوت رجل يعيب عليه في
 استنكار عدم الزامه مواطنيه الاشتراك في عيد حافل كهذا ، التفت ليرى مخاطبه
 فلم يجد أحدا . وقع في روعه ان هذا تنبيه من الالهة فقصده ايفيتوس ونظم معه
 معادات الاعياد فزادها بهاء وضمن استمرارها زهنا طويلا .

كان نظام التربية في سبارطة يخضع لقوانينه الرجال الكاملين لاتبيح لاحد
 حرية العيش على ما يريد . وكانت المدينة اشبه شيء بمسكري يعيش فيه الاهالى
 على مانصت عليه القوانين لكل عمله في الحكومة . وكلهم يعيشون على فكرة
 انهم ليسوا ملك انفسهم بل ملك الوطن . ومتى كانوا غير مأمورين بعمل وليس
 لديه عمل تولوا مراقبة الاطفال وتعليمهم ما يفيد ، او انقطعوا الى تعاليم انفسهم يأخذون العلم
 عن الشيوخ ، فمن خير ما احسن به ليكورجوس على مواطنيه ، اخلاؤهم من العمل واكسابهم
 الوقت الطويل بفضل ما حرم عليهم من الاشتغال بالاعمال الراجحة حيث جعلهم في غير
 حاجة عمل يحصلون به ثروة وقد صار المال لاشي اوشبرا حقيرا . كان الهيلوتيون
 يقومون لهم بتفليح الارض ويدفعون لهم خراجا معيننا . كان سبارطى في اثينا
 يوم قضاء قسم ان قد حكم على رجل لانه كان عاطلا . فلما عاد مع رفاقه الى منزله
 قال « اين ذلك الرجل الذى يحكم عليه لانه يعيش عيشة الرجل الحر . » الى هذا
 الحد بلغ احتقارهم للفنون والصناعة ، وجمع الاموال . خرجت القضايا والمخاصمات
 من سبارطة يوم خرجت الاموال ، وهذا امر طبيعى اذ لم يكن هناك ثراء ولا
 فقر . فضت المساواة على الفاقة ، واجتلب التقشف الخصب . لم يكن هناك سوى

المراقص والولائم ، والتنافس بالصيد والتنص والمران على الالعاب الرياضية والمخادعات العامة لا يذهب الذين بلغوا الثلاثين من العمر الى الاسواق بل يقوم بقضاء حاجاتهم زورقياهم او معشوقهم ، اما الشيوخ فكانوا يخرجون من ضياع الوقت في شأن كهذا ، يتقنون رياض نهارهم في الالعاب الرياضية او اما كن الاجتماع حيث يتعبدون اطراف الحديث عن الفضائل غير مفكرين في تجارة ولا ثروة . حديثهم اطراء الاعمال الصالحة رزم الطائفة في اسلوب يجمع بين النقد والاستفادة .

لم يكن ليكورجوس عبوسا فقد قل عنه سوسيبوس (١) انه صنع بيده تمثالا صغيراً للضحك ، اراد به ان لا تفارق المشاشة الولايم المشتركة والالعاب فتكن ملحا يصلح مزاج العمل والمجتمعات . اراد ان يعود مواظبيه الا يشعروا العزلة او يعرفوها ، بل يكونون كالميل دائمى الاتحاد للمصلحة العامة . ملتفتين حول رؤسائهم خارجا عن زواتهم في نوع من الانشراح لالهى وحب المجد مما بنعش النفوس فكانوا جميعا للوطن . تعرف ذلك مما يرى عنهم من الاحاديث ؛ لم يفز بادارتيه بالانتخاب ضمن الثلاث مائة فعاد من الاجتماع جزلان راضيا لانه يوجد في سبارطة ثلاثمائة خير منه . كان يرتب استراتيجيداس بين الموفدين الى قراد الفرس فسألهم هؤلاء ، هل انتم موفدون من قبل رئيسكم او من قبل جمهوريتكم ؟ فلجابه اذا نجحنا فنحن موفدون من قبل جمهوريتنا والافن قبل رئيسنا . « جاءت جماعة من ادميبوايت الى سبارطة لزيارة ارخيلونيبوس والدة برازيداس فسألتهم هل مات ابنها شجاعا خليقا باين سبارطه ، فاطراه الاجانب قائلين ان ليس في سبارطة كلها اشجع منه ، فاجابتهم الوالدة ، لاتقولوا هذا ايها الاصدقاء كان ابن شجاعا ولكن في سبارطة كثيرون خير منه واشجع . »

قلنا ان ليكورجوس انتخب رجال مجلس الشيوخ (السينا) من بين الذين عاونوه في عمله ثم سن بعد ذلك شرعة مؤداها انه اذا توفي شيخ انتخب بدلا منه

(١) بحوى من سبارطة عاش في عهد البطالسة الاول .

أوفر الوطنيين فضلا ممن تجاوزوا سن الستين. وكان التنافس معركة من المعارك
المعارك في العالم وخير ما تبذل فيه جهود المتنافسين لم يكن التقصد اقتخاب الشط
النشطاء ولا أقوى الأقوياء بل أحكم الحكماء وأفضل الفضلاء ، يستمتع المنتخب
طول حياته باجر الفضيلة ، وهو السيادة التامة المطلقة في الحكومة ، يحق له التصرف
في حياة وسمعة الاهالي اى في اهم مصالحهم واليك تفصيل عملية الانتخاب

يجتمع الشعب في الساحة العمومية ويجتمع الحثارون (المرشحون) في بيت
بجوار لا يرون احدا ولا يراهم احد ولكنهم يسمعون هتاف الجماعة لان الشعب
كعادته يعطى صوته عاليا . ولا يرى المرشحون سوى المكتوب على لوحة الدرجات
الاول والثاني والثالث وهم جرا . ولا يدخل المتنافسون الى الساحة دفعة واحدة
بل يجتازونه الواحد بعد الاخر صامتين فمن كان موقن كان الهتاف له اكثر واغوى
كان المنتخب فيتوج با كليل من الزهر ، ثم يذهب الى الهيكل يقدم الشكر للالهة
يمشى خلفه جماعة من الشبان يثنون على شئله ويطرون فضائله ، ثم طائفة من
النساء تاشد الاناشيد تهنئة بحياته الفاضلة . ثم يعدل كل من اصحابه طعاما ويقول
له ان المدينة تكرم فضله بهذا الطعام ، وبعد ان يزورهم جميعا يعود الى الساحة
العمومية حيث يقضى الشؤون . عادة . غير أنهم يعدون اء طعامين (حصتين)
يترك احدها وبعد تناول العشاء تحضر ذات قربان يتفنن عند ابواب الساحة
فيدعوا اكثرهن احتراما في نظره يقدم اليها الخصة الثانية قذلا ، أعطيت هذا
جزء الفضيلة وبهذه الصفة اقدمها اليك « فتصحبها النساء الى منزلها وتكون هي
ايضا موزعا للحفاوة والتكريم .

ولا تقل شرائع ليكورجوس عن الموتى والخيالات حكاة عن سواها . فلنكي بعد
اللاهام عن العقول لم يحرم دفن الموتى في المدينة ولا اقامة المقابر بالقرب من الهياكل
فعود بذلك الشبان رؤية الموت وحال بينهم وبين الفرع من مشهده وتوهم
الذلس من لمس الجثة أو الطراف حول المقبرة ولم يسمح بدفن شىء مع الميت ،

انما يكفن في قماش أحمر وورق الزيتون ، وحرم كتابة الاسماء على المقابر الا أسماء الذين يموتون في ميدان القتال أو المرأة المكرسة لعبادة دينية . جعل ليكورجوس مدة الحداد احد عشر يوما وفي الثاني عشر يذهبون لاداء التقدمة للاله سيرس فينقضى الحداد . ولذلك لانه لم يرد بقاء القوم عاطلين زمتا طويلا . اذ كان دأبه ان يجمع بين أداء الواجب الضروري والتشجيع على الفضيلة وتقبيح الرذيلة . لم يدع رواية في المدينة دون ان يقيم فيها الأمثلة والقنوات الصالحة يقتدى بها الوطنيون اذ يرونها نصب عيونهم على الدوام تجتذبهم بقوتها القاهرة الى الخير وتفرغهم في قلبه .

اما حرمان مواطنيه السفر والطواف في العالم فلانه كان يخشى عليهم ان يجتلبوا عادات البلاد الاخرى والأمثلة السيئة أو يرون في الحكومة رأيا غير رأيه . لقد فعل أكثر من ذلك ، طرد من سبارطة جميع الاجانب الذين أتوا اليها لغير مصلحة . لم يكن منه ذلك ؛ كما زعم توسيديد خوفا من ان يقلدوا حكومته أو يتمرسوا بالفضيلة بل كان ذلك منه خوفا من ان يكونوا في سبارطة معلمين للرذيلة . والحقيقة انه لا بد من ان يدخل مع الدخلاء في المدينة آراء جديدة ، ومع الآراء الجديدة ، وجهات نظر جديدة ، ولا تلبث هذه ان تلد أهواء ورغبات توقع الاضطراب في النظام كما تحدث الاصوات الناشزة عند الغناء اضطرابا في الاداء والتوقيع . لذلك رأى ليكورجوس انه يجب صيانة المدينة من الاخلاق الفاسدة بعناية أكثر مما يلزم لابعاد المرضى والموبوءين عنها .

يوجد فيما قدمنا اثر للظلم أو القسوة التي يعيبونها على شرائع ليكورجوس . يقولون انها صالحة لايجاء الشجاعة ولكنها قليلة الفائدة في اقامة العدل . ولعالمهم يقصدون ما يدعونته في سبارطة الغدر (أو الاغتيال .) اذ كان ذلك مما سانه ليكورجوس على ملازم ارسطو الذي ادعى أفلاطون استيائه من حكومة المدينة ومشرعها .

وتفضيل هذه الشرعة ان الحكم كانوا يرسلون أشد التبان حذرا وقوة
 يقطعون الطريق في المزارع غير مسلحين الا بالخنجر والمؤنة . يتفرق الشبان نهائياً
 ويختفون في أماكن بعيدة عن الانظار ؛ يستريحون فيها حتى اذا جن الليل
 يخرجون وينتشرون في مفارق الطرق يذبحون من يلاقونه من جماعة الهيلوت . وقد
 يغيرون نهائياً على المزارع يقتلون أشد الهيلوتين بأساً . قال توسيديد في تاريخ
 حرب البيلوبونيز ان السبارطين اختاروا عدداً كبيراً من رجال الهيلوت الممتازين
 بشجاعتهم لتحريرهم وتوجوهم باكاليل الزهر وساروا بهم الى الهياكل ليقدّموا
 واجب الشكر للآلهة على ما أصابوا من الحرية ؛ وحدث بعد ذلك ان اختفى أولئك
 المحررون وكان عددهم ألفين . لم يقل لنا أحد في ذلك العصر ولا فيما بعده كيف
 ماتوا . ويقولون أيضاً وارسطويثويد القائلين ان النواب عند استلامهم مهام الحكم
 يبدأون باعلان الحرب على الهيلوتين حتى لا يعد قتاهم رجساً . وان السبارطين
 كانوا يعاملونهم حينما وجدوا باقسي ما يكون من القوة . كانوا يكرهونهم على الافراط
 في شرب الخمر ومتى نملوا ساقوهم الى ساحة الطعام العمومية ايرى الشبان ماهو
 السكر . وكانوا يكرهونهم على ان يغنوا ويرقصوا أغان ورقصات وقحة مزرية
 ويمزجون عليهم كل ما تحوى عليه هذه الملاحى من خير وشرف . ويقال أيضاً
 انه حدث بعد ليكورجوس بزمن طويل أيام حملة الطيبين على سبارطة ان الهيلوتين
 أبوا ان يفتوا شيئاً من شعر تارباندر والكيان ، وسباندون السبارطى لان ساداتهم
 حرّموا عليهم ذلك .

وعليه يكون أجلى ما توصف به حكومة كهذه ، ان أحرارها كانوا على
 أسنى ما يكون من الحرية وعبيدها فى أدنى ما يكون من العبودية . أما أنا
 فرأى أن السبارطين لم ينزلوا الى هذا الدرك من القسوة الا بعد ليكورجوس
 بزمن طويل . اشتدت وطأة القسوة بعد الزلزال الخطير الذى حدث
 ٤٨٩ سنة ق . م . انتهزه الهيلوتيين فرصة للثورة فنهضوا لها بالاتفاق مع المسيئين

وقد أنزلت هذه الثورة بالبلاذ شر الولايات وعرضت المدينة لاشد الاخطار. على انى لا أستطيع ان أنسب للى كورجوس بدعة هذا الضرب الاثيم من العذر، انى أحكم عليه حسب أخلاقه ودعته وعدله ، تلك الخلال البارزة فى مسلكه وهى التى شهدت لها الآلهة .

ما لبست روح الانظمة الجديدة ان انتظمت أخلاق الوطنيين فتوطد دعائم الحكومة الى درجة تستطيع معها البقاء والاحتفاظ بكيانها . قال افلاطون ان الله لما أتم خلق العالم سر سروراً عظيماً عند ما رآه يتحرك حركته الاولى . كذلك سر ليكورجوس سروراً عظيماً عند ما رأى جمال وخلال شرائعه تسير وحدها وافية بالغاية التى قصد اليها . حينئذ أراد أن يضمن لها جهد المستطاع بقاءً خالداً وسلاماً لا تشوبها شائبة . جمع مواظبيه كلهم وقال لهم انه أنشأ هذه الحكومة كما يجب لسعادتهم ودوام فضائلهم ولم يبق إلا نقطة واحدة ، هى فى الحقيقة أهم ما سبق . ولكنه لا يريد احداثها قبل استشارة وحى ابولون . حثهم على صيانة الشرائع بكل حرص وأمانة لا يغيرون فيها ولا يبدلون حتى يعود من دلف متعبداً بتنفيذ ما يأمر به الآلهة ، عاهدوه على الطاعة التامة واستعجلوه فى الرحيل . اخذ ليكورجوس اليمين على المالكين والشيوخ والشعب أن يحرصوا على الحكومة التى أنشأها ثم سافر الى دلف . ولما وصل الى الوحى وقدم المقدمة الى الآلهة سأله اذا كانت شرائعه صالحة لسعادة السبارطين وأنماء الفضيلة بينهم ، فاجاب ابولون أن شرائعه عظيمة جديدة وان سبارطة ستبقى أشهر المدن مادامت حافظه للانظمة التى وضعها ليكورجوس ، كتب ليكورجوس جواب الوحى وارسله الى سبارطة ، ثم ادى مقدمة أخرى وعانق أصحابه وابنه واراضي ان يموت حتى لا يتحلل مواطنوه من قسمهم . كان فى تلك السن التى يكون فيها الانسان من القوة بحيث يستطيع الحياة ، ومن النضوج بحيث يستطيع الموت اذا أراد . رأى جميع متمنياته محققة على وجه التقريب فامات نفسه جو عامعتداً ان موت

السياسى أوفر فائدة لمواطنيه من حياته العاطلة.

هنا مجال فسيح للنظر فى هذا الموقف العظيم للفضيلة والعمل . رأى ان يتم سعادته بعد ما قام به من جلائل الاعمال بانوت . رأى أن يحفظ لمواطنيه الذين أقسموا أن يحرصوا على شرائعه حتى يعود ، دوام ما اجتلب لهم مدة حياته .

لم يخب ظنه فتمد بقيت سبارطة فى المقام الاول بين مدن يونان متفوقة بفضل حكومتها الحكيمة متحفظة بمجدها مدة الخمسمائة سنة التى حرمت فيها على شرائع ليكورجوس . لم يحدث أحد من الاربعة عشر ملكا الذين تلوه فى الحكم من المشرع الى أجيس بن أرخنداميس تغيراً ما فى الشرائع لان النواب لم يتهاونوا فى شأن من شؤون الحكومة بل ازدادوا حرصاً على صيانتها . وكان فى ذلك الخير كل الخير للشعب . ولكن قوة الارستوقراطية أخذت فى النمو أيضاً . فى عهد اجيس تسربت النقود إلى المدينة ومعها البخل والجشع . وفى ذلك العهد اجرى ليزاندور فى وطنه محبة المال والترف ، ولوانه لم يكن يسمح لنفسه أن تستهويها شهوة الذهب . وانتهى الأمر بان تغلبت الاموال التى عاد بها من الحرب على شرائع ليكورجوس . اما أيام احترام سبارطة تلك الشرائع فكانت اشبه بيوت عاقل حسن النظام منها بمدينة تسودها الحكمة . أو كما يقول الشعراء عن هرقل أنه طاف العالم لابساً جلد أسد ويده « زقلة » يظهره من أولادنا والطفاة الظالمين ، كذلك كانت سبارطة برسالة صغيرة وطاقية حميرة على إرادتها على جميع بلاد اليونان فتدين لسلطانها طائعة . تقوض اركان الظلم والاستبداد اللذين يرهقان المدن ، تحكم فتبطل الحروب والفتن ، وكثيراً كان يحدث ذلك دون أن تجرد سيفاً أو تدبر ترساً ، لا يكلفها ذلك سوى ارسال سفير يخضع الجميع لارادته كما يعمل النحل متى رأى ملكه يسرع اليه ويصطف حوله . فما أعظم ما كان لسبارطة من هيبة وما اشتهر عنها من عدل !

يدهشني بعد ما تقدم ان يقال بأن السبارطين لا يعرفون سوى الطاعة ، أما القيادة فلا . انى أفهم ما يعلقون من خط على كلمة الملك تيونوثب ، قيل أمامه يوماً أن سبارطة محتفظة بمقامها لان ملوكها يعرفون كيف يتودون . فقال تيونوثب « الاولى أن يقال أن الوطنيين يعرفون كيف يطيعون . » إن الشعوب على ما ترى ؛ لا تخضع طويلاً لمن لا يعرف كيف يقودها . إن طاعة الرعية ثمرة علم الراعى . فمن احسن القيادة حسنت له الطاعة . وكأ أن افترض من رياضة الخيل هو كبح جماحها واخضاعها للشكيمة ؛ كذلك افترض من السياسة الملكية هو افراغ الشعب في قالب الطاعة .

لم يخضع السبارطيون الشعوب لارادتهم فقط بل كانت الامم تتنازع عرش رياسة أحدهم عليها يخضع لامره . لم يطب منهم الا جانب سفنا ولا مالا ولا جيوشا ، بل قائداً سبارطياً . وهى فازت به امة تقدمته اليها الهيبة والرهبه . على هذا خضع الصقليون لزعامه جيليب ، والكاليدون لزعامه برازيداس ، وجميع يونان اسيا لزعامه ليزاندر وكاليكرا تيداس واجز يلاس . كان القواد السبارطيون يدعون حكام ومصلحي شعوب وملوك العالم . كانت سبارطة سيده العالم في فنى الحياة الطيبة والحكمة . وهذا مادعا ستر اتوني كوس (١) إلى إلقاء عبارته الساخرة . « على الاثينيين ان يحفلوا بالاسرار والاعياد الدينية ، وعلى الأبييين ان يقيموا الالعب العمومية التى برعوا فيها واذا أخطوا تولى السبارطيون جلدتهم . » كلمة اراد بها الضحك . ولكن انتستين السقراطى (٢) قال فى جد إذ رأى الطيبين يفاخرون بانتصارهم فى ليكثر ، انهم يشبهون تلاميذ يباهون بضرب معلمهم .

لم يكن من هم ليكور جوس ان يجعل سبارطة على رأس جملة شعوب لا اعتقاده ان سعادة المدينة كسعادة الفرد ثمرة الفضيلة والنظام . قصد إلى ذلك واحسن

(١) مؤسس المذهب الكلى ومناصر افلاطون .

(٢) موسيق اثنى معروف بنكاته وملحه م

الوضع بحيث جعل الالهالى وهم احرر مكثفين بانفسهم يحرضون جهد استطاعتهم على الفضيلة . عنه أخذ أفلاطون وديوجنوس وزينوت وجميع المؤلفين السياسيين وارههم السياسية ولكنهم لم يتركوا سوى كتب وخطب . اما هو فقد أخرج للعالم ، لافى الكتب ولافى الخطب ، ، بل فى دائرة الحقيقة جمهورية لا مثيل لها . واقنع الذين يدعون ان الرجل الحكيم على ما حدده الفلاسفة لا وجود له ، انهم مخطئون : لذلك فاق مجده بحق جميع ايجاد مؤسسى الجمهوريات فى يونان .

لذلك قال ارسطوا ان السبارطين لا يفن ليكوجوس ما يستحق من التكريم وان كانوا يكرمونه تكريماً خارقاً للعادة . أقام له السبارطيون هيكلًا يؤدون له التقدّمات كل سنة كأنه اله . ويقال أيضاً أنه لما احضرت رفاته الى سبارطه اتقضت الصاعقة على قبره ، ولم يحدث هذا لغيره من العضاء سوى اوريدالذى مات بعد ذلك بزمن بعيد فى مقدونية . ودفن بالقرب من اراتوس ؛ وهذه شهادة مجيدة وفي بها المعجبون به لانها مميزة انفرد بها وحده بعد موته كافرش واعز رجل على الآلهة .

يقول البعض أن ليكوجوس مات فى جبرها ؛ يقول أبولوتنيس (١) أنه نقل إلى أوليد ، ويؤكدها (٢) واريستوكسين (٣) أنه ايامه فى كريت وان الكريتين يدلون على قبره بالقرب من الطريق الكبير ويقال أنه ترك ابنا وحيدا وهو انتيوروس ومات بلا عقب فكان آخر أسرته . أقام أصحاب وأهل ليكوجوس عيداً ما يحميون به ذكره ، بقى زمناً غير قليل . يدعون ايامه باسمه « الليكوجوسية » ويقول اريستو كرات بن هيبارك (٤) أنه لما مات ليكوجوس فى كريت أحرق

١ كاتب مجهول . ٢ امه تيم التوروموينى الذى سبقت الاشارة اليه . ٣ له ثلاث مؤلفات فى الموسيقى نشرت باسمه فى مجموعة مايبوسوس . وله مؤلف فى سير الفلاسفة . ولد سنة ٣٥٠ ق م . وكان تلميذا لارسطوا . ٤ مؤلف غير معروف

الأهالي جثته وذرروا رمادها في البحر بناء على وصيته . لأنه إن تعاد رفاقته إلى
ضبارطة فيتحال السبارطيون من إيمانهم بحجة أنه عاد فيغير شكل حكومته هذا
ما يعرف عن أيكورجوس .

نوما

من سنة ٧٥٤ الى سنة ٦٧١ ق . م .

تتناقض الاقوال في زمن حكم الملك نوما على ان السلالات متصلة اليه من جيل الى جيل . حقيقة ان كاتباً يدعى كلود يوس يؤكد في مؤلف له عنوانه مناقشات في الازمنة . ان جميع السجلات ضاعت ايام اغر الغاليون على روما وان الموجود منها محتلق اصطفايته ايدى البعض رغبة في اثبات سلسلة النسابة الى قدماء الرومانيين ليمنسحوا لانفسهم مكاناً في منازل العظماء . يقال ان نوما كان صديق فيثاغوروس . ويقال انه لم يكن يعلم شيئاً من الآداب اليونانية ؛ ولان الطبيعة وحدها هي التي كونه وحماته على التزام الفضية . واذا كان قد تنقى العلم والادب على استناد فيجب ان ينسب هذا الشرف الى رجل من البربر (الاجانب) أعلى كعباً من فيثاغوروس ويؤكد البعض ان فيثاغوروس لم يوجد إلا بعد نوما بزمن طويل تقدر بحمته أجيال على الأقل . ولكن فيثاغوروس السبارطى الذى أحرز قصب السبق فى الاعاب الاولمبية للدورة السادسة عشر التى حدث فى سنتها الثالثة انتخاب نوما . قام برحلة الى ايطاليا وصار صديقاً للملك وأعان على تنظيم شؤون مملكته . هذا سبب متراد من لائحة السبارطية خلال النظم الرومانية . ولكن النصائح التى تعزى الى فيثاغوروس هذا قد تكون هى انها اذية الى نوما عن طريق أصله السابى لان السابيين يزعمون انهم سلالة جالية سبارطية . على انه من المتعذر ضبط الزمن ؛ لاسيما اذا أردنا تطبيقه على الدورات الاولمبية التى أنشأها أخيراً هيريباس الاليسى ولا يستند الى وثيقة حقيقية ثابتة . ومع كل سنوى ما وجدناه عن نوما جديراً بالذكور فى الموضوع ذاته ما يدلنا على بدايته .

في السنة السابعة والثلاثين ابناء روم و حكم رومولوس وفي السابع من شهر يولييه وهو اليوم المعروف الآن بيوم العذارى الكابراتية. ذهب رومولوس الى خارج المدينة ليؤدى مقدمة عامة بالقرب من غدير العنزة يصحبه جميع رجال مجلس الشيوخ والشعب كله تقريباً. تغير الجو فجأة تغيراً غريباً ، انتشرت على الارض غيمة كثيفة مظلمة وهبت رياح عاصفة فكانت زوابعه مخيفة . استولى الرعب على الجمهور ففرقوا بددا واختفى رومولوس وسط هذه العاصفة ولم يجدوا حتى جنته . اشتدت الشبهة ضد الشيوخ وجرت الاشاعة بين الناس ؛ انهم ملوا الخضوع لسيطرة ملك فعلوا على التخلص منه ليستأثروا بالحكم . في الواقع ان رومولوس كان قد مال عليهم وعاملهم بالقسوة والاستبداد ولكنهم كسروا حدة هذه الارجيف بتقديمهم الى رومولوس التقدّمات الالهية واقناع الشعب بأنه لم يحث وانه ينعم بحياة أوفر سعادة . وأكد لهم بروكولوس وهو من أكثر رجالهم شهرة مقسماً أغلظ الايمان أنه رأى رومولوس صاعداً الى السماء متقلداً اسلحته وانه سمعه يأمرهم بان يدعوه كيرنيوس .

ولكن مسألة انتخاب ملك جديد أوقعت المدينة في الاضطرابات والفتن لم يكن الاجانب قد امتزجوا بالوطنيين . وقع الخصام بين الالهالى وتفرقت كلمة الشيوخ كل يسي الظن بالآخر . كان الكل مجمعين على ضرورة وجود ملك ولكنهم مختلفون في من ينتخبون ، ومن أية أمة من الامتين يختارونه . رأى الذين اشتروا مع رومولوس في تأسيس روما أنه من الظالم أن يدعى الساييون السيطرة على شعب دعاهم لمشاركته في المدينة وأراضيها . ويقيم الساييون البراهين التي لا تقل قيمة عن هذه بقوهم إنهم بعد موت تاتيوس ملكهم لم يشقوا عصا الطاعة على رومولوس بل تركوا له الحكم هادئاً مطمئناً وعليه يجب لهم في مقابل ذلك ان يختار الملك منهم . يضيفون الى ذلك أنهم يوم جاءوا الى روما لم يكونوا أقل قديراً من الرومانيين وانهم زادوا في قوتهم زيادة كبيرة وجعلوه

زيادة كبيرة وجعلوه من مدينتهم تلك المدينة القادرة القاهرة ولكن الشيوخ خشية اضطراب الحال اتفقوا فيما بينهم أن يتولى كل منهم الحكم واحداً بعد واحد يقدم التقدّمات المعتادة على ما كان يفعل رومولوس وإن تكون مدة حكمه ست ساعات نهراً وست ليلاً. رضى الشيوخ بهذا الاتفاق لتداول السطة بين أيديهم ويرى كل شيخ في كل نهار وفي كل ليلة وطنياً وملكاً فتزول أسباب الغيرة ويطلق الرومانيون على هذا العهد (عهد ما بين الحكومتين)

لم ينج الشيوخ بالرغم من اعتدالهم وتقربهم للشعب من الريب والظنون والتدّمر ضدّهم . أمهم الشعب بتحويلهم الحكومة الفردية الى حكومة جماعة وانهم يضمرون عدم انتخاب ملك ليقبوا الحكم بين أيديهم . فتفق الفريقان اتقاء هذه الظنون ان يعين أحدهما ملكاً يختاره من الفريق الآخر . هذه هي الطريقة التي ظن أنها خير ما يصلح الحال ، تحمل الملك المنتخب على العدل لعطفه على الفريقين يطف على هذا الذى اختاره مدين له بالملكية وتعطفه على الآخر لحمة القرابة . ارتضى السابيون أن يقوم الرومانيون بعملية الانتخاب ورأى الرومانيون أن خير لهم أن يعينوا سابياً يختارونه هم من أن يقبلوا حكومة رومانيا ينتخبه السابيون . وبعد المداولة قرّروا على اختيار نوما بونيليوس ، ولم يكن من السابيين الذين أقاموا فى روما ولكنه رجل أذاعت فضائله شهرته بين الجميع بحيث أن السابيين هتفوا عند سماعهم اسمه أكثر من الذين انتخبوه . أعلن الانتخاب الى الشعب وأرسلوا وفداً من الفريقين الى نوما يرجوا اليه للمجىء لاستلام أزمة الملك .

كان نوما من كوريس وهي احد مدن السابيين الشهيرة اخذ منها الرومانيون والسابيون الذين اكتسبوا حقوق الوطنية الاسم الذى أطلقوه على أنفسهم الكيريت وهو ابن بونيونيوس رجل محترم وهو اصغر اخوته الاربع . وهو وليد توفيق الهى ،

اذ ولد في اليوم الذي وضع فيه رودولوس اساس روما ، الحادى عشر من شهر مايو حملته فطرتة الطيبة على التحلى بالفضائل زادها كمالا بالعلم والصبر والفلسفة . طهر نفسه لا من جميع الاهواء المنجلة بل من الاهواء التي يفتخر بها البربر (المتوحشون) كالتسوة والشراهة . لا اعتقاده ان الشجاعة الحقيقية هي اخضاع الشهوات لغير العقل وحرصا على هذه المبادئ ابعد عن بيته جميع اسباب الترف والفخفة . رأى فيه الاهالى والاجانب حكما عادلا لاغش فيه . خص أوقات فراغه لالتسعى وراء التمتع بالملاذ ، ولا يجمع الثروة بل لتكريم الآلهة والسمو بعقله الى معرفة طبيعتها وقدرتها حتى اكتسب من الصيت الحسن والمجد . ما حمل تانيوس زميل رودولوس في الحكم على اختياره صورا له ، زوجه من ابنته الوحيدة ثانيا . لم تستوهه هذه القرابة الى مغادرة موطنه والمقام بقرب حميه بل بقى في كوريس يعتنى بخدمة والده العجوز وقد اثرت ثانيا امرأته البقاء مع زوجها في بيته الخصوصى ناعمة البال قريرة العين على ما كانت تجسد من أنواع الاحترام والتبجيل في روما وفي بيت ايها يقال ان ثانيا توفيت بعد زواجها بثلاث عشرة سنة فحجر روما بعدها المدينة واعتماد سكنى الريف وكان من دواعى السرور عنده ان يتنزه منفردا بين خصاص الآلهة والمروج المقدسة والاماكن الخربة . وظنى ان هذه الحياة كانت سببا لما اشيع عنه من اتصاله باحدى الآلهات :

ظن القوم ان لا الضجر ولا الحزن هما اللذين حملنا روما على الابتعاد عن الناس ، بل انه وجد اليقة اسمى وان الهة وجدته خليقا بعهدا وانه صار زوجا للالهة اجبرى تغدق عليه خيرات حبها فصار بفضل المقام معها سعيدا علما بجميع الامور الالهية وفي هذا ما يشبه ما توارثه الابناء عن الاباء من الخرافات كالتى يرونها الفريجيون عن أنيس والطيميون عن هيردوتوس والاركاديون عن انديميون وغيرهم مما يروى عن رجال أسعدهم الحظ بصداقة الآلهات لا بأس ، لا بل من الطبيعي ان الله الذى يحب الخيول والطيور ، بل الناس يرضى مخاطبة الممتازين بفضائلهم

ولا يأتي محادثة التقى الورع . لما ان الها أو ذاتا الهية تتصل بجسد انسان فان
تتشق جماله ، فهذا والا يسهل تصديقه . ويذهب المصريون في ذلك مذهباً
خاصاً اذ يرون انه ليس محالاً ان تقرب روح الآله من امرأة وتبذر فيها غرساً
ولكن لا يستطيع بحال ان يتصل أو يتحد جسدياً بالهة . ولكن هذا لا يتفق مع
المبدأ المعروف ان كل ذات تتصل بمادة تترك فيها جزءاً منها وتأخذ منها جزءاً
لا يقل عن ذلك في الحقيقة ، ان الآلهة تود الناس . ومن هذه المودة ينشأ فيهم
ما يدعى حب . وما هو منهم سوى عناية خاصة بتكوين أخلاق من يحبون وجعلهم
فضلاً . هذا ما يمكن تصديقه وبهذا تفسر أحاديث الشعراء عن حب أبولون
لغورباس ، وهيانث وادميت وهيبوليت البسيوني ويقال ان هيبوليت لم يكن
يركب البحر من مدينته الى غيرها إلا ومتى شعر الآلهة بقربه وفرح بعبودته حتى
يوحي الى مستلم الوحي ان ينطق بهذا الشعر الحماسي

«هيبوليت تلك الرأس الغزيرة يجتاز البحر ويهود» ويقال أيضاً ان «بان»
أحب بندار وشعره وان الآلهة أكرمت هر نود وارخيلوك بعد موتيهما لانهما كانا
عزيزين على آلهة الشعراء وان الآلهة اسكولاب أقام في مسكن سوفوكل مدة حياته
ولا يزال هناك حتى اليوم أدلة على هذه الزيارة وان بعد موته قام له اله أخرباواجب
الاخير . اذا كان هذا شأن الآلهة مع الشعراء فهل نستطيع في غير عدل ان ننكر
عليهم . تكريمهم أمثال زالوكيس ومينوس وزردشت ونوما وليكورجوس وهم
حكام ومؤسس جمهوريات ؟ الا يجدر بنا ان نقول بان داعياً خطيراً يحمل للآلهة
على مواصلة هؤلاء العطاء ؟ وجب عليهم ان يأتوا ليوحوا اليهم مشروعاتهم المجيدة
وتشجيعهم على تنفيذها في حين انه اذا صح اتصالهم بالشعراء والموسيقيين فلا
يكونوا لغير شئ سوى التلويح . وإذا رأى احد غير هذا فالجمال فيسيح . كما قال
اكيليدس ، فلا بأس من الاعتقاد بما ذهب اليه بعض المؤلفين ان ليكورجوس
ونوما وغيرها من العطاء ممن تولى قيادة جماهير خشنة الطباع شديدة المراس

ادعوا لقبول ما ارادوا احدائه من التغييرات صدورهما عن الالهة : تخيل وافر الخير حتى لمن خدعوا

كان نوما في الاربعين من عمره عندما وصل اليه وفد روما يرجو اليه قبول للامكية . قام بمخاطبته بروكوس وفالازيوس اللذان وقم عليهما الانتخاب الاول من الرومانيين والثاني من السابينين ، لم يكن خطابهما طويلا ولم يشكافي ان نوما سيتلقى الخبر الذي بحملانه اليه كنعمه كبيرة ولكنهما لم يجدا السبيل لاقناعه سهلا . كان لابلهما من تقديم الاسباب المعقولة والرجاء لاقناع رجل اعتاد العيش بين الراحة والسلام ، بقبول حكومة مدنية ولدت في الحروب ونمت في ظل السلاح . اجاب بحضرة والده وماريوس احد اقاربه بما ياتي .

« في كل تغيير يحدث في حياتنا خطر علينا اما من لا يعوزه شي ولا يشكو حالة فمن الجنون ان يعدل عن عادانه ويفير من شأنه وان يستعويض عما هو مؤكد الفائدة بما لا تؤمن عقباه كما يستفاد مما حدث لرومولوس فقد الصقت به تهمة قتل زميله تاتيوس وتركه التهمة لاحقة برجال مجلسه بعد موته بانهم هم الذين قتلوه .

مع ان الشيوخ يحتفلون بذكري رومولوس بصفته ابن الالهة . يقولون ان رومولوس غدى في طفولته وانقذ بعناية الهية خاصة . اما انا فمن البشر غديت ونشأت بين رجال تعرفونهم وماتمدحونه في من الصفات ليست ما يلزم لرجل يقدم على تولي الحكم .

ان ما احبته دائما هو الراحة والدرس بعيدا عن مهام الاشغال وما يلازمها اني احس بميل شديد للسلام ، للرياضة البعيدة عن الحرب ، لتلك المجتمعات التي تشتغل بتكريم الالهة التي تتمتع بالمسرات البريئة بمودمنها الى حرائة الارض ورعاية القطعان .

اما انتم ايها الرومانيون فقد خلف لكم رومولوس حروبا يحتمل انكم

لم تكونوا تودونها . ان المدينة محتاجة في مقاومتها الى ملك ممتلى بحماسة وفي عنفوان الصبا . لقد اعتاد هذا الشعب الحروب والنصر مغرى بشجاعته ويعلم الكل انه لا يريد سوى التوسع والسيادة على الشعوب الاخر . فيكون من المضحك خدمة الآلهة وتعويد الاهالى العدل وبغض الحروب واحتمال الشدائد في أمة حاجتها إلى قائد جيوش اشد منها الى ملك

قابل الرومانيون قدمه نوما من الاسباب لرفض الملكية بالالاحاح الشديد وتوسلوا اليه الا يرمى بهم ثانية بين الاضطرابات والحرب الاهلية لانه هو الرجل الوحيد الذى ارتضاه الفريقان . ولما انسحب بذل والد نوما وماريوس الجهد لاقتناعه بقبول هذه المنحة الجميلة الالهية .

« اذا كان لك من ثروتك ما يغنيك ولم تكن فى حاجة إلى كنوز : اذا كنت لا تطمع فى مجد السيادة والسلطة بما لك من الفضيلة من مجد محقق فلتعبر على الاقل انه فى تولى الحكم خدمة للالهة . ان الاله هو الذى يدعوك اليوم ؛ لا يريد ان تبقى العدالة التى اقترنت به عاطلة لاثر لها . فلا تقاوم ارادته . لا ترفض الحكم انه مجال يأتى فيه الرجل العظيم جلائل الاعمال هناك يستطيع أن يكرم الالهة أكبر تكريم باخضاع الرجال لمواطنى التقوى بما يقدمه الملك من القدوة الصالحة المؤثرة .

لقد أحب الرومانيون تاتيوس وهو غريب عنهم واكرموا ذكرى رومولوس بتكرمات دينية ومن يدري اذا لم يكن هذا الشعب المنتصر قد مل الحروب وشبع من النصر والاسلاب تاق الى رجل يحب العدل يقيم خير الشرائع التى تكفل لهم السلام ؟ و إذا بقى ذلك الشعب على ميواه وشهوته الحربية الا يكون من الخير تحويل هذه الحمية إلى شؤون اخرى متى قبضت على اعنة الحكم . تجمع كلمة الوطنيين وتوفيق روابط المودة بين السابيين وأهالى المدينة العامرة الرهيبة ؟ ويقال ان فلا حسنا ايد هذه الاسباب ، وزادها رجاء مواطنيه

الذين اسرعوا اليه عند ماسموا بقدوم وقد روماء الحواغليه في السفر وقبول الملكية ليوثق الأتحاد والالفة بين رجال الامتين .

ومذ قبل قدم مقدمة للالهة وسافر الى روما فاستقبله رجال مجلس الشيوخ والشعب بمحبة وبهم الشوق لرؤيته هتفت له النساء هتاف الفرحة وقد من التقدّمات في الهياكل وشمل الفرحة الجميع حتى كأنهم لا يستقبلون ملكا بل مملكة ولما وصل الى الفروم (ساحة المدينة) شرع سيوزيوس فتيوس القائم بالحكم في اجراء الانتخاب فاجتمعت الاصوات على انتخاب نوما وقداموا اليه الشارات الملكية . فطلب اليهم نوما أن يتريشوا حتى يتأكد من رضى الآلهة فاخذ طائفة من الكهنة والعرافين وصعد الى الكابيتول الذي كان يدعوه الرومانيون حينذاك تل تاربيا فالتقى على وجهه رئيس العيافة غشاء واداره نحو الجنوب ووقف خلفه . ونوما يده اليمنى على رأسه وصلى وادار نظره في جميع الجهات ليرى ما تعلنه الآلهة بطيران العصافير أو علامات اخرى . وكان السكوت الرهيب يخيم على تلك الساحة المكتظة بالناس والكل ينظر ما يحدث الى أن ظهرت اخيرا طيور حسنة الطالع سائرة الى اليمين وحينئذ لبس نوما الرداء الملكي وتوسط الشعب فعلا هتاف الفرحة يحيي الجميع الملك يلقبونه القديس ابن القديسين واعز انسان على الآلهة وكان أول عمله بعد تويته الملك الغناء فرقة الحرس وهي مؤلفة من ثلاثمائة جندي التي كان رومولوس يقيمها حوله وكان يدعوها سرية نخفة رجالها في الجرى . لم يرد نوما ان يظهر عدم الثقة فيمن وثقوا به ولم يرد الا الحكم بين أناس يثقون به ثقة تامة . ثم زاد على كاهن جوبيتر ومارس كاهنا اخر لرمولوس ودعاها فلامين كبير ينال . وفلامين كلمة مأخوذة من لفظة بكالاتين اليونانية ومعناها القبعة الحمراء وهي التي كان يلبسها الكهنة . وذلك لان الكلمات اليونانية كانت كثيرة التداول بين الرومانيين في ذلك العصر كذلك كلمة لين التي تطلق على اردية الملك مأخوذة من « كلين » اليونانية وكاملوس وهو الاسم الذي كان يطلقه بعض شعوب اليونان على مرقير لانه وزير (أورسول) الآلهة

وبعد هذه الاصلاحات التي اكبته عطف الشعب ورضاه لم يضع نوما لحظة من الوقت . أخذ يلين أخلاق الوطنيين كما يلين الحديد وان يبدهم من ميولهم القاسية الحربية عواطف أرق وأعدل ، كانت روما حينذاك المدينة الثائرة التي تكلم عنها أفلاطون . صنيعه أجرء الرجال وأسلمهم في القتال اجتمع أبناؤها من كل حدب عاشوا بين الحملات والحروب المتوالية تحت قوتها بفضل السلاح وكانت الخطر يزيد قدمها رسوخا كما يزداد الوتد تمكينا بالدق . كان نوما يعلم انه من الصعب جداً ان يحمل هذا الشعب المتبكر الحربي على حب السلم فاستعان بالدين وتوسلا باقامة الاعياد وتقديم القرابين واقامة المراقص يدبرها بنفسه ويخفف من حركتها بما يودع فيها من أسباب السرور وبهذا راض تلك الطبائع الهاشجة وهذبت من سورتها وكان يعتمد احيانا الى الافضاء اليهم باحاديث معجزات مخيفة أظهرتها اليه الالهة : رؤى غريبة واصوات تهديد ، وأخيرا أفلح في تهدئة تلك النفوس وثناها تحت سلطة الدين

كان هذا المسلك داعياً للقول بان نوما مدين بحكمته لتعاليم وصدقة فيثاغوروس والواقع أن أساس حكومة نوما ومبادئ الفيلسوف هما عبادة الالهة والرياضة الصالحة ، ويقال أيضاً إنه ذهب مذهب فيثاغوروس في إبراز جميع ما يعمل في شئ من المباهاة . فقد راضى الفيلسوف نسرا حتى جعله يقف طيرانه متى دعاه وينحط على رأسه . وكان في الالعب الاولمبية يمر بين الجماعات مظهراً فخذة الذهبى وكم من حيلة تعزى اليه وكم معجزات ، حملت تيمون الفليازى (١) على القول .

« فيثاغوروس صاحب البيان الساحر الجشع في حب المجد »

١ شاعر هجاء اشتهر بهجائه الفلاسفة التنفيذيين وكان من أهل الشك على مذهب بيرمون معلمه لا يحب الخاط بينه وبين تيمون النفور الذى عاش قبله بقرن

« كان يأمر الناس بخطبه الخطيرة الفخمة »

وفي الناحية الروائية من حياة نوما حبه لاحدى الالهات او عذارى الجبال تلك
الصلة التي سبق لنا الكلام عنها ، واحاديثه المرغومة مع الهة الشعر . وكان يعزو
الى هذه اكثر ما اوحى به اليه وسن الرومانيين شرعة تكريم احداها ودعاها
(تاسيتا) (الصامته أو الخرساء) وكان قصد بها ذكرى وتقديس الصمت الذى
سنه فيثاغوروس كحماية .

اما اوامره عن تمثيل الالهة فكانت شديدة الشبه بتعاليم فيثاغوروس
وكان الفيلسوف يعتقد ان الذات أو الروح الاولى لا تدرك ، ولا تحس ولا ترى ،
معصومة من الفساد كلها « أدراك »

حرم نوما على الرومانيين ان ينسبو الالهة شكل انسان او حيوان ولم يكن بينهم فيما
مضى صورة ولا تمثال الهى . وظلوا اربعة المائتين وسبعين سنة الاولى لا يضعون فى هياكلهم ولا
معابدتهم صورة ماثلة . معتقدين انه من الكفر تمثيل « الاكمل » فى « الاحقر »
وانه لا سبيل لمعرفة الله إلا بالفكر . وكذلك كانت تقدماته مطابقة للتقاليد
الفيثاغورية لا يستخدم فيها الذبائح بل الدقيق والفول وأشياء بسيطة أخرى

ويستشهد الذين يتمسكون بوجود صلة بين الرجلين بادلة محسوسة يقولون
ان الرومانيون منحوا فيثاغوروس حقوق المدينة يذكرون تأييداً لدعواهم
شهادة ايشارم وهو شاعر هزلى روى ذلك فى مؤلف اهداه الى انتنور وهو شاعر
قديم كان تلميذاً لذلك الفيلسوف (١) ودليلهم الثانى ان نوما دعا احد ابناؤه الاربعة
مامركوس اسم احداً بناء فيثاغوروس ونسبت من هذا الابن اسرة الاميليين
وهي من انبل واشرف عائلات الشيوخ اما اسم اميليوس فهو
اسم تحبب اعطاه الملك لابنه للدلالة على رقة طبعه ولطف حديثه

(١) خطأ تاريخى لان الشاعر أيشارم عاش سنة ٥٠٠ قبل الميلاد وكان معاصر لسقراط

(ميليوس كلمة يونانية تؤدي ذلك المعنى) وقد سمعت بنفسى غير مرة في روما أن الوحي أمر الرومانيين أن يقيموا في المدينة نصباً لاوفر رجال اليونان حكمة وآخر لاوفرهم شهامة. فقاموا في الفوروم نصبين من (النحاس) أحدهما لفيشاغوروس والآخر لاكسبياد

على أن هذا الرأي كثير الشك ومن البله والسخف ان نطيل فيه الحديث اثباتاً أو نفيّاً

ويعزى الى روما ايضاً انشاء وتعميم كاية الكهنة المدعون الاحبار (السادة) وتولى رياستها وكية يونتيف في عرف البعض مأخوذة من ان أولئك الكهنة كانوا يخدمون الالهة القادرة على كل شىء سيادة كل شىء لان كلمة صاحب القدرة أو السيادة فى اللغة اللاتينية (بونس)

ويزعم البعض ان هذه الكلمة تعين شرطاً «لو كان فى الامكان» وذلك لان الشرع لم يعين على الكهنة سوى التقديمات التى يستطيعون تقديمها ولا يجعلهم مسؤولين اذا عاقبهم عائق مشروع. ولكن أغلب الكتاب مجمعين على أصل أراء مضحكا. يزعمون أن كلمة يونتيف فى عرفهم معناها الجسور واطلقت على الكهنة نظرا للتقديمات التى كانوا يقدمونها فوق الجسور وهى أقدم واقدس من سواها

وفى الواقع ان كلمة جسر فى اللغة اللاتينية «بونس» يضيفون الى ذلك ان صيانة واصلاح الجسور لم تكن أقل وجوباً على الكهنة من التقديمات الغير معينة ولا الحفلات القومية عدا ان الرومانيين يعتقدون بحكم الدين انه من الرجس تحطيم جسر (كوبرى) من الخشب (١) ويزعمون أن هذا الجسر النشء بلا حديد متماسك وايا خشبية طبعا لما اراد الوحي ولم يبن الجسر المجرى الا فى عهد أميليوس. ويقال ايضاً أن الجسر الخشبي لم يكن موجودا فى عصر روما. وانه بنى فى عهد

حفيدة مارسيسوس، يقوم الكاهن الاكبر بوظيفة المنسج والعراف ليقوم بالتقدمات العامة فقط بل يراقب ايضا من يقدمون التقدّمات اخصوصية ويحرص على الايتعننى احدهم الاوامر الدينية وهو الذى يتولى تعليم الجميع مايجب عمله لتكريم الالهة او تسكين غضبهم .

ومن وظيفة الكاهن الاعظم مراقبة العذارى المقدسة (فستال) اذ يقال ان نوما هو الذى انشأ نظامها يعهد اليهن العناية بالنار المشتعلة على الدوام والحرس على الطموس والتقاليد ولعل نوما رأى أن مادة النار الطاهرة النقية لا يصح ان يعهد فى رعايتها الا لاجسام طاهرة بلا دنس واعلمه لاحظ الشبه الجامع بين الاله العقيم بطبيعته والبتولة والواقع انه فى ييشنو واثنينا (اليونان) حيث تشعل النار على الدوام لا تحرسها العذارى بل الارامل اللواتى تجاوزت سن زواج ثان واذا حدث ما اطفأ هذه النار كما انطفأ المشعل المقدس فى اثنينا ايام ظلم اريستيون وفى بيثو حين احرق الميديون الهيكل وفى روما ايام حرب بيرايداد والحروب الاهليه حيث التهمت النار الهيكل والمذبح . متى حدث هذا كان من المحرم اعادة اشعالها بنار عادية بل يجب احدث نار جديدة فيقتبس من الشمس لهب طاهر نقي . يعاملون لذلك اثناء مقعرا يقسم داخله الى زوايا متساوية حادة تتجه جميع اضلاعها الى مركز واحد تعرض هذه الاوانى للشمس فتعكس جميع الاشعة من جميع نقط محيطها وتتحد فى المركز المشترك يشف الهواء وينقسم فيحصل عن الانعكاس طبيعة وقوة النار وتشعل فى الحال المواد الجافة الخفيفة التى تعرض لها يزعم بعض المؤلفين ان وظيفة العذارى المقدسة منحصرة فى صيانة النار الدائمة فقط ويقول غيرهم ان هناك اشياء اخرى كان يباح لهن النظر اليها . وقد ذكرت فى سيرة كاميل كل ما يعرف ويقال عن هذه الاسرار . ويقال ان نوما بدأ بتعيين اثنين فقط وهما جيجانيا وفارانيا ثم زاد عليهما اثنين كانوا لينا وتوبيا ثم زاد عليهن سرفيوس اثنين والى هذا الحد بقيت حتى اليوم .

سن نوما للعذارى العفة مدة ثلاثين سنة العشرة الاولى لتلقى العلوم والعشرة الثانية لممارسة العمل والثالثة لتعليم الناشئات . ومتى انتهت هذه المدة كان لهن الخيار في ان يتزوجن او يتركن المعابد او اية عيشة تردن . ولكنهم يؤكدون ان قليلات منهن اللواتى اسنفن من هذه الحرية ومن فعلت منهن لم تجد مايسر بل قضت بقية حياتها بين التندم والحزن فكانت مثلا يدخل الخوف الدينى الى نفوس زميلاتهما فتؤثرن البتولة الدائمة على الزواج

وقد منحهن نوما امتيازات عظيمة مثال ذلك يرثن في حياة والدهن ويمتعن بحقوقه الزوجة التى لها ثلاثة اولاد فتدبر امرها كما تريد بلارقيب ومتى خرجت احدهن سارت المشاعل امامها واذا قابلن مجرما يساق الى القتل خلى سبيله بشرط أن تقسم العذارء انها قابلته على غير اختيار صدقة لاتدبير فيها . ولذا مر احد تحت الجمالة التى تقلبن كان ذلك ذنبا موجبا للموت . اما اذا اقتربت عذراء ذنبا عاقبها الكاهن الاعظم بالجلد يوقع عليهن القصاص فى مكان مظلم سحيق وهن عاريات لا يسترهن سوى ثوب رقيق اما التى تخون نزر بتولتها فتدفن حية بالقرب من باب القل . يوجد فى ذلك المكان داخل المدينة رجعة كبيرة يدعونه المدخل أنشأوا فيه حفرة ينزلون اليها من فتحة على ظهر الارض وادعوا الحفرة سربرا وسراجا مضبئا وقليل من المؤنة الضرورية للحياة . قليل من النبيذ والخبز والماء وجرة لبن وقليل من الزيت كنهم يخفون قصدهم من اماتة انسانة مقدسة جوعا . توضع المحكوم عليها على جمالة تعلق غلقا محكما يشد عليها بالحبال بحيث لا يسمع صوتها ثم يجتازون لها الساحة العمومية وحينئذ يصطف الناس فى حزن وصمت عميق . وشهد لا يوجد فى روما افطع منه ويوم لا يوم مثله ، ترى فيه المدينة غارقة فى الزكدر ومتى وصلت الجمالة الى مكان التنفيذ يحمل رجال انشاعل عنها الوثائق ويؤدى رئيس الكهنة صلاة سرية رافعا يده الى السماء ثم يجذب المقضى عليها من الجمالة وعليها غشاء

وتضع على السلم الذي ينزل منه الى الحفرة ثم يعود مع باقي الكهنة . ومتى نزلت الى قاع الحفرة رفعوا السلم ثم يغطون الحفرة بان يكسوا عليها التراب حتى يساوى الارض هذا جزاء العذارى اللواتى تخون عهد دنزر بتوليتهن

ويقال ان نوما هو الذى انشأ هيكل فيستا المستدير لتحفظ فيه النار المقدسة ولم يكن الشكل المختار شكلا يمثل الارض المعتبرة انها فستا بل الكون الذى تشعل النار في وسطه حسب عقيدة الفيثاغوريين ويدعونها (فستا والمونادا) لانهم لا يعتقدون ان الارض ثابتة ولا انها في مركز الدائرة بل يعتقدون انها تدور حول النار ولا يحسبونها من افضل ولا اول الاجزاء التى يتالف منها العالم ويقال ان افلاطون قبل شيخوخته اخذ بهذا المبدأ وهو ان الارض ليست مركز الكون بل تدع ذلك المقام الشريف الى عنصر اظهر . وقد سنت الاحبار طقوس الجنازات وقد علمهم نوما ان ليس فيها ما يدنس بل يجب تكريم الهة الجحيم الذين يتلقون خير عناصر ذواتنا وبينهم الآلهة ليبتين الموكلة برعاية حقوق الموتى كما أنهم يخاطبونها مع الاله بروزيريس او فينوس كما يفعل اشهر علماء الرومانيين ينسبون الى الهة واحدة ميلاد وموت الناس اما مدة الحداد فجعلها مناسبة لسن المبكى عليه ؛ لاحداد على من مات دون الثالثة من عمره ومن ثلاثة الى عشرة يحد عليه بنسبة شهر عن كل سنة عاشها لايزاد عليها ولا يتجاوز اطول حداد عشرة شهور وهذه مدة ترمل الزوجات اللواتى فقدن ازواجهن . أما التى تزوج قبل مضي هذه المدة فيجب عليها ان تضحى بعزرة سمينة حسب شريعة نوما

وقد أنشأ نوما ايضا عدة طوائف من الكهنة نذكر منها اثنتين للدلالة على تقوى الملك وهما طائفة السالين وطائفة الفاسينو . يؤدي هؤلاء مهمة المحافظة على انسلام وقد اخذوا اسمهم من مهمتهم اذ يقومون بتسوية كل خلاف بالطرق الودية ولا يسمحون بحمل السلاح الا متى يسوا من الصلح ومن عادة اليونانيين الا يدعوا صلحا الا ماتم الاتفاق عليه بالطرق العتلية . أما الصلح بالا كراه فلا

يذهب كهنة السلام الرومانيون بانفسهم مرارا الى الشعوب التي تسمى الى الجمهورية
ويبدلون الجهد للتغامم معهم واذا لم يفوزوا باصلاح الخطأ اوالترضية استهدوا الآلهة
ونادوا بانويل والشبور طالبين من الآلهة نصب على رؤسهم اذا لم تكن مطالب
بلادهم عادلة ثم يعانقون الحرب . اذا اعترض السلميون على الحرب أو ابوا الموافقة
عليها حرم على الجنود الرومانيين والملك حمل السلاح . كان يجب أن يسمحوا
للأمير بالقتال باعلانهم ان الحرب عادلة فياخذ الامير في تدبير وسائل تنفيذها..

يقال ان غارة الغالين على رو ما حدثت بسبب مخالفة هذه العادة المقدسة
وذلك أن البربر حاصروا كلوزيوم فارسى الرومانيون فاييوس اينوستوس اليهم
مندوبا لمفاوضتهم في رفع الحصار لم يرضه جوابهم فاعتقد أن مهمته قد انتهت
وأقدم بمحبة وعناد الشباب على حمل السلاح في جانب الكلوزيين فانارحية
أبسل شعوب البربر الى حرب شعواء طاحنة اذ قهر خصمه وقتله وجرده من
السلاح . وهناك عرفه الغاليون فارسى مناديا الى روما يشكون فاييوس لملحه
السلاح ضدهم بالرغم من اليقين ومن كل شريعة و بدون اعلان الحرب . فقرر
مجلس الشيوخ بعد أخذ رأى طائفة السلميين تسليم فاييوس للغالين ولكنه
جأ الى الشعب فايده ونجا من عقاب الموت فلم يحجم الغاليون عن المسير الى روما
فخربوا جميع ما فيها ما عدا الكابيتول وقد شرحت تفاصيل هذه الحادثة
في سيرة كامي .

أما طائفة السالين « الراقصين » فقد أنشأها نوما للناسبة الآتية.

حدث في السنة الثامنة لحكمه أن وباءاً انتشر في ايطاليا واجتاح
روما فامتلات قلوب الشعب حزناً ثم قيل أنه في يرم ما سقطت ورقة نحاسية
من السماء بين يدي نوما فاخذ الملك يروى عنها أحاديث غريبة زعم أنها
علمها عن الالهة أيمبرى وآلهة الشعر قائلات على زعمه أن هذه الورقة أرسلت
لنجاة المدينة وأنه يجب الاحتفاظ بها وضع احدى عشر أخرى تشبهها في

صورتها وحجمها وشكلها بحيث لا يميز أحد بين المصنوع والاصل منها ويجب أن يكرس محل سقوطها والمروج المحاطة به لالهة الشعر لأنها تتردد على هذه المروج ثم يجب جعل الينبوع الذي يرويها لاغتسال « العذارى » يأخذن منها الماء كل يوم لسقاية وتطهير الهيكل وقد جاء انقضاء الوباء مصداقاً لقوله أخذ نوما الورقة « الترس » وعرض على الصناع عمل مثلها فعجزوا جميعاً إلا فتور يوس ماورد يوس أمهر الصناع فقد أجاد صناعة الاحدى عشرة الاخرى اجماعة تامة بحيث أن نوما ذاته لم يعد يفرق بين الاولى وبينها . فرأى الملك أن ينشيء طائفة الراقصين للعناية بهذه التروس واختار لها هذا الاسم ؛ لانسبة الى ساليوس الساموتراس أو ماتينه مخترع الرقص المسلح بل نسبة الى ما يقوم به هذه الطائفة من ضروب الرقص ؛ من تلك الفقرات التي يحدثون عند طوافهم في شهر مارس اذ يسرون في موكب بهذه التروس المقدسة في شوارع روما لابسين أردية من الارجوان وعليهم زرد من النحاس وخوذات من النحاس يقرعونها بسيوفهم القصيرة . ينحصر رقصهم في حركات أقدامهم في خطى متوازنة مختلفة ودورات ولغات سريعة متقنة يأتونها في خفة ونشاط .

وبعد أن فرغ نوما من نظام الكهنوت أنشأ هيكلًا لنفسه في قصر يدعى بيت الملك كان يسكنه عادة يقدم فيه التقدّمات ويعلم الكهنة ويحادثهم في شؤون العبادة وكان له مسكن آخر في جبل كيرينال باق حتى اليوم . وكانت العادة في المواكب العمومية أو تضرعات الكهنة أن تتقدمهم المنادون في شوارع المدينة ينادون بالتزام الصمت والانتقاع عن العمل .

يشكر الفيثاغوريون على الناس أن يعبدوا الله أو يصلوا اليه وهم يجرون يجب في عرفهم أن تخرج الناس من بيوتهم على هذه النية مستعدين لها . لذلك رأى نوما أنه يجب على الوطنيين فيما يختص بعبادة الآلهة ان لا يعملوا شيئاً باهمال أو عن طريق العادة بل يجب عليهم ترك جميع شواغلهم وأن

يتصرفوا بعقولهم الى ذلك العمل وهو اشرف أعمال التقوى . عليه
يجب الامتناع عن الضوضاء والصياح والانبين الذي يلازم الصناعات
لانزال بقية من هذه العادة قائمة حتى اليوم . متى قصد الفأل او استشارة الوحي
او القيام بتقدمة يصيحون باعلى الصوت « اعملوا هذا » ويراد بذلك دعوة
الحضور الى استجماع قواهم النفسية والانتباه

ولا تقل شرائع نوما الاخرى شيئا عن تعاليم الفيشاغوريين يحرم هؤلاء
الجلوس على الاشجار وتحريك النار بخنجر والنظر الى الورا عند السفر ويأمر
بان يكون عدد التقديمات للالهة السماوية فرديا كذلك كانت تعاليم نوما تنطوي
على معان خفية مثل تحريم الغسول للالهة من خمر كرم لم يقلم او تقدمة بلا
دقيق ، وأمر بالقيام بدورة مستديرة اثناء العبادة والجلوس بعد الفراغ منها والظاهر
ان الغرض من الامرين الاولين الحث على زراعة الارض لجزء من الدين .
وكن الغرض من الدورة حول الالهة على ما يقال تقليد حركة دوران من كل عمل
و بعدنا عن كل شاغل

تمكنت هذه التربية الدينية من روما حتى جعلتها من الطاعة والاعتقاد بقدر
نوما اعتقادا غريبا بحيث لا يصعب عليه امر مهما يكن متى اراده ، ويقال في
ذلك انه دعا جماعة كبيرة لتناول العشاء وقدم لهم وعاء واحدا عليه طعام تقشف
مبتذل جدا . وبينما كان القوم يهيمون للجلوس حول المائدة قال لهم « هذه آلهتي
اتية لزيارتي » وفي الحال رأوا المنزل مليء بالاعوية الفاخرة ومدت على الموائد
اشهى والذ الاطعمة في اعظم ابهة .

اما ما يروى عن محادثته مع جو بتر فتوق كل خرافه
لم يكن جبل افانتين داخلا في زمام روما ولم يكن أهولا ويقال ان ينابيعه
الغزيرة واشجاره الكثيفة كانت الكون ، وبما أن الهيكل كان متجها الى الشرق
وظهر المنصلي للشمس فكان الغرض على ما أظن ان يواجه المنصلي الشمس ليكون

في حضرة الآلهة. وبهاتين الحركتين يتم دورة كاملة يفرغ اثنائها من صلاته . وهل لا يكون في هذه الدورات اشارة الى العجالات المصرية ؟ الاتقيد عدم ثبات شيء بشري وانه يجب علينا الخضوع لارادة الله حينما يدور ويؤثر في حياتنا ؟ اما الجلوس بعد الصلاة فهو من باب الغفال الحسن ، بان الصلاة قبلت ، وان الخيرات المرجوة ستكون دائمة ويقال في ذلك ايضا ! ان الراحة تفصل بين اعمالنا فاذا انتهى العمل الاول استراح العاملون امام الالهة ليبدءوا بعده عملا آخر . وكان غرض المشرع من ذلك على ما قدمنا الانصلي الى الله ونحن في شغل آخر كأننا نلهوا ونجري ، بل تكون الصلاة متى خبلونا من مزار الآلهتين هما بيكوس وفونوس . اللتين يمكن مقارنتهما « بساتير » « ريان » عدا ان تلك كانت تطوف ايطاليا تحدث فيها بفضل بعض الادوية والتعاويد السحرية ما ينسبه اليونانيون الى داكسيل . ويقال ان نوما اسر تلك الآلهتين بما اودعه من خمر وعسل في الينبوع الذي كانتا تستقي منه عادة واخذت الآلهتان تغير من زيتهما وتتراى في اشكال رهيبة ولكنهما رأتا ان قيودها لا ترخي فظهرتا لنوما وكشفته بامور مقبلة وعلتهما التفادى من الصواعق بواسطة البصل والشعور وشخص

ويقول البعض ان ليست الآلهتان هما اللتان علمتا هذا التفادى بل انزلتا بسحرهما جويتر . غيظ الاله وقال لنوما لا بد لعمل الفداء من رؤوس . . . قضاطه نوما بقوله « بصل » فاستمر جويتر قائلا ، اناس قاراد نوما اجتناب هذا الامر القاسى فقال بشعورهم ، فاجاب جويتر حية فانسرع نوما بقول شخص والتي اوصت اليه بهذه الحيل هي العذراء الجيبرى

عاد الاله جويتر راضيا واطلق على هذا المكان اسم ايلاسيوم وصارت اجوية نوما القاعدة في اتقاء الصواعق

تدلنا هذه الخرافات المضحكة على مبلغ ما وصل اليه رجال ذلك العصر من التأثير بالسلطة الدينية والى أى حد من الخضوع بلغ بهم نوما . اما هوف كانت

كل آماله مرتكزة على الحماية الالهية حتى انه قيل له يوما ان الاعداء دنوا منا
فقال باسمها اما انا فاني اقدم للالهة

كان نوما اول من بنى هيكلًا « للايمان » وللاله « حد » « ترم » وهو الذى
علم الرومانيين أن أعظم قسم هو بين الايمان وهو القسم الذى يقسمون به
حتى اليوم

اما الحد الترم فهو الاله الذى تقدم اليه التقدّمات العامة على حدود الحقول .
يقدمون اليه اليوم ضحايا حية . على انها كانت تجرى قديماً بدون اراقة دماء : لان
نوما أدرك على نور العقل أن اله الحدود حارس السلام وشاهد العدل يجب أن
يكون طاهراً من كل دماء ، وأظنه هو الذى وضع حدود اراضي روما . ولم يفعل
رومولوس ذلك لأنه لو كان عين ما يملكه لاظهر ما اغتصبه من الآخرين .
والحقيقة أن الحدود اذا حفظت كانت عائقاً فى سبيل القوة ، واذا اهملت كانت
شهادة على الظلم . وكانت حدود روما فى اول عهدا ضيقة جداً ولكنها اتسعت
بسلاح رومولوس . قسم نوما الاراضى الجديدة على فقراء الوطنيين ليقضى على
البؤس وهو سبب الفساد ولكن يحول الشعب الى الزراعة . والرومانيون بتفليحهم
الارض دشت اخلاقهم . لان لاشيء يحمل على الرغبة فى السلام اكثر من
الحياة الزراعية . تحفظ على الرجال شجاعتهم الحربية فى الدفاع عن املاكهم
بقوة السلاح ولكنها تنزع منهم شهوة الجشع اتى تفريهم باغتصاب املاك
الآخرين . قام نوما رغبة فى حمل الاهالى على حب الزراعة كخير وسيلة لحلمهم
على حب السلام والتهديب من اخلاقهم بأكثر مما تفنيهم ؛ بتقسيم الاراضى
اقساما دعى كل منها صنيعه وجعل على كل منها مراقبين ومحكمين .
وكان يزورها بنفسه يشهد أثر العمل فى اخلاق الاهالى ، يكرم الممتازين بنشاطهم
ويؤنب السكالى ويصلح اهلهم
وخير نظم نوما هو تقسيمه الشعب حسب الصناعات لان المدينة كانت مؤلفة من

امتين أو حزينين مختلفين لا يرغبان في ائتلاف ولا ازالة الفوارق التي تجعلها
كشعبين كل غريب عن الاخر لا ينتقى بينها نزاع ولا خصام . وكما أنه اذا
لريد خلط اجسام صلبة غير قابلة بطبيعتها للامتزاج لا بد من تحطيمها وجعلها
قطماً صغيرة فيسهل مزجها كذلك فعل نوما ازالة للاسباب الشجار وكسراً
لقشرة الخلاف قسم الشعب الى فرق صغيرة تحوت همتها الى مصالح اخرى ،
فرقة الموسيقيين وفرقة الصياغ وفرقة النجارين وفرقة الصباغين والديباغين والحدادين
وصناع الفخار الخ

وجعل لكل فرقة جميعاتها وأيام اجتماعاتها وحفلاتها الدينية كل حسب اهليته .
فاخذت الفوارق تتلاشى بين السابين والرومانيين مو اطي تاتيوس ورومولوس
بعد شدتها وبدأ التآلف وتم امتزاج الوطنيين في قلب واحد
ويعتدون لنوما أيضاً شرعته التي لطف بها القانون الذي كان يخول للاباء
مع اباؤهم فاستثنى الابناء الذين يتزوجون برضى والديهم لانه رأى من القسوة
ان امرأة تزوج رجلاً ترى نفسها زوجة عبد

ثم اشتغل بتنظيم النتيجة التاريخية واثن جاء إصلاحه غير واف الا انه
لا يبدل على جهل . لم يكن متبعاً في عهد رومولوس قاعدة نظامية فمن الاشهر
ما كان عشرون يوماً وما كان خمسة وثلاثون يوماً واكثر ولم يكن يخطر ببالهم
شيء عن الفرق بين دورتي القمر والشمس بل كانت غاية همهم أن السنة ثلثماية
وستون يوماً ولكن نوما ادرك ان الفرق بين الدورتين احد عشر يوماً لان
القمر يتم دورته في ثلثماية أربعة وخمسون يوماً والشمس في ثلثماية وستين
يوماً ضاعف الفرق وجعله شهراً قائماً بنفسه مرة اثنين وعشرون يوماً يدخله الى
النتيجة كل سنتين بعد شهر فبراير . ودعا الرومانيون هذا الشهر مارسيدونوس على
ان هذا العلاج كان سبباً لاحداث آخر أوفى واكمل

ونوما هو ايضا اول من غير ترتيب شهور السنة جعل مارس الذي كان اول

شهور السنة الشهر الثالث واستبدله بيناير وهو الحادى عشر فى عرف الرومانيين وكان شهر فبراير آخر السنة فصار الثانى ومهما يكن فمن المتفق عليه أن نوما هو الذى اضاف شهرى يناير وفبراير الى السنة الرومانية التى لم تكن سوى عشرة شهور فلا تزال سنوات بعض البربر ثلاث شهور. وكانت السنة عند اليونانيين والاركاىيين أربعة شهور. ويقال إن المصريين كانوا الاول عهدهم يعدون السنة شهراً واحداً ثم أربعة، ومن أجل هذا يترأى لنا لأولة وهلة ان هذا الشعب الذى يسكن مدينة جديدة بعيد المدى فى التاريخ، نرى فى تاريخهم عدداً كبيراً من السنين لأنهم كانوا يحسبون الشهر سنة والذى يدلنا على ان سنة الرومانيين كانت عشرة شهور فقط ان اسم الشهر الاخير دسمبر الذى لا يزال جازياً حتى اليوم (العاشر) اما ان شهر مارس كان اول شهور السنة فظاهر من الترتيب الحالى لان الشهر الخامس ابتداءً من مارس يدعى كانتيليس (الخامس) يتلوه السادس والسابع الخ. فاذا قلنا أن شهرى يناير وفبراير كانا قبل مارس كانت تلك التسمية خطأ. اذ يدعون خامساً ماهوفى الحقيقة سابقاً. ومع كل فان اشبه رأى بالحقيقة هو أن مارس الذى كرسه رومولوس لعبادة ذلك الاله يكون فى المقام الاول. ثم شهر ابريل المشتق منه اسم افروديت وهو الشهر الذى تقدم فيه الرومانيات التقدّمات الى هذه الآلهة وتغتسلان فيه وعلى رؤوسهن اكاليل من الارجوان وقد اختلفت الاقوال فى ذلك الا انه الشهر الذى يفتح فيه الربيع اكمام الزهور كما يتم على ذلك اسمه اللاتينى ابريليس يتلو هذين شهرى مايو ويونيه الاول نسبته الى الآلهة مايا وهو مكرس للاله مارقير والثانى من جونون. ويزعم البعض ان هذين الاسمين متفقان من كاتى الصبا والشيخوخة حسباً تدل عليه معانيهما فى اللغة الرومانية. اما بقية الاشهر فقد بقيت على ما هى عليه الخامس، السادس، السابع الثامن، التاسع، العاشر. ومن ثم حدث ان الخامس دعى يوليوس تكريماً لقيصر الذى قهر بوبيه والتالى اغسطس لقب الامبراطور الثانى وقد استبدل

دوشيان اسمى سبتمبر واكتوبر باتيين من القابه ولكن ذلك لم يدم طويلا بعد قتله . فاعيدت الى الشهرين اسمها الاولى . وبقى الشهران الاخيران على حالهما . اما الشهران اللذان اضافهما نوما او بدل مواضعهما وهما فبراير ومارس فاعيدتا التظهير حسب مدلول الكلمة اللاتينية وفيه تقدم الضحايا للموتى ويقام عند نوبركال وهو يشبه كثيرا عيد التطهير (١)

اما يناير اول شهور السنة فقد نحت اسمه من جانوس وظنى ان نوما ابى افتتاح السنة بشهر مارس وهواله الحرب لانه كان يؤثر الصفات المدنية على الحربية وجانوس هذا سواء كان الها او ملكا كان معروفا منذ القدم بانه صديق المدينة والسلام وانه عدل بالناس عن الحياة الهمجية ولذلك يعودونه بوجبهين وذلك لتمكنه باساليبه وسلوكه ان يوفق بين وجهي الحياة

يوجد فى روما هيكل باسم جانوس اله بابان يعرفان ببابى الحرب لان العادة تقضى بفتحهما ابان الحرب واغلاقهما ابان السلم . ولم يكن اندر من أن تراهما مغلقين . لان الامبراطورية لسمعتها لم تكن تنقطع عن الحرب للدفاع عن نفسها من غارات البربر الذين كانوا يحيطون بها .

اشاق هذا الهيكل بعد انتصار قيصر اغسطس على انطوان واغلاق قبل ذلك فى عهد قنصاية ماركوس اتيلوس وتيموس مانيلوس ثم اعيد فتحة لتجدد الحرب اما فى عهد نوما فلم يفتح يوما ما وبقي محكم الغلق مدة ثلاثة واربعين سنة اذ خدمت جدوة الحروب لافى روما فقط بل وفى كل مكان . ولم يكن الشعب الرومانى وحده الذى عمات به رقة وعدالة وشفقة الملك بل تأثرت بهذه الفضائل جميع المدن المجاورة كأن ريماطيبة حملت نسبات السلام من روما الى جميع الشعوب فأخذ كل فى اصلاح شأنه وتهذيب خلقه وطابت نفس الجميع للاستمتاع

بإرفعية في ظل الشرائع الحكيمة والسلام يعمل لزراعة ارضه وتربية بيته وتكريم الآلهة . فلم يكن الانسان يرى في جميع أنحاء ايطاليا سوى الاعياد والمراقص والولائم والتراور بلا خوف وبوالضيافة ، كأن حكمة نوما ينبوع غزير يفيض العدل والفضيلة على جميع العالم وكان الهدوء نشره من نفسه الوادعة فعم جميع القلوب لذلك يقال ان الشعراء رغم مبالغاتهم لم يفوا وصف سعادة ذلك الزمن « لقد نسجت العنكبوت السمراء خيوطها على الحلق والزرد واكل الصداد الزماح باسنتها الخادة والسيوف ذات الخدين ، ولم يسمع صوت النفير يزعج النوم الهادي من بين الجفون (١)

ولم تحدث في عهد نوما حرب ولا فتنة ولا رغبة في تغيير نظام الحكم . لم يجلب على نفسه بغض او حسداى انسان فلم يجسر أحد على المؤامرة ضده أو أحداث اى شعب وقد يكون ذلك خوفا من الآلهة التي منحت نوما رضاها بأكثر من دليل . أو احتراماً لفضائله أو هو الحظ الموفق الذى عصم الناس مدة حكمه من اللدس والفساد فكان حكمه مثلاً ساطعاً وبرهاناً قاطعاً على صدق تلك الحقيقة السياسية التي اجتراً افلاطون بعده بقرون على اعلانها وهي انه ليس خير للناس ولا انجح لشفاء امراضهم وآلامهم من أن تجمع الآلهة في يد رجل بين السلطة والفلسفة فتعيد الى الفضائل قوتها وتنصرها على الرذيلة وما أسعد حظ الرجل الفاضل لو ما سعد حظ من يسمع ويهي الكلمات التي تخرج من فم الحكيم ! بها لا يكون الشعب في حالة اكراه أو تهديد . ان الشعب الذى يرى في رئيسه اجمل ما يقتدى به في الفضيلة يحول وجهه راضياً نحو الحكمة تجتمع المحبة والوفاق فيمارس العدل والقناعة ليعيش تلك العيشة النقية السعيدة التي هي اكمل غاية ترمى اليها جهودنا فأولى الناس بالحكم هو الذى يعرف كيف يفرس في نفوس شعبه هذه العواطف

١ قطعة من قصائد باخيلين الموجودة في مجموعة سنوية وهي غير كاملة. لانه لان لوكارخيوس استملاها ذاكرته بدل ان ينقلها غيره مع الامانة في النقل

ويحملهم على سلوك هذه الجادة . هذا ما افلح فيه نوما اكثر من أى ملك .
وقد اختلفت اقوال المؤرخين في عدد زوجات وابناء نوما فمن قائل انه لم
يتزوج غير «ثايا» التي رزق منها ابنته الوحيدة بوبليا ومن قائل انه تزوج من سواها
ورزق اربعة ابناء كانوا رؤساء لا كبر العائلات الكريمة في روما وهم : بونبونوس ،
بينوس ، كلبوس ، مامير كوس ولكنهم يتهمون القابليين انهم ارادوا الزنى
لدى لهذه العائلات بنسبتها الى نوما . كما يقولون ان بوبليا ليست ابنته من
ثايا بل من امرأة اخرى تدعى لوكريس تزوجها عند اعتلائه العرش . ومن قائل غير
ذلك ولكنهم مجمعون على ان بوبليا تزوجت من مارسيوس وهو ابن مارسوس
الذى اقنع نوما بقبول الملك وجاء معه ونال درجة السناتور (عضواً في مجلس
الشيوخ) وهو الذى نازع بعد موت نوما ، تالوس هو ستليوس ، الملك فقهر وانتحر
اما ابنه فاقام في روما ورزق ابنا دعاه انكوس مارسيوس الذى تولى الملك بعد
تالوس هو ستليوس ولم يكن عمره عند وفاة نوما أكثر من خمس سنوات . لم تحدث
وفاة نوما فجأة بل اصيب بداء الهزال واطفأت الشيوخة . مصباح حياته شيئاً
فشيئاً وكان قد ليف على الثمانين

وقد زادت التكريمات التي حفت بها جنازته جلال حياته اذ اجتمعت الشعوب
الموالية في روما يحملون الهدايا والاكليل وحمل الشيوخ النعش على اكتافهم
وسارت الكهنة في جنازته ومعهم النساء والاطفال فصارت كأنها ليست جنازة
ملك مات كبير السن . بل جنازة صديق عزيز اقتطفته يد المنون في ربيع حياته .
يندرف الجميع الدمع ويرسلون نفثات الالم والانين . لم تحرق جثته لانه خرم ذلك
على ما يقال بل صنعوا له نعشين من الحجارة دفنا تحت الجانو كول وضعوا في
أحدهما الجثة وفي الآخر الكتب المقدسة التي خطها بيده كما كان يفعل المشرعون
اليونانيون إذ يكتبون شرائعهم وكان في حياته قد علم الكهنة ما انطوت هذه
الكتب وشرحها لهم وامرهم أن يدفنها معه لأنه لم ير من اللائق ان تصون

هذه الاحرف الميئة تلك الأسرار . يقال من أجل هذا السبب يأبى الفيثاغوريون كتابة مبادئهم بل يكتبون بثلاثينها لمن يجدون فيه جدارة واستحقاقا .
وقد حدث أنهم القوا مرة الى رجل غير خليق بالعلم نظريات وشروحات هندسية لم تكن معرفة فغضبت الالهة وهددتهم بعقاب صارم تنزله على الشعب لما اجترؤه عليه من تدنيس وكفر

فلا يجب علينا بعد هذا التشابه ان نشدد التكبير على القائلين أن نوما وفيثاغوروس كانا معاصرين . يزعم اقتياس أنهم أودعوا النعش الثاني اثني عشر كتاباً لاتينيا في الدين واثني عشر كتاباً يونانياً في الفلسفة ويقال أيضاً انه حدث بعد أر بعماية سنة أن هطلت الامطاد مدراراً ، وكان ذلك في عهد قنصلية بوبليوس كورنوليوس وماريوس فكتشف المطر عن النعشين فوجد الاول فارغاً لا اثر فيه للجنة أما الـ كتب فبقيت محفوظة في الثاني وقد تناولها باتليوس وكان اذ ذاك يطالعها ثم اقسام امام الشيوخ انه ليس من الدين ولا من العدل نشرها بين الشعب فأحرقت

من مميزات رجال العدل والفضيلة ان يزداد مجدهم بعد موتهم اذ لا يدوم الحسد بعدهم طويلاً وقد يموت قبلهم ولكن النكبات التي توالت على خلفاء نوما زادت مجده بهاء وجلالا . اتقته خمسة ملوك انزل ختمهم عن عرشه وقضى شيخوخته في النفي . ومات من الأربعة الأخر ثلاثة غدرأ أما تولوس هو ستيليوس الذي تولى الحكم بعد نوما مباشرة فكان دأبه السخرية من سلفه ومن تقواه الدينية متهمة بتعويد الرجال النذالة وتختمهم فحول انظار الرومانيين الى الحرب ولكن هذا الخون لم يطل وانقلب الى تقيضه لما أصابه من مرض عضال فهوى حتى الاخذ بخرافات وترهات لا تتفق في شيء مع تقوى نوما فنكره الشعب ولما انقضت الصاعقة على الملك فمات محروفاً ازدادت في نفوس الناس المخاوف

الموازنة

بين ليكوج ونوما

أما وقد فرغنا من سرد سيرتي ليكوجوس ونوما فلنتقارن بين الرجلين بلا تردد ولنظهر ما بينهما من خلاف .

في أعمالها ما يكفي للدلالة على الفضائل المشتركة بينهما الحكمة مثلاً والرحمة وعلم صناعة الحكم والكفاية ، في تقدم الشعوب وما افتكره كل منهما في اسناد عمله إلى الآلهة ذاتها ، أما إذا نظرنا إليهما من حيث أعمالهم الشخصية العظيمة ظهر الفرق بينهما . نوما يقبل الحكم وليكوجوس يتنازل عنه راضياً أحدهما يناله بلا طلب والآخر يردده وهو بين يديه . أحدهما اختاره شعب غريب ليكون ملكاً عليه والآخر ملك يرد نفسه إلى مقام العامة . جميل جداً ولا شك أن يحصل الإنسان على الملكية جزاء فضله واجل من هذا أن يؤثر الإنسان الفضل على الملك . إذاً الفضل صيت نوما حتى جعله أهلاً للملك ولكنه جعل ليكوجوس عظيماً يحترم الملك

واليك فارق آخر بين الرجلين لقد غنى كل منهما ، لو جاز لنا هذا التعبير ، صوتاً يخالف الآخر ، أحدهما في سبارطة شد أوتار الحكومة التي أرخاها الترف والخلاعة ، فالما الآخر فقد أرخى ماتوتر وتصلب في روما . وكانت الصعاب القائمة في وجه ليكوجوس من أشد ما يلقى الإنسان لم يرد مواظبه على التجرد من دروعهم وسيوفهم بل أرادهم على التجرد من ذهبهم وفضتهم . واجتناب أسرتهم الوثيرة وماذهبهم الفاخرة . لم يجعل لهم من الاعياد والتقدمات عوضاً عن الحرب بل حملهم على ترك الملاذ واتعبهم بحمل السلاح والرياضة البدنية . أفلاح

أحدهما في تحقيق غايته بفضل الاحترام والعقل ، أما الآخر فقد اقتحم المخاطر وجرح غير مرة ولم يفلح إلا بعد جهاد طويل . أما الصوت الذي غناه نوما فكان منطوياً على الرنة والدعة وقلح في تهذيب اخلاق الرومانيين ولف من مزاجهم الثائر وحبب اليهم العدل والسلام . واذ لم تكن لنا مندوحة عن نسبة قتون الرقيق « الهيلوزين » الى ليكوجوس وهو عمل غاية في القسوة والظلم . فلا بد لنا من الاعتراف بأن نوما كان في تشريعه أنسى وأرقى ، فقد سن للعبيد والذين ولدوا في العبودية أن يذوقوا معاني الحرية . شرع لهم الجلوس أيام (ساتورنال) الحصار الى موائد سادتهم يقاسمونهم ملاذها . واليه يرجع ذلك القول المأثور . يجب أن يكون للزارع نصيبه من محصول ذراعتة ويرى البعض في هذه الشرعة رمزاً يراد به الاشارة لتلك المساوات التي كانت قائمة في أيام ساتورن حيث لم يكن سيد ولا مسود وكان جميع الناس ينظرون إلى بعض نظر المساواة والاخاء .

وجملة القول ان المشرعين قصدوا الى حمل شعبيهما على القناعة والكفاف . اثر ليكوجوس فضيلة الشجاعة ونوما فضيلة العدل . ولعل اختلاف الشعبين اوجب اختلاف الطرق . لم يحمل نوما الرومانيين على اجتناب الحرب جيناً بل أراد منعهم الاضرار بالغير ولم يقصد ليكوجوس ان يخلق من السبارطين رجال اعتداء وبغى اذ جعلهم رجال حرب بل قصد إلى حمايتهم من غارات المغيرين . اضطر كل منهما لاحداث تغييرات عظيمة احدها للقضاء على المزيد والآخر لسد النقص . اما سبيلهما في تقسيم الشعب وتوزيع الاراضي والصناعات فقد ذهب نوما مذهباً ديوقراطياً حقيقياً يرضى الشعب فجعل من الصياغ والموسيقيين وصناع الاحذية شعباً خليطاً جامعاً بين الوانه ، وذهب ليكوجوس مذهباً ارستوقراطياً جعل الصناعات الآلية بين ايدي العبيد والاجانب وخص الوطنيين بالدرع والرمح . فكانوا رجال حرب ونصار (مارس) (اله الحرب)

لا يعرفون ولا يتعلمون سوى الطاعة لرؤسائهم والانتصار على الأعداء . حرم
 ليكوريوس على الأحرار الاشتغال بكل عمل تكون غايته الربح حتى إذا ما تحرروا
 عاشوا أحراراً أبداً وخص العبيد والهيلوزين بالعمل لكسب الربح واعداد
 الولايم . أما نوما فلم يعمد إلى شيء من هذه التفرقة ، اكتفاء بملاشاة حشع
 الجندي لم يحرم على أي الاشتغال بما يشاء قصد الأثراء ولم يعبأ بتذليل مشكلة
 التفاوت بين الناس وعدم مساواتهم . ترك الوطني حراً يجمع من المال ما استطاع
 غير مبال بما يحدث عن ذلك من الفقر والحاجة . اللذين كانا منتشرين في المدينة
 كان عليه أن يقاوم . من أول الأمر البخل حين كان التفاوت غير منحوظ ،
 وكانت الثروات تتراوح بين الناس وفي الأمكان تسويتها لو فعل ذلك لانتفى
 ما اتقاه ليكوريوس من مضار هذه الشهوة التي اشتد خطرها في روما وكانت
 جرثومة الشقاء الذي حدث فيما بعد .

أما تقسيم الأرض فلا لوم على ليكوريوس لأجرائه ولا لوم على نوما لعدم
 اجرائه . جعل أحدهما هذا التقسيم قاعدة وأساساً للجمهوريته . ووجد الآخر
 الأراضي حديثة العهد بالتقسيم فلا داعٍ لإعادته وتعديل السابق منه إذا كان
 لا يزال جارياً في البلاد . ذهب كل منهما إلى اشتراكية النساء والأولاد
 فنفياً بذلك المسلك الحكيم الغيرة من قلوب الأزواج ولكن ذهب كل منهما
 في ذلك مذهباً خاصاً . كان للروماني الذي تكثر أبناءه أن ينزل عن زوجته
 لمن يشتهي أن يكون له أبناء مع الاحتفاظ بحرية تركها كل الترك أو استردادها
 أما في سبارطة فكان الزوج يبقى على زوجته في منزله ويبقى الزوج على
 منتضاه ، ثم يقرض أخراً زوجته ويمنحه حق الأبوة ويحدث غالباً كما قدمنا
 أن الزوج يدعو إلى بيته رجلاً يأمل أن ينتج أبناء على كل شيء من الجمال
 واللطف فيدخله على زوجته . فما هو الفرق بين العادتين ؟ يؤخذ من عادة
 السبارطين أن لا أثر في قلب الزوج لذلك الداء الذي يزعج أكثر الرجال

ولسخطهم على زوجاتهم ويملاء حياتهم غير قوحرنا اما عادة الرومانيين فانها
تسعر بانجيل والحياة فالاختفاء تحت ستار التعاقد اقرار بانهم لا يهتمون هذه
المشاركة بلا ألم

جعل نوما البنات تحت رقابة قاسية وحتم عليهن عيشة معتدلة لا ثقة
بجنسهن . اما ايكورجوس فقد اطلق لهن حرية لا ضرر معها كنهن صبيانا ،
وكان غرضه السخرية بالشعراء الذين اطلقوا على بنات سبارطة « عاريات
السيقان » ومن ذلك قول اوربيد في ايبكيوس واندرومان

تفادر منازلهن جريا وراء الفتيان

فخازهن عارية و . . . في الهواء (تدوب شوقا للرجال) حقيقة ان شقات
ثوب الفتاة لم تكن مخيطة من اسفل فتنتفتح بحيث انهن لا تخطو خطوة دون
ان يظهر ساقها كما يؤخذ من قول سوفوكل في الابيات الآتية
والتي تبدأ تحس الشهوة وثوبا مفتوح من الجانبين

ينسدل على الساق التي تدعه بارزا ، تلك هوميون تظهر افخاذها للمارين «
ويقال ايضا انهن كانت على جانب كبير من الجرأة لاسيما على ازواجهن
لهن السيادة التامة في منازلهن ، وفي المجالس تعطى لرائيها بحرية في اهم المهضلات
تمسكن نوما من أن يحفظ للرومانيات ما كن يتمتن به في زمن رومولوس
حين كان الازواج يمتلون كل حيلة اينسوهن حادثة الاختطاف فحاطهن بسياج
من الخياء منعهن كل سبيل للتطلع وعليهن الاحتشام والصمت ، وحزم عليهن
الخر بلا استثناء ولم يجز لهن الكلام حتى في اشد الاحوال لوما الا بحضور
ازواجهن . ويقال انه حدث مرة أن امرأة دافقت بنفسها عن قضية لها في المحكمة
فارسل مجلس الشيوخ يستخبر ابولون فيما يتوقع للمدينة من هذا الحادث . ومن
الادلة على لطفهن ودماثة اخلاقهن عناية الرومانيين بتدوين اسماء الناشرات كما
يدونون اسماء المثيرين للفتن والحروب الاهلية والسفاكين الذين يقتلون والدا أو أخا

فيؤخذ مما دونوه ان اول من طلق امرأته هوسبور يوس كارفيايوس وكانت هذه الحادثة فريضة في بلها لم يقع لها شبيه مدة مائتين وثلاثين سنة منذ تاسيس روما. ومنذ شجر الخلاف بين تاليا زوجة بناريوس وحماتها جيغانيا . ولم يكن الرومانيون لينعموا بهذه السعادة العائلية لولا عناية المشرع واحكام نظام الاسرة وقوانين الزواج

اما السن التي يباح فيه للفتاة الزواج فهو واحد عندها . ومن حيث التربية يابى ليكورجوس ان يسلم الفتاة للزوج قبل ان تدرك سن البلوغ وتشعر الشهوة . أراد بذلك ان يكون زواجها الملائم لسنة الطبيعة من دواعى السعادة والحب لا دواعى البغض والخوف كما يحدث في حالة الاكراه والاعتداء على سنن الطبيعة فيتريث في ذلك حتى تبلغ الاجسام أشدها ، فتقوى على احتمال الحمل وآلام الوضع لان الغرض الوحيد من الزواج في عرفه هو اقامة النسل ، وكان أكثر الرومانيين يزوجون الفتاة في الثانية عشر وما دون ذلك واهميين ان المرأة في هذه السن تكون أطهر جسما وأعف نفساً وأسهل قيادا لزوجها . ومن هذا ترى ان شريعة ليكورجوس أوفى الى نوايس الطبيعة يقصد بها إقامة النسل . اما شريعة نوما فأوفى الى سنن الآداب يقصد بها الحرص على التوفيق بين الزوجين

اما نظام تربية الاطفال واشتراكهم في تنقي العلوم على معلمين معينين ورياضاتهم والعبابهم وما آدابهم وفي كل ما يعين على تكوينهم وتهذيبهم فقد ارتكب نوما في ذلك كله اخطاء المشرعين العاديين وتفوق ليكورجوس عليه في ذلك ظاهر جد الظهور .

ترك نوما للوالدين حرية تربية أبنائهم على ما تشاء أهواؤهم ووفق حاجاتهم فيجعلونهم مزارعين ونجارين وحدادين ومطربين كأنه لا يجب توجيه الاولاد منذ نعومة أظفارهم الى غاية واحدة وأفراغهم من الاخلاق في قالب واحد : أو كنههم مسافرون (سفر) في مركب لا يفكر الواحد منهم الا في حاجاته واغراضه

الشخصية ، لا يشتركون في مصلحة عامة الا أمام الخطر حين يخاف كل على نفسه وفيما عدا ذلك لاتبه سوى مصلحته الشخصية .

قد يغتفر للعامة من المشرعين خطأه عن جهل أو ضعف ولكن ، ألم يكن الا جدر برجل رفعت الحكمة الى تولى شؤون شعب حديث النشأة لا تقوم في وجهه معارضة ، ان يعمل الفكر في تنظيم تربية الاطفال ورياضة الشباب حتى يحموهم بنديها الفوارق الخلقية ويهذب مبادئها ويوفق بين ميول رجال صبوا منذ حداثتهم في قالب واحد من الفضيلة وصاروا على شاكاة واحدة ؟ تلك التربية المشتركة عدا ما فيها من الفوائد هي التي حفظت شرائع ليكورجوس .

لم يكن ايمان السبارطين سوى وثائق واهية اذا لم تكن هذه التربية وهذا النظام قد طبعها شرائعه في أخلاقهم .

اذا لم يرضعوا مع اللبن حسب هذا النظام . لما بقيت شريعة ليكورجوس مع كل ما تضمنته من الشؤون الهامة أكثر من خمسمائة سنة كالصبغة القوية اللون التي تخمل جميع أجزاء القماش . أو العكس بالعكس فقد اختلفت شريعة روما باختفاء صاحبها . اختبر ذلك السلام وذلك الوثام اللذين أقامهما في روما ألم يكذب يوارى التراب حتى فتحت أبواب الهيكل التي أغلقها واعتقل بها شياطين الحرب وسالت جوانبا ايطاليا بالدماء والمذابح . لم تستطع هذه الحكومة بالرغم من جمالها وعدلها البقاء طويلا لانها لم توثق برباط تربية الناشئة .

ولرب معترض يقول كيف ألم تزد الحروب مجسد روما ؟ سؤال يحتاج الى جواب طويل لو اردت اقناع أولئك الذين يرون مجد الامة في الثروة والترف والسيادة . لا في الطمأنينة والدعة والاعتدال والعدل . ولكن الذي يؤيد صلاحية مذهب ليكورجوس ان الرومانيين لم يبلغوا ما وصلوا اليه من سؤدد الا بابتعادهم عن شرائع روما . في حين ان السبارطين ما كادوا يتراخون في الحرص على شرائع صاحبهم حتى دالت دولتهم وانحط شأنهم وبعد ان خسروا مملكة اليونان تعرضوا

للخراب التام .

على انه لا بد لنا من القول اعترافا بهجد نوما انه لمن أعجب وأسمى الأمور
ان يدعى أجنبي الى حكومة شعب فيتمكّن من تبديل نظام بغير شيء سوى
الاقناع دون ان يلجأ الى سلاح أو اكراد كما فعل ليكورجوس في استخدام
الاشراف ضد الشعب ؛ وتمكّن من حكم مدينة تمزقها الفتن المتضاربة . وجعل
الحكمة والعدل سبيلة لتوحيد كلمة الشعب والتأليف بين عناصره بشد !
أواصر الصداقة ما

صولون

من آخر سنى القرن السابع ق . م . الى وسط القرن السادس

جاء ويديم النحوى (١) فيما كتبه عن قوانين صولون ، رداً على اسكليبياد (٢) بعبارة لرجل يدعى فيلوكلس (٣) خالف فيها جميع من كتبوا عن صولون ، زاعماً أن والده يدعى ايفوريون . والحقيقة المجتمع عليها هي انه ابن اجزستيد ، رجل متوسط الحال والثروة فى المدينة ولكنه من اعرق بيوتات اثينا واجزستيد من سلالة كوردوس . اما والدته فهى على ما قال هيراقليد اليونتى (٤) ابنة عم والدة بيزستراتس . وكان الود متصلاً بين هذا وصولون لالما بينهما من قربى بل لما كان عليه بيزستراتس من خلق طيب وجمال ، حبا فيه صولون . وكان هذا الود سبباً لعدم انقلاب الخلف السياسى الذى شجر بينهما الى بغض ، ولقد بقيت فى نفوسهما حقوق الرابطة القديمة كما ببقى بعد النار شرى اتلق .

لم يقو صولون على مقاومة الجمال . كان جباراً ولكنه ضعيف الحيلة أمام الحب وشعره ناطق بضعفه وكذلك شرائعه التى حرم فيها على العبيد أن يداكوا اجسادهم دون أن يغتسلوا ويتحجبوا للشبان . رفع بذلك هذه الرابطة الى مقام العواطف الشريفة المدوحة وحرمها على من لا يستحقونها وكان دعا اليها اللاتنين

(١) نقاد من مدرسة اريستارك ، ولد فى الاسكندرية وعاش فى عهد الامبراطور اغسطوس
(٢) نحوى من مدرسة ابولونيوس من برفى ياتينيا وابنة قنة شهرته فى عهد بوليوس قيصر
(٣) لاندرى عن ابن فيلوكلس بتكلم فلو طارخوس . وجد شاعران جديان وشاعر مجونى بهذا الاسم . وعاش الثلاثة فى عصر بريكس . وكان فيلوكلس فيلو بابتيس ابن اخ اشيل .

(٤) فيلسوف يونانى فى القرن الرابع ق . م . ولد فى هيراكله فى اليونان وتلميذ لافلاطون وسيزيب وارسطو . له مؤلف عن هوتيروس ويظهر انه غير ثابت له . وقطع من مؤلف عن انظمة الدول .

بها . ويقال أيضاً إن بيزسترات كان عشيق خالمر موسى وانه دشن تمثال الحطب
المقام في الاكاديمية بالقرب من المكان الذي يوجد فيه المشعل المقدس في
السياق العمومي

قال هرميبوس إن صولون ورث ثروة ذهب احسان والده وكومه بكثير
منها . ولم يكن بلا اصدقاء على استعداد تام أن يقدموا اليه المال ولكنه كان من
اسرة اعتادت أن تعطي لأن تأخذ ، لذلك كان يخجل ان يتقبل شيئاً . وإذا كان
شاباً أقدم على التجارة . ويقول البعض إن صولون لم ينتقل بين انحاء العالم
للكسب والاثراء بل لمعرفة والعلم . والواقع أنه كان يحترف صناعة الموازين بالعلوم
وكان يكرر عند شيخوخته « أنى از داد كل يوم عالماً كلما تقدمت في السن » .
لم يكن ممن تبههم الثروات فمن قوله إنه لافرق عنده بين ... صاحب الفضة
والذهب والحقول وافرة الحصاد والخيول والبغال و بين رجل لا يملك سوى معدة
سايمة وعضلات قوية وأقدام خفيفة . يضاف اليها أبناء وزوجة

بين الشباب وفي ربيع الحياة هذا هو الحظ الموفق وقال في مكان آخر

نعم انى أريد الثروة ولكنى لأريدها من الظلم

لأبأس على الرجل الطيب والوطني الصادق أن يحتفظ بمقام وسط . لا يتعلق

بالكاليات ولا يحتمر الضرورى وما يسد الحاجة

لم يكن في ذلك الوقت كما قال هزيرود (١) مامن عمل يخجل ولا

تفرق الصناعات

بين اقدار الرجال وكانت التجارة محترمة تفيض على الأجانب خيراتها وتكسبهم
صداقة الملوك وتعود عليهم بالخبرة الواسعة . وقد عرفنا كثير من التجار أنشؤا
مدنا كبيرة . فقد أنشأ بروتوس مارسليا بعد ان استوثق من صداقة الغاليين
الذين يسكنون شواطئ الرون . ويقال إن تالس وهيموقراط الرياضي (٢) اشتغلا

بالتجارة . وكان افلاطون يبيع الزيت في مصر ليسد نفقات رحلته . ونعتقد ان اسراف صولون وحياته الناعمة الشهوانية واستهتاره في شعره وإباحته في كلامه عن الشهوات بطريقة لاتليق بحكيم لم تكن سوى نتائج اشتغاله بالتجارة . فهي مهنة تعرض صاحبها لاطوار جسيمة ولكنها تعوض عليه بما تعطيه من الملاذ والملاهي واليك عبارة من كلامه وضع فيها نفسه في جانب الفقراء لا الاغنياء

ما أكثر الاشمرار الاغنياء والصالحين الفقراء .

أما أنا فلا أقبل ان أبادل أولئك فضيلاتي بثروتهم . ان الفضيلة تلازمنا ابدا .

أما الثروة فلا تنقطع عن التنقل من يد لآخرى .

بدأ صالون صناعة الشعر قصد التلمس والتسليية في أوقات فارغة لذلك لم يعن بالموضوعات الجديدة من ثم أخذ ينظم المبادئ الفلسفية وأدخل في شعره أكثر من لمحة من ارادته السياسية لا للتاريخ ولا للذكرى بل ليعتذر بها عن سلوكه . ولكي يبحث الاثينيين ينصح لهم وينتقد اعمالهم . وقيل أيضا إنه نظم شرائعه شعرا بدأها بما يأتي

أبدأ بالتوسل الى الملك جوبتير بن ساتورن

ان يمنح هذه الشرائع التوفيق والمجد

جرى على عادة حكماء ذلك العصر بالعناية بذلك الجانب من الفلسفة الادبية الخالص بالسياسة . أما الفلسفة الطبيعية فلم يعد فيها المبادئ الاولية لا أكثر ، واليك ما يؤيد ذلك :

« يأتي الثلج والبرد من القمر

والصاعقة من البرق المتطاير شرراً

والرياح تثير عجاج البحر الذي لا تهيجه زلزلة

وهو أهدأ العناصر »

وانواقع انه لم يكن في ذلك العصر من يشتغل بالعلوم الطبيعية سوى تالس

فتفوق على جميع معاصريه أما الآخرون فلم يكتبوا شهرتهم إلا من وراء علومهم السياسية

ويقال إن الحكماء السبعة اجتمعوا مرة في دلف وأخرى في كورنتوس حيث دعاهم باريان وادب لهم وليمة . ولم تندع شهرتهم ومجدهم أكثر من إرسال كل منهم المتعد الذهبى الثلاثى القوائم إلى زميله بالتعاقب . وحكاية ذلك إن جماعة من قوس طرحوا شبكتهم في البحر فاشترى جماعة غرباء من أهالى ميلا ما فيها قبل أن يرى الصيادون ما احتوت عليه . وإذا بالشبكة متعددة ثلاثى القوائم من الذهب يقال إن هيلانة ألقته في البحر تنفيذاً لأمر الوحي عند عودتها من تروادة شجر بسببه نزاع بين الصيادين والأجانب ثم امتد إلى أهالى المدينتين فجرد كل سلاحه في وجه الآخر حتى كادت الحرب تقع بين الفريقين . ولكن الكاهنة التى اتفق الفريقان على استشارتها قالت باعطاء ذلك المتعد إلى أوفر الحكماء حكمة فأرسلوه أولاً إلى ميلا برسم تالس . فقبل أهالى قوس اعطاء ما كادوا ينازعون الميلازيين جميعاً عليه بالسلاح إلى رجل واحد معين . وإذ كان تالس قال إن بياس أوفر منه حكمة وأرسله إليه . ورأى لياس مارآه زميله فأرسله إلى آخر وهكذا السبعة . وبعد أن تداول الجميع ذلك المتعد عاد ثانية إلى تالس . ثم نقل من ميلا إلى ظيبة وكرس لابلون الاسمانى . ولكن تيوفراشت يزعم أنه أرسل أولاً إلى بياس وبعد أن طاف جميع الحكماء عاد إليه . ثم نقل إلى دلف . هذه هى الرواية المشهورة ولكن البعض يزعم أنه لم يكن متعداً بل كان إناء أرسله كراسوس ويزعم غيرهم أنه كان من بيراث باتكلس .

تعرف صولون بكل من اناخرسيس وتالس وله معهما أحاديث تروى عنهم جاء اناخرسيس إلى أتيننا وذهب إلى بيت صولون وقرع بابه قائلاً إنه أجنبي يخطب صداقته وضيافته فأجابه صولون أولى بك إن يكون لك أصدقاء في وطنك

لا في الخارج « قتال أناخرسيس » بما أنى في بيتك أجمعنى صديقك وضيفك »
 أعجب صولون بسرعة خاطره فأكرم وفادته واستضافه زمنا وكان حينذاك مستغلا
 بالاعمال العمومية بعد شرائعه وأطلع ضيفه على ما يعمل فسخر من المشروع ومما
 يحسبه صولون من كفاية التوانين المكتوبة لردع مواطنيه عن الظلم والفساد
 لا اعتقاده ان أمثال هذه الشرائع أشبه شئ بنسيج العنكبوت تأخذ الضعفاء
 الصغار فيقفون عند حدها أما الأقوياء والاعنياء فانهم يمزقونها ويتجاوزونها فقال
 صولون « ان الناس يحرسون على ما يتفقون عليه اذا لم تكن هناك مصلحة لاحد
 فى الاخلال به . وستكون شرائعى ملائمة لمصالح جميع المواطنين بحيث لا يجد أحد
 لنفسه خيرا فى الاخلال بها أكثر من الطاعة لسننها » . ولكن الحوادث أثبتت
 صحة نظر أناخرسيس وباء صولون بالخيبة . وقال أناخرسيس بعد حضوره جلسة
 عمومية « يدهشنى من الاثينيين ان الحكماء ينصحون والمجانين يقررون »

وذهب صولون الى ميلان لزيارة تالس وأبدى له دهشة من امتناعه عن الزواج وحرمان
 نفسه من الاولاد . لم يجبه تالس لغوره ولكنه بعد ايام قدم اليه أجنبيا قاله إنه آت
 من أثينا وإنه لم يبرحها الا منذ عشرة أيام . سأله صولون اذا كان لم ير شيئا جديداً
 فى أثينا فاجابه الرجل وكان تالس قد لقنه ما يأتى . لا شئ جديداً الا وفاة شاب
 مشى المدينة كلها فى جنازته ، قيل إنه ابن رجل عظيم معروف بمحلمته وعدله
 وإن والده ليس فى أثينا بل فى رحلة من زمن بعيد . فقال صولون ما اتعس ذلك
 الوالد . ثم سأل الاجنبى وما اسمه ؟ — سمعت باسمه ولكنى نسيت وأذ كر فقط
 أنهم كانوا يلهجون بك عدله وحكمته وفضله . أخذت هذه الاجوبة تزعج
 صولون حتى يبال ان سأل الاجنبى ألم يكن الميت ابن صولون ؟ فاجاب الاجنبى
 نعم . لطم صولون عند سماعه هذه الكلمة رأسه وأخذ ينتحب انتحاب من
 نزلت به شر الويلات . حينئذ أخذ تالس بيده وقال له ضاحكا هذا يا صولون
 ما أبعدنى عن الزواج والاولاد . خشيت الضربة التى أوجعتك وأنت أثبت
 ١٣م - المظما .

ارجال . اطمئن ليس فيما سمعت شيء من الصدق . (١) . هذا مارواه هوميروس عن باتيكوس (١) الذي يدعى أنه ورث زوج ايزوب على أن الامتناع عن اجتياز الضرورى خشية ضياعه خطأ ضد العقل والقلب . ولو صح هذا كان من الواجب أن لا نحب شيئاً من الثروة أو المجد أو الحكمة . ان الفضيلة ذاتها وهى أئمن وأسعى الخيرات قد ينتزعها منا المرض والشراب . وتالس ذاته بامتناعه عن الزواج لم يكن فى مأمن من المخاوف الا اذا كان متطوع الصلة بينه وبين أهله وأصدقائه ووطنه . ولكنهم لم يكن على شيء من ذلك اذ تبنى ابن اخته سيبنوس لان فى نفس الانسان غريزة العطف يتنازعها الحب والاحساس والفكر والذكرى تستعوض أغراضها الطبيعية التى تعوزها بروابط خارجية تسعى لها وتكون أشبه شيء بمنزل أو أرض ليس لها وريث شرعى فترحب بالاجانب وأولاد الزنا يتدخلون فيها بالحيلة والتحجب ويستولون عليها ومتى استقرت بهم الحال ادخلوا الى النفوس بعلاقتهم هذه الرغبة فى الحرص عليهم والخوف من ضياعهم وما أكثر من نراهم اليوم يسخرون من الزواج والاولاد ثم نراهم اذا فجعوا بابتائهم من خادماهم أو محظياتهم أو رؤسهم مرضى انخرطوا فى الحزن والالم على مالا يلقى بالقلوب الشريفة . ومنهم من اذا أصيب فى كلب أو حصان حزن له حزناً مخجلاً مميئاً . بينما نرى غيرهم اذا احتسبوا فى ابناء فضلاء يتأسون ويقضون بقية حياتهم فى اعتدال لا بأس به . من الضعف لا الحب ، ان يسترسل الانسان فى الحزن والخوف الشديد وليس لنا من العقل عدة ضد الخط . اننا لانعرف كيف نستمتع بالحاضر ، والمستقبل يروعنا بالآلام والضيقات لجرد التفكير فى ضياعه يوماً ما . فلا نسرع الى الفقر او عدم المبالاة او العزوبة خشية ضياع ثروتنا أو أصدقائنا أو أولادنا . يجب أن نستمد قوتنا من العقل . وكفى بهذا مناقشة فى هذا الموضوع .

مل الاثينيون هروبهم الفنيمة ضد الميجاريين لاسترداد جزيرة سلامين فأصدروا مرسوما يقضى بالموت على من يقترح شفويا أو كتابة المطالبة بها . ساء صولون هذا الجبن ورأى الشبان أو أغلبهم لا يطالبون سوى صحبة يتذرعون بها بالعودة القتال . غير أنهم لم يجروا على التقدم خوفا من ذلك القانون . فادعى الجنون وأذاع بواسطة أهل بيته انه فقد صوابه . وأعد في انحاء قصيدة استظهرها على لوح قلبه وخرج فجأة من منزله وعلى رأسه قبعة (١) وجرى الى الساحة العمومية وتبعه الشعب جماعات وهناك اعتلى صخر الخطابة وأشد قصيدته التي مطلعها :

أتيت مناديا من سلامين الجميلة

وقد ألفت لكم هذه الاشعار بدلا من خطبته

واتمد أطلق على هذه القصيدة اسم سلامين وهي مؤلفة من مائة بيت غاية في الجمال .

ولما انتهى صولون من انشادها صفق له أصحابه ، وبلغ من تشجيع بيزستراس للاثينيين على الأخذ برأيه ان ألغى المرسوم وأعلنت الحرب وعين صولون قائدا للجيش .

أما الرواية الشائعة عن ذلك فهي أن صولون أبحر مع بيزستراس الى كولياد حيث كانت الاثينيات يحتلن بعيد الالهة سيريس . ومن هناك ارسل رجلا ممن يثق بهم الى سلامين مدعيا انه هارب واقترح على الميجاريين انهم اذا شاءوا ان يستولوا على خير نساء اثينا فليسا فروا معه الى كولياد . صدقه الميجاريون واسرعوا من فورهم الى سفينة مملووها جنودا . وإذا رأى صولون ان سفينتهم عادت سلامين سحب النساء وانبس المرء من الشباب ثيابهن وعصباتهن

١ هي غطاء رأس المرضى . والقبعة من الوقيات الطبية التي أومى بها افلاطون في الجزء الثالث من كتابه الجمهورية .

وأخذتيم فأخفى المرد خناجرهم تحت الثياب وذهبوا بناء على أمره يلعبون ويرقصون عند الشاطئ الى ان نزل الجنود ولم يبق للسفينة سبيل للنجاة من أيديهم . خدع الميجاريون بهذا المشهد وتسابقوا لاختطاف اولئك النساء المزعومات ولكنهم قتلوا عن آخرهم ، ثم أبحر الاثينيون الى الجزيرة واستولوا عليها . ويزعم البعض أن صولون سلك في ذلك طريقاً آخر . أوحى اليه دلف . ان استعمل اليك بالهدايا الابطال من الاهالى وسادات البلاد

ممن يضمهم ازويوس في حضنه

ومن يجعلون قبورهم نحو الغرب

فذهب صولون الى سلامين ليلاً وذبح الضحايا للبطلين بارايفاموس وسيشره ثم قدم اليه الاثينيون ثلثمائة متطوع ضمن لهم حكومة الجزيرة برسوم اذاهم استولوا عليها أنزلهم صولون في قوارب صيد تبحر بهم سفينة بثلاثين مقدافاً . وألقى الرمي تجاه أوبا . لم يعلم الميجاريون المقيمون هناك عن حملته سوى اشاعات مضطربة فنزعوا الى سلاحهم في غير نظام وبعثوا بسفينة تستكشف الخبر . دنت السفينة من عمارة الاثينيين فانسرت . قتل صولون من كان بها من الميجاريين وأحل محلهم جماعة من أشجع جنوده وأرسلهم الى سلامين وأوصاهم ان يتنكروا جهد المستطاع وسار ببقية جنده برا لمحاربة الميجاريين . وبينما هو مشتبك معهم في القتال فاجأ رجال السفينة سلامين وأخذوها عنوة . تؤيد العادات المتبعة هذه الرواية . ففي كل سنة تذهب سفينة متنكرة من أثينا الى سلامين ويسرع أهالى الجزيرة في هرج واضطراب لملاقاتها وحينئذ يقفز أثيني الى البر شاهراً سيفه ويصيح صيحات عالية في وجه القادمين . يحدث ذلك عند قمة سيراديوم . ويشاهد على مقربة من ذلك المكان هيكل مارس الذى أقامه صولون بعد انتصاره على الميجاريين . أما الذين نجوا من الموت فبقوا أحراراً بفضل معاهدة ولكن الميجاريين أصروا على استرداد سلامين . وبقى الشعبان ينزل كل منهما بالآخر ماني وسعه

من شر . ولكنهم قبلوا أخيراً ان يحكموا الاسبارطين في الامر وارتضوا حكمهم ويقال ان صولون استشهد في خصوصته بهوميروس ودس عليه أشعارا في بيان السفن وروى أمام القضاة .

قاد أجاكس من سلامين اثنتي عشرة سفينة وجملها في مصاف جنود الاثينيين . ولكن الاثينيين يهزءون بهذه الرواية ويؤكدون ان صولون أثبت للقضاة ان فيلاوس واديرزاسيس ابني اجاكس لما فالأ حقوق مدينة أثينا نزلا عن الجزيرة للاثينيين وأقاما في أتيكا . فأقام أحدهم في بروروم والاخر في ماليتا وان فيلاوس أعطى اسمه لقرية الفيلاين التي منها بيزستراس .

ولكي يجهز صولون على كل حجة للميجاريين استشهد بطريقة دفن الميجاريين لموتاهم وهم في ذلك يشبهون الاثينيين ويختلفون عن الميجاريين . يوجه الميجاريون موتاهم نحو الشرق اما الاثينيون فانهم يوجهونهم نحو الغرب . حقيقة ان هرايس قرر انهم في ميجاريا يحولون وجوه الموتى الى الغرب وزاد على ذلك برهاناً مقنعاً وهو انهم في أثينا يخصون كل ميت بنعش اما في ميجاريا فانهم يضعون في النعش الواحد أربعة أو خمسة . ولكنهم يزعمون ان صولون أيد مطالبه بوحى الكاهنة التي دعت سلامين « يونيين » وكان الحكم في هذه القضية خمسة من الاسبارطين وهم كريتولايداس - اوفنارثيوس . هبشيدان اناجزيلاس . كايوبين عاد صولون من هذه الحملة متوجاً بالكليل المجد . وقد زادت سمعته شهرة ولحجت الناس باسمه والاعجاب به بعد الخطاب الذي ألقاه عن هيكل دلف قائلاً « يجب ان ندافع عنه ولا نحتمل ما يفعله السيرهيون تدنيس الوحي . وانه احتراماً للاله يجب اسعاف دلف » قبل المجلس الاعلى الانفككتيون هذه الدعوة وأعلمنا الحرب على السرهيون . هذه حال يشهد بها كثير من الكتاب بينهم ارسطو في مؤلفه بتيونيك - وقد ضاع هذا المؤلف - حيث يعزو هذا القرار الى صولون . على ان صولون لم يعين قائداً في هذا الحرب بالرغم مما زعمه ايفانت الساموسى (وهو

كاتب غير معروف) الذي استشهد به هرميباس . ولم يقل اثنين الخطيب شيئا عن ذلك . ويؤخذ من سجلات ذلك ان الكيميون لاحولون هو الذي تولى قيادة الاثينيين في هذا الحرب

كان الرجس السيلوني يحدث في اثينا كثيراً من الاضطرابات وكان شركاء سيلون قد لجئوا الى هيكل مترفاً فتمكن ميجالس الحكام من اقناعهم بان يتقدموا للمحاكمة فربطوا خيطاً بتمثال الآلهة وأمسكوا به ونزلوا ، واذا صاروا على مقربة من هيكل الآلهة المحترمة (١) انتطع الخيط من تلقاء نفسه . فقبض عليهم ميجالس ورفاقه بحجة ان الآلهة أبت ان تحميمهم فأنزلوا العقاب بمن كان خارج الهيكل أما الذين فروا فقد ذبحوا أمام « المذبح » ولم ينبج منهم الا الذين رموا بأنفسهم تحت أقدام نساء الحكام . ومن ذلك الحين دعى الحكام أرجاساً وصاروا موضع بغض الجمهور . عادت الثقة بعد ذلك الى من بقى من النصار سيلون واستمر وافي عدائهم لخلفاء ميجالس . بلغت الفتنة أشدها وانقسم الشعب بين الحزبين فتدخل صولون ، الذي كانت شهرته قد عظمت بين الجميع في المسألة وتمكن بمساعدة كبار الاثينيين بالتوسلات تارة واللوم أخرى من حمل المدعويين ارجاساً الى قبول تحكيم ثلثمائة من افاضل الوطنيين . حكم على الارجاس بناء على اتهم ميرون وفيلي . وحكم على الاحياء منهم بالنفى . فنبشوا قبور الموتى والنقوا رفاتهم بعيداً عن اراضي اتيكا

انتهاز الميجاريون فرصة هذا الاضطراب وهاجموا الاثينيين وطردهم من « فيزه » (٢) واستردوا اسلامين اجتمع مع هذه الولايات ما كان يملأ القلوب من مخاوف وهمية: ذلك ان اثينا امتلأت أرواحاً طائفة . وقال العرافون بعد فحص الضحايا بوجود رجس وذنس يجب التطهر منهما فاحضرا بيميند الغسقي من كريت وهو تابع الحكماء في نظر من لا يعد منهم بير ياندد . وكان معروفاً « عزيز الآلهة » .

(١) لقب ايمونيد و كان هيكل في كولون ٢ مدينة واقعة على خليج كورنت

وكان ضليماً في علوم الوحي والأسرار . وكان يدعى في حياته ابن العذراء « بالته » وكوريت الحديد وقد وصلنا صادق صولون وساعده في وضع شرائعه . ومهد له السبيل بتعويده الاثينيين الاقلال من النفقات في التقاليد الدينية والاعتدال في الخداد . نفرض تقدمات للجنازات بدلا من العادات الوحشية التي كانت تقوم بها بعض النساء الى ذلك الحين . والمهم ما صطنعه من التطهيرات والتقدمات وانشاء المعابد طهر المدينة تطهيراً تاماً وابعدها عن الرجس والظلم وجعل الاهالي أكثر استعداداً وقبولاً للاتحاد والسلام .

ويروى أيضاً أنه لما رأى مونيشي وأنعم فيه النظر طويلاً قال لرفيقه « ان الرجل أعنى عن المستقبل لو استطاع الاثينيون ان يدركوا ما يجرد هذا المكان على مدينتهم من الولايات لهدموا »

ويقال أن تالس أحس أيضاً بمثل هذا الشعور وأمر أن يدفن في مكان صحراوي قاحل من ميلازيا . متنبئاً بان هذا المكان سيصير يوماً ما مساحة ميلازيا العمومية .

أراد الاثينيون اعجابا بابيمينيد أن يغمروه بالتكريمات والهدايا ولكنه لم يطلب سوى غصن من شجرة الزيتون المقدسة فقدم اليه وعاد الى كريت .

انتهت الفتنة السيلونية بانتقاء الارجاس ولكن اثينا عادت الى الاختلافات السياسية القديمة . ووجدت في المدينة أحزاب عداد ما في اتيكا من اراض مختلفة أراد أهالي الجبل حكومة شعبية . وفضل أهالي السهل حكومة اوليجارشية (حكومة جماعة) وبقى سكان الساحل وهم خليط من الحزبين يحولان بين انتصار أحدهما على الآخر . هذا وكان ما أحدثه تفاوت الثروة بين الفقراء والاعنياء من الشقاق على أشده وكان المدينة في هذا الموقف الحرج لم تجد من سبيل لاعادة الطمأنينة والنجاة من الخراب سوى الاستسلام لحاكم مستبد . كان الشعب كله رازحاً تحت عبء ما كان عليه من الديون الاغنياء وكان المدين يشتغل لدائنه

ويعطيه سدس المحصول . وكان يدعى هؤلاء السدسيون او المستأجرة وكان غير هؤلاء يقترضون برهون على اشخاصهم ويحكم بهم لدايتهم فيبقون عبيدا في ائتنا أو يباعون في الخارج وكان الكثيرون يضطرون لبيع ابناءهم لا يحميهم قانون ، أو يهربون من المدينة نجاة من قسوة المرابين . اجتمع منهم عدد كبير من اولى العزبة الصادقة واحتجوا على هذه الالهانة واعتزموا ان يعينوا على انفسهم رئيساً حقيقياً بثقتهم وان يذهبوا تحت قيادته لانتقاد المدينين الذين لم يستطيعوا الوفاء وإن يعيدوا تقسيم الاراضي ويغيروا هيئة الحكومة .

حول العقلاء من الاثينيين في هذه الازمة انظارهم إلى صولون لانه الرجل الوحيد الذى لم تقع عليه شبهة . لم يشترك في مظالم الاغنياء ولم يختار شخصياً حالة الفقراء . رجوا اليه ان يتولى الامر وان يضع حداً لهذا الخلاف . قال فانياس دى لسيوس (١) ان صولون انتقاداً للمدينة خدع الحزبين معاً . وعد الفقراء خفية بتوزيع الاراضي والاغنياء بتثبيت ديونهم مع انه يقول ان صولون تردد كثيراً في قبول هذه المهمة خشية بخل هؤلاء وقحة اولئك .

مهما يكن من الامر فقد انتخب صولون حاكماً بعد فيلومبروتوس وصار حاكماً في الاتفاق ومصالحاً للشرائع وصادف هذا الانتخاب قبولاً من جميع الاحزاب الاغنياء لان صولون كان غنياً والفقراء لانهم يعرفونه رجل خير . وقد ذاع عنه قوله إن المساواة لا تحدث الحرب . كفة طابت لها نفوس الاغنياء والفقراء . رأى فيها الاغنياء ان لمساواة أساسها الجدارة والفضيلة . ورأى فيها الفقراء تسوية عادلة حسب النفس . رأى الحزبان موضعاً لآمال كبيرة . عرض الرؤساء على صولون الحكم المطلق وألحوا عليه في إدارة حكومة مدينة يسيطر عليها . حتى أن الذين لم يعنهم أمر هذا الحزب أو ذاك ، أولئك الذين لم يكونوا يتوقعون من الحكومة أو التشريع تغييراً صالحاً يحدث بلا خطر ولم يحجموا عن تقديم السلطة التامة الى

١ من تلاميذ أرسطو وتذكر له مؤلفات في التاريخ والظيمة .

أعدل وأحكم رجل . ويقال إن صولون تلقى من بيتو الوحي الآتى :

اجلس ؛ ايها البحار ، وسط المركب

ودبر سيره . سيخلص لك أكثر من واحد في اثينا .

وقد عاب عليه كثير من أصدقائه خوفه من كلمة (مملكة) كأن الحكومة المطلقة التي تكتسب بالفضيلة لا تصير ملكية مشروعة . ألم لذلك مثلاً في أوبا في شخص تيونوننداس ؟ ألم تقلد ميتيلين ؛ بتاكوس الحكم المطلق ؟ ولكن كل هذه الأقوال . لم تنل من صولو . . فكان يجيب أصحابه بقوله ان المطلقة بلد جميلة ولكن لا منفذ لها . وقال في أشعاره مخاطباً فوكوس

... اذا كنت قد أنقذت وطني

(لان قسوة الاستبداد لم تدنس يدي)

اذا كنت لم أسود (أو أظلم) ولم أشن مدى .

فاني لا أندم على ذلك . لانه يلوح لى انى بهذا تغلبت على جميع الرجال ... ويرى من هذا انه كان حتى قبل نشر شرائعه متمماً بالاحترام والاجلال على انه يذكر في أشعاره الاقوال التي كانوا يسخرون بها منه لرفض الحكومة المطلقة

لم يكن صولون حكيماً ولا عاقلاً

رفض ماقدمته اليه الآلهة من خيارات .

ولما أخذت السمكة نظر اليها مبهوتا ولم يسحب الشبكة .

لقد ضاع صوابه وحوار في أمره

على انه كان يريد لامتلاك هذه الكنوز ،

والحكم ولو يوماً واحداً على اثينا

ان يسلم جلد حيا وان يهلك جميع أبناء جنسه

بمثل هذا كان يعبر عما يقول فيه الغوغاء والاشرار

لم يكن رفض الحكم المطلق ليدفعه الى اللين والحوادة . لم ينزل عن شيء للاقوياء ولم يناق في قوانينه الذين انتخبوه . لم يضع الدواء على الاعضاء السليمة ولم يرد ان يقطع من خم الحى ، خشية انه اذا قلب المدينة رأسا على عقب لا يجيد من القوة ما يكفي لاعادة تنظيمها واصلاحها . لم يضع من القوانين الا ما رأى في وسعه ان يجعله مقبولا بالاقتناع أو الثقة جامعا بين القوة والعدل كما كان يقول . وقد سئل مرة هل سن للاثينيين خير الشرائع فقال « نعم خير مايسن لهم »

كان الاثينيون على ما هو ملحوظ يظفون من قطاعة الاشياء باعطائها أسماء شريفة ظاهرة . مثال ذلك انهم كانوا يدعون المومسات صديقات ، والنساء رائب ؛ اعانات ؛ وجنود الحامية حراساً ، والسجن بيتا . ويكاد يكون من المؤكد ان هذه من اختراعات صولون . وكان يدعو الغاء الديون ، تسديداً وهذا أول إصلاح أحدثه في الدولة . فالرسوم يقضى بالغاء الديون السابقة وتحرير رقبة المدينين من التعهدات ومن كل اكراه بدنى . على ان البعض وبينهم ان روسيون (١) يقول ان صولون لم يبلغ الديون بل أنقص فوائدها وان الفقراء الذين خفت عليهم وطئتها هم الذين دعوا تسديداً . ويقول ذلك البعض ان الذى أتم مفعول القانون هو اعلان قيمة المقود : كان « المين » يساوى ثلاثة وستين درهما فجعله مائة . بحيث ان المدينين يسددون القيمة الاسمية ولكنها أقل قدرا وبذلك ربحوا كثيرا ولم يخسر الدائنون شيئا .

على ان المتفق عليه عموما هو ان التسديد كان إلغاء حقيقيا لجميع الديون . مما يؤكد ذلك قول صولون ذاته فى قصائده مفاخرأ بانه ألغى من اتيكا قوائم الرهونات العقارية فالارضى التى كانت مرتبطة اصبحت خالية وقد أعدت الوطنيين الذين حكم بهم شخصيا لدائنيهم من البلاد الاجنبية حيث لم يكن لهم مأوى ولم يتكلموا لغة اتيكا . وقد حررت رقبة الباقين الذين كانوا يعيشون فى

١ له مذكرات عن اتيكا . وقد ذكره بوزانياس . ولم يعرف زمن وجوده

وطنهم أرقاء أذلاء (١)

لقي صولون من عمله هذا اشر ما يبتلى به من الكدر . بينما كان يستغل بالغاء الديون ويبحث عن عبارات ملائمة يصوغ بها مرسومه ويضع لها مقدمة مناسبة اطاع ثلاثة من أصدقائه على مشروعه وهم « كونيون » و « كلينياس » و « هيبو فيكوس » موضع ثقته قائلاً لهم إنه لا يمس الاراضى وأنه سيلغى الديون . اغتم هؤلاء الثلاثة الفرصة وسبقوا صدور المرسوم فاقترضوا من الاغنياء مبالغ طائلة واشتروا اراضى . فلما صدر القانون احتفظوا باملاكهم ولم يسددوا شيئاً من ديونهم فأثار هذا الخبث شكوى مرة ضد صولون واتهموه لابان اصحابه خدعوه بل بأنه كان شريكاً لهم في سوء فعلهم . زالت هذه التهمة الغريبة عن صولون اذ كان أول من عمل بقانونه فنزل عن خمسة طالانات مستحقة له . ويقول البعض ومنهم بوليزاوس الروديسى (٢) إنه نزل عن خمسة عشر لخمسة فقط . على ان هذا لم يعرف اصحابه من أن يطلق القوم عليهم لقب « حاذق الديون »

قد أساء أمر صولون الحزبين معا : أساء الاغنياء الذين ضاعت عليهم حقوقهم وأساء الفقراء الذين حرروا مما كانوا يطعمجون اليه من تقسيم الاراضى بين الجميع سواء بسواء كما فعل ليكوزرجوس . ولكن ليكوزرجوس كان الحادى عشر من سلالة هرقل . واستمر ملكه على اسبارطة عدة سنوات وكان ينعم بشهرة وثقة واسمعتين وكأن له كثير من الاصدقاء ونوذ عظيم وهذه امتيازات جليله ساعدته على اجراء اصلاحه السياسى . ومع ذلك اضطر الى استخدام القوه أكثر من الاقناع وقد كلفه خير نظمه ضياع عينه مع ان خير مأسه السعادة مدينته ورفاهيتها . وهو الغاء الفقر والغنى . ولم يكن فى سع صولون ان يطمع الى هذا المقام . ولد من طبقة العامة وفى حالة وسط . على انه لم يقصر عما كان فى طاقته من حكمة وثقة . ولقد شهد هو نفسه بان شريعته أغضبت أغاب الاثينيين الذين كانوا ينتظرون شيئاً آخر

١ هذا الاشارة الى الخطب التي لخصها فلوطارخوس محفوظه فى خطاب ارشيد بارافتيجات ٢ لم يعرف عنه سوى انه كتب ذكريات عن جزيرة رودس

« لقد كانوا يعجبون بي والان كلهم ناقم على
كلهم ينظرون الى بسين العدو
ومع كل فلم يكن في وسع أى انسان غيرى صارله مالى من السلطة
أن يضع قانونا أو غاية لا يدفع هذا الشعب الى الفوضى وامتصاص آخر
مصعة من لبانه »

لم يلبث الا ثينيين ان عرفوا فائدة قانونه فعدلوا عن تذرهم وقدموا
قربانا دعوه « قربان الاعفاء أو البتديد » وعهد الى صولون فى مهمتى الاصلاح
السياسى والتشريع وخولوه فى ذلك سلطة مطابقة فسيطر بذلك على القضاء
الجمعيات والمباحثات والاحكام . وكان ينظم مراتب الضباط وعددهم
ومدة خدمتهم يلقى ويثبت ماشاء من العادات والانظمة فبدأ بالغناء جميع شرائع
« درا كون » لصرامتها وعدم تناسب العقاب ولم يستثن سوى عقوبة القتل .
لم تكن فى شرائع « درا كون » سوى عقاب واحد لجميع الاخطاء
وهو الموت : فمن يثبت عليه البطالة كان جزاؤه الموت . ومن سرق بقلا أو
فاكهة كان جزاؤه جزاء من ارتكب رجساً أو قتل انساناً . واقد أصاب وأمادنى
قوله إن « درا كون » كتب شرائعه بالدماء لابلداد . قيل « لدرا كون » لماذا
جعلت الموت عقاب كل خطأ فقال « لأنى وجدت أقل خطأ يستحق الموت ولم
أجد غيره للجرائم الكبرى »

أراد صولون بقاء الحكم فى أيدي الاغنياء وان يشرك الفقراء فى ادارة
الحكومة التى كانوا مبعدين عنها . فاحصى الثروات وجعل الطبقة الاولى من
الوطنيين الذين يبلغ ايرادهم خمسمائة مديم غلالا أو سواثل ودعاها « بنتاكوزيو
مديم » وجعل الطبقة الثانية من يملكون قوت حصان أو ثلثماية مديم ودعا اصحابها
الفوارس « شفاليه » وألف الطبقة الثالثة من يملكون مائتى مديم ودعا اصحابها
« زوجيت » ودعا الذين يملكون اقل من مائتى مديم « ثات »

صولون

حرم صولون على الطبقة الاخيرة الاشتغال بالقضاء ولم يجعل نصيبهم في الحكم الا حق التصويت في الجلسات والاحكام . لم يبدوا هذا الحق على شيء من الخطورة إلا أنه صار فيما بعد عظيم الخطر . لان غالبية القضايا كانت تنتهي الى حكم الشعب . ولئن كان الحكم أول من يبدأ بمعرفتها فإنه كان من الممكن عرض احكام القضاة على الشعب . ويقال إن غرض شرائع صولون وما كانت تنطوي عليه معانيها من التناقض كانا سبباً لزيادة سلطة المحاكم . ولانه لم يكن من السهل الفصل في الخلاف ، لم تكن للشعب مندوحة عن الرجوع الى قضاة في تقرير القضايا وبذلك صار القضاة المنحكين في القوانين . وقد ذكر صولون في قصائده هذا التوازن الذي اقامه بين الاغنياء والفقراء :

أعطيت الشعب سلطة كافية

لم أنقص من شرفه ولم أزد عليه (مالا فائدة منه)

أما الاغنياء المعجبون ببرواتهم

فلم أسمح لهم بارتكاب المظالم

لقد قلدت كل حرب دروعا حصينة

فلا سبيل لهؤلاء ولا لاولئك الى العدوان

وقد أباح وقاية الشعب، لكل انسان أن يتقدم للدفاع عن أى وطنى أهين. فاذا جرح أحد أو ضرب أو أهين كان لكل انسان الحق لو اجترأ أو أراد أن يقاضى المعتدى أمام القضاء . وهذه حكمة أراد بها المشرع تعويد الوطنيين ان يروا انفسهم أعضاء هيئة واحدة (جسم واحد) فيشعرو ويشاطرو كل منهم ويلات الآخرين . ويذكرون لصولون كفة في بيان هذا القانون . سئل يوماً ماهى خير مدينة يسودها النظام ؟ فقال « تلك التى يعنى فيها الوطنيون برداى أذى كأنه أصاب كل فرد منهم »

فصولون هو الذى أنشأ مجلس شيوخ الحكم « الاريوخاج » الفه من الذين

تولوا منصب حاكم واذ كان هو حاكماً كان عضواً في مجلس الشيوخ . ولكنه لاحظ ان الغاء الديون اوجد في الشعب روح الادعاء والكبرياء . فانشأ مجلساً ثانياً مؤلفاً من اربع مائة عضو ، مائة من كل القبائل الاربع . ينظر في المسائل قبل عرضها على الشعب . وحرم الجمعية العمومية النظر في مسألة لم يفتحها هذا المجلس . أما المجلس الاعلى فقد خصه صولون بالاشراف العام وحيانة القوانين كما ان السفينة لو ثبتت برسيتين صارت أقل عرضة للاضطرابات . ينسبون كما قلت الاريوباج (مجلس الحكام) الى صولون (١) يؤيد ذلك ان دياكون لم يتكلم على أولئك الحكام (الاريوباجين) وانه في قضايا الاجرام الكبرى كان يوجه الكلام الى (النواب ولكن القانون الثامن من اللوحة الثالثة عشرة من تشريع صولون يجري بما يأتي :

« جميع المتهمين من الوطنيين الذين ثبتت اذانتهم قبل حكومة صولون تعاد اليهم براءتهم الا الذين حكم عليهم بمس الشيوخ ومجلس النواب أو الملوك في بريتان في جرائم القتل او السلب أو الطموح الى الاستبداد والاستعباد . أو الذين امتنعوا عن الحضور عند نشر هذا القانون » . وهذا دليل على ان مجلس الشيوخ كان موجوداً قبل حكومة صولون ونشر قوانينه

هل يعتل ان يصدر مجلس الشيوخ حكماً اذا كان صولون هو أول من منحه حق الحكم ؟ نور بما كان في هذا النص غموض أو نقص ، هل يفهم ان الذين حكم عليهم قبل نشر هذا القانون مجلس الشيوخ أو النواب أو الملوك البريتانيين يبقون في حكم المدانين وان تبرأ ساحة الباقين . هذا ما أراد المشرع .

وبين قوانين صولون قانون لم يسبق اليه وهو غريب في بابه . ذلك انه يعتمد مهاناً كل من يلزم الخيطة ايان الاضطراب لا ينتمى الى حزب من الاحزاب

١ ترجع الانباء المتواترة هذا النظام الى زمن البطولة ، ويقال ان أول قضية نظرها هذا المجلس قى قضية فوزى ضد اورست قتل أبيه . امينيد تأليف اشيل

وكانه أراد بذلك ألا يستخف أحد أو لا يتأثر بما يحل بالبلد من انويالات العامة
مكتفيا بسلامة شخصه وأمواله ثم المفارقة بأنه لم يفتقد شيئا ولم يصبه شيء من ذكبات
النوض . أراد أن يتقدم كل انسان منذ ابتداء الفتنة فينضم الى اوفر الجانبين
نصييا من الحق . وبدل ان ينظر لمن يكون النصر يعضد الفضلاء
ويشاطرهم الخطر

ومن شرائع صولون قانون أراد سخيئا مزريا ذلك الذي يبيح للزوجة اذا
كانت غنية ان تسلم نفسها لمن تشاء من أقارب زوجها متى كان عاجزا مع انه ما كانها
الشرعى . ويقول البعض ان ذلك عقاب للعجز في المسائل الزوجية ، الذين
يدفعهم الجشع الى زواج غنية متخذين ما يبيحه القانون للاعتداء على الغاموس
الطبيعي . اذ يعلمون ان لنساءهم الحق في الاستسلام الى من يرون أو أن يفرضن
الزواج أو لا يتزوجن منهم الا لالباسهم العار . فيكون ذلك جزاء وفقا لهم على
جشعهم وجريمتهم . لم يحدد القانون اختيار الزوجة عبثا من حيث حصره في أقارب
الزوج . أراد المشرع بذلك ان يكون أبنائها من دم الزوج وجنسه : لهذا
السبب أمر ان يحبس العروسان معا وان « يعضا سفرجلة واحدة » وأن يبنى
الزوج لزوجته بواجبه الزوجي ثلاث مرات على الاقل في الشهر : ولئن كان
لا يوانها فهو تشريف لفضيلة الزوجة . وان في هذا العطف ما يبدا أسباب الاستياء
الذي يحدث غالبا بين الزوجين ويتحول الى شجار علني .

وفيما عدا ذلك ألفى صولون البائنة (الماوية) وكان المرأة ان تحضر ثلاثة
اثواب وبعض اثانات قليلة الثمن . أراد بذلك الا يكون الزواج تجارة وترقا .
بني يكون ائتلافا بين الزوجين استعدادا لاقامة النسل . وأن يكون رباط دعة
وحب . طالبت والدة دانيس من ابنها ان يزوجهها من شاب سيرا قوزي فأجابها
« كان في وضعي ان اخترق قوانين المدينة وأتولى الحكم المطابق فيها ولكن
ليس في وسعي أن أمتهن قوانين الطبيعة بعقد زواج بعيد عن السن المناسبة »

ولذلك لا يجوز ان يسمح بمثل هذا الخلل في دولته ، او بإباحة زواج غير متناسب
لا ينطوي على شيء من الهناء ولا يؤدي عمل الزواج ولا الغاية منه . قال احد علماء
الحكام لعجوز تزوج فتاة حديثة السن ما قيل لفيلوكيت
تزوج أيها التعس ؟ ان حالك ناطقة !

واذا وجد شابا في غرفته عجوز غنية يسمن كما يسمن الحجل لدى أنثاه .
انزعه منها . وألق به بين يدي عذراء فتية محتاجة الى زوج . ان في
هذا كفاية

ومما يثني عليه من شرائع صولون نهيه عن اساءة سمعة الموتى . والحقيقة أنه
من ممتضى الصلاح اعتبار الموتى مقدسين . ومن العدل احترام ذكرى من فارقوا
العالم . ومن السياسة ألا تكون البغضاء لانهاية لها . وقد نهى صولون عن ابداء
أى شخص في الهياكل والمحاكم والمجتمعات والملاعب . وجعل على من يقترف
ذلك غرامة قدرها خمسة دراهمات . يدفع منها ثلاثة للمعتدى عليه واثنان للخزنة
العمومية . من علامات سوء التربية وفساد الخلق ان يتهدد الانسان في كل وقت
كما انه من الصعب ان يمتلك الانسان نفسه وقد يكون ذلك محالا على البعض
فواجب القانون أن مجرم الشاسع من الاخطاء اذا اراد أن يجعل بين عقاب
البعض مثلا صالحا للغير لا ان يكثر العقاب على غير جدوى

مما يثني عليه أيضا قانونه في الوصية . لم يكن حق الوصية معروفا قبل
صولون . كانت جميع أموال الميت تبقى في عائلته . ولكن صولون أباح لمن لم
يرزقوا أولادا ان يتصرفوا على ما يشاءون مفضلا الصداقة على القربى وحرية
الاختيار على الإكراه . و اراد بذلك أن يكون الانسان حراً حقيقة في املاكه
ولكنه جعل لذلك حدا . لم يبيح الهبات على الاطلاق بل اباح ما يوضئ به منها
في حرية تامة لا تحت تأثير الامراض ولا المشروبات ولا سوء القصد لا الاكراه
ولا تحت تأثير إغراء امرأة وكان رأيه وله الحق ان لا يفرق بين مخالفة القانون

العنيفة وبين التفرير من مساويين الاحتيال والاعتصاب . وبين الالم والشهوة باعتبارها اسبابا تدفع الانسان عن جادة الصواب

وسن للنساء شرائع في رحلاتهن وحدادهن وما يقدمن من القرابين . عاب عليهن تبرجهن وفوضاهن وحرم عليهن الخروج من المدينة باكثر من ثلاثة ابواب والا يحمان مؤونة باكثر من « فلس » (١) والا يكون لهن سلة أطول من ذراع والا يسرن ليلا الا في عربات تنقدها المشاعل . والايشوهن وجوههن . والا ينشدن اشعاراً في الندب أو يصرخن وراء جنازة اذا لم يكن الميت من ذوى قرباهن . والا يضحين ثوراً على القبر . والا يدفن مع الميت أكثر من ثلاث بذلات . والا يذهب الى مدافن عائلات اخرى الا يوم الدفن . ونهاهن عن كل ما لا يزال منهيا عنه في شرائعنا . ويقال ايضا إن الذين يخالفون هذه القوانين يحكم عليهم الحكام المخصصون لمراقبة النساء باعتبارهم رجالا مخنثين يستسهلون في احزانهم لكل ما في المرأة من ضعف

كانت أئينا تزداد بالسكان يوماً بعد يوم ، ممن ينحدرون اليها من الخارج منجذبين بما كانت تتمتع به أتيكا من الحرية . لكن قسماً كبيراً من الاراضى كان قاحلاً وعقياً . وتجار الواردات البحرية لا يقدمون عادة شيئاً لمن لا يعرضهم منها . فوجه صولون صناعة الوطنيين الى الفنون وأصدر قانوناً يعفى الابن من إقانة والده اذا لم يكن قد علمه صناعة . إن ليكورجوس الذى كان يسكن مدينة غير مزدهجة بالاجانب وكان تحت تصرفه مساحات كبيرة من الاراضى لا تكفى لتكوين شعب كبير فقط بل تكفى توين ضعف عدده . كما قال أوديبيد: ليكورجوس الذى كان يحيط به جماعات من الهيلوت (الهيلوزين الرقيق) لم يسمح لهم بالبطالة بل كان يكرههم على العمل المستمر . كان على حق في تحريمه على الوطنيين تناول جميع الصناعات الخفيفة أو المستأجرة . وأن يبقوهم على الدوام تحت السلاح

١ الفلس سدس الدرهم وهو تساوى ١٥ سنتيماً

وألا يدر بهم الا على صناعة الحرب . ولكن صولون الذي كان يطبق القانون على الخال لا الخال على القانون كان يرى أن البلاد فقيرة بطبيعتها وانها لا تكاد تكفي لتغذية المزارعين ولم يكن في وسعه تغذية مدينة عاصمة لذلك عمد الى اعلاء قدر الصناعات وعهد الى مجلس الحكام في البحث عن موارد كل وطني ومعاينة العاطلين .

وهناك شريعة ابلغ في الشدة وهي على ما قال هيراكليم البنطي اعفاء اولاد المحظية من واجب اعالة والدهم . والحقيقة ان الذين لا يراعون واجب الزواج ويميلون الى غير زوجاتهم لا يقصدون إيجاد نسل بل يندفعون الى ذلك بمامل الشهوة فقط . فهم بذلك الحرمان يلاقون جزاءهم . وهم يجرمون كل حق في السلطة على اولاد من العار وجودهم

ويمكن القول بوجه عام إن ما شرعه صولون عن البغاء جاء متضاربا . مثال ذلك انه أباح قتل من يؤخذ متلبسا بجرمة الزنا أما الذي يختطف امرأة حرة ويغتصبها فلا يحكم عليه الا بغرامة مائة دراهمه وإذا ابتذنها الخاطف لا يدفع سوى عشرين دراهمة . هذا إذا لم تكن من اللاتي يعرضهن علانية . أي محظيات (مومسات) وتسلمن أنفسهن بلا حياء الى أول من يتقدهن . ونهى صولون عن بيع الابنة والاخت إذا لم تؤخذ ابجيرة قبل الزواج . فمن التعسف ان تعاقب الجرمية الواحدة تارة بأشد عقاب وأخرى بتساهل كبير أو جعلته لعبة لا عقاب عليها سوى غرامة طفيفة .

ومع كل فان قلة الاموال النقدية في اثينا وصعوبة الحصول عاها تجعل الغرامات المالية باهظة . فقد جعل صولون في تقديره نفقات الضحايا سعر الحروف والدراخمة والمدمين من القمح واحدا . ينال الفائز في الالعاب البربخية حسب شريعته مائة دراخمة والفائز في الالعاب الاولمبية خمسمائة ويمنح من يحضر ذئبا خمس دراخمات . وإذا كانت ذئبة دراخمة واحدة . ويقول ديمتريوس الفاليري أن ثمن

الخروف خمس دراهمات . وقدرت أثمان الضحايا الفضلى فى اللوحة السادسة عشرة من قوانين صولون تقديرا غالبا وليكنها لا تذكر فى جانب أثمانها اليوم .

والأثينيون من قديم الزمن يطاردون الذئاب لان بلاد اتيكا صالحة لتربية القطعان أكثر منها للزراعة التمحج . ويتول البعض ان قبائل اثينا لم تتخذ لنفسها أسماء من ابناء « ايون » بل اتخذتها من ضروب الحياة التى قسمت الالهالى الى طبقات . دعى رجال الحرب « هوربايت » ورجال الصناعة « ارجاد » ثم طبقتا الفلاحين « جيويونت » والرعاة « اجيكور » وليس فى اتيكا أنهار لا تنضب بل قليل من البحيرات والينابيع ولا توجد المياه الا فى الآبار التى تحفر بالايدي فشرع صولون قانونا يبيح لمن لا يبعدون عن بئر عمومية سوى مسافة شوط جواد اى أربعة استاد ان يأخذوا منها ماءهم أما اذا كانوا بعيدين عنها بمسافة اطول وجب عليهم ان يجدوا الماء فى اراضيهم . وإذا احتفروا الى عمق عشرة براس (١) ولم يجدوا ماء حق لهم ان يأخذوا ماءهم من البئر الاقرب اليهم يملئون منها كل يوم مرتين جرة تسع ستة كونجات (٢) رأى صولون من العدل أن يسد الحاجة دون ان يعين على الكسل

ثم حدد تحديد خبير المسافات التى تجب مراعاتها فى الزرع فجعل غرس الاشجار العادية على مسافة خمسة اقدم من الحقل المجاور . اما اشجار الزيتون والزيتون فيجب ابعادها الى تسع اقدم لانها تنمو على مسافات بعيدة من جذوعها ولا يلائم جوارها كل غرس . فمنها ما تمتص غذاءها ومنها ما يضر بها . واذا أريد احتفار حفرة او حفيرة وجب حسب شريعته ان تكون المسافة بينها وبين الجار مساوية لعمق الحفرة . ولا يجوز وضع خلايا نحل الا على مدى ثلثائة قدم من المكان الذى اودعت فيه سواها

ولم يبيح صولون بيع شىء من الحاصلات الالهية للاجانب سوى الزيت

وحرم بيع ما عداه وكلف الحاكم ان يعلن الخدم ضد كل من يخالف هذا القانون والا جوزى هو ذاته بدفع غرامة قدرها مائة دراهمة للخزانة العامة . ورد هذا القانون في اولى لوحات قوانينه . وعليه لا يكون بعيداً عن الصدق قولهم ان تصدير النين كان محرماً وانه كان يطلق على من يستبيحون ذلك لقب « سيكوفانتى » واش بالتين (١)

وقد عني بتحديد تعويض الخسائر والاضرار التي تحدثها الحيوانات فكل كلب عض آخر وجب على صاحبه ان يسلمه الى العضوض وفي عنقه عصا طولها اربعة اذرع وهذا احتياط حسن لمنع الاعتداء .

ولم اتبين حقيقة المعنى المراد بقانونه للخاص بمقوق المدينة . ان الذين يستطيعون ان يعدو وطنيين هم المنفيون نفياً مؤبداً من بلادهم او الباقون للسكى في ائينا مع عيالاتهم يشتغلون بصناعة . واياك ما يقولونه في تأويل هذا القانون ان صولون لم يرد ابعاد الاجانب بل بالعكس اراد اجتذابهم الى ائينا باقتناعهم اقتناعاً أكيدا انهم يصيرون وطنيين . فالذين دعاهم اولى الناس بالثقة البعض لانه اكره على ترك وطنه بلا أمل في العودة اليه . والبعض لانه ترك وطنه مختاراً وما اختص به صولون في تشريعه إنشاء ولائم على نفقة الجمهور ونهى ان يحضرها الشخص مراراً ووضع غرامة على من يمتنع عن حضورها بدوره لان في عمل الاول شراهة وفي عمل الثانى مخالفة للعادات العامة .

وقد حدد صولون لبقاء شرائعه نافذة مائة سنة وقد كتبت على اضابير (ملفات) من الخشب في شكل محاور تدور في براوير علق بها ولايزال بعضها محفوظاً في « البريتانه »

١ « سيكوفانت » واش بالتين وقد تحوت هذه الكلمة فصارت مرادفة لقولهم واش وتام

وقد أقسم المجلس بمينا مشتركة على المحافظة على قوانين صولون وأقسم كل حاكم بالتقرب صخرة الخطابة متعهدا أنه إذا خالف أحد نصوصها يقدم الى هيكل دلف تمثالا من الذهب يزن ثقله .

وقد لاحظ صولون عدم مساواة الشهور وان حركة القمر لا تتفق مع شروق الشمس ولا مع غروبها . وأنه غالبا يبلغ وتقدم الشمس في يوم واحد وأطلق على هذا اليوم « عشية القمر الجديد » وأضاف الى الشهر المنتهى ، جزء اليوم الذى ينتهى قبل الالتحاق ودعا والجزء الذى يلي الشهر المبتدىء . فصولون فى عرفى هو أول من أدرك قول هويميروس عند ما ينتهى الشهر ، عند ما يبتدىء الشهر

« الاوديسة »

دعا اليوم الثانى « نيومانى » القمر الجديد . ولكنه كان يحسب الايام ابتداء من عشرين لا بالاضافة بل بالطرح متتبعا تطور القمر الى اليوم الثلاثين من الشهر . واذ تم نشر هذه الشرائع ازدحم الناس على صولون يثنون عليه وينتقدونه ويطلبون زيادة أو حذفا على ما يشتهون وكثير عدد من يستفسرونه معانيها وكيف يفهمونها وكان من الغباوة أن يرفض طلبهم كما انه رأى فى الاجابة عليها استنارة للحسد ، فاجتنبنا بهذه الصعاب اراد أن ينجو بنفسه من هذه المشاق وهذه الشكوى لانه كما قال

« من الصعب فى الاعمال العمومية ارضاء جميع الناس »

فطلب من الاثينيين اجازة عشر سنوات وأبجر بحجة الرغبة فى الإتجار بجرأ ؛ أملا أن يكون هذا الوقت كفى لاعتياد الناس شرائعه

ذهب أولا الى مصر حيث أقام كما قال زهناطويلا على ناحية من النيل بالقرب من شواطئ « كانوب » وكان يكثر من المحادثات الفلسفية مع « تسانوفيس » (من عين شمس) و « سونيسن » (الصاوى) اكبر علماء الكهنة . ومنهم على

مقال افلاطون سمع حكاية « اتلاتتيد » (١) التي أراد ان ينظمها شعراً
ليطلع عليها اليونانيون

ومن هناك ذهب الى قبرص حيث صار صديق « فيلوسيبروس » أحد ملوك
الجزيرة وكان يسكن مدينة أنشأها « داموفون » بن « نيزيوس » على مقربة من
نهر كلاريوس . وكان المكان حصينا الا انه واقع فوق أرض قاحلة عقيم فأفزع
صولون الملك ان ينقل المدينة الى سهل خصب وان يكبر من شأنها بتوفير أسباب
الراحة فيها . وقد ساعد في بنائها وتجهيزها بكل ما يلزم لزيادة خصبها وطما نيبتها
فزاد عدد سكان المدينة حتى حسده الملوك المجاورون له . واعترفا بفضل صولون
دعا المدينة « صولى » بعد ان كان يدعوها « ايبيا » . ذكر صولون هذا في قصائده
فقال مخاطباً فيلوسيبروس :

بقي حكك أنت وخافاك في صولى سنوات عديدة مطمئنين سامين

أما أنا الذى سيدبى من كبي السريع عن هذه الجزيرة السعيدة

ففى جمى سيريس ذات التاج البنفسجى

لتجزنى الآلهة على بناء هذه « المدينة » شكراً عدا

وشهرة أعود بها الى وطنى .

يرى البعض تناقضاً فيما روى عند مقابلته مع كرازوس ويزعمون انه نخطأ ضد
التاريخ أما رأى انافان حادثته شهيرة تؤيدها شهادات الكثيرين وهي اشبه باخلاق
صولون حقيقة بما طبع عليه من نظمة نفسية وحكمة مما لا يجوز رفضه بحجة عدم
اتفاقها مع هذا الجدول التاريخى اوذاك . متى عرفنا ان الوفا من العلماء بدلوا ولا
يزالون يبدلون حتى اليوم هذه الجداول التاريخية ولم يصلوا بعد الى التوفيق بين
متناقضاتها . أما الحادثة فهى : ذهب صولون الى « سارد » بناء على دعوة
كرازوس فكان هناك أشبه بالرجل الذى رأى البحر لأول مرة؛ بحسب كل ما ضافه

١ اتلاتتيد ، جزيرة اوقارة ابتاعها المياها ولعابها غرقت فى البحر الاطلانطيقى
رواية مشهورة فى العصور القديمة . هل هى أميركا او جزائر فورتيق

من الانهار بجرأ ؛ كذلك صولون عند ما دخل أقسام القصر ورأى حاشية الملك
أكل في ثياب فخمة يحيط به الخدم والحرس فظن كلا منهم كرازيوس وأخير أوصل
الى الملك وكان هذا قد تحلى في ذلك اليوم بأعلى وأفخر جواهره وأتمن وأبهج ثيابه
متقلدا حلاه الذهبية متقنة الصنع ليظهر أمام صالون في أحلى وأبهى هندام . ولكن
صولون بالرغم مما كان يتوقعه الملك لم يبد عليه شيء من الدهشة ولا الاعجاب ،
وقد أدرك عليه أصحاب النظر احتقاره هذه الفخخة والصغار وحينئذ أمر كرازيوس
ان يطلعه على خزائنه وان يبسط أمامه جلال وفخامة ريشه ولكن صولون لم يكن
في حاجة لذلك ليحكم على كرازيوس . كفى أنه رآه . أعيد صولون الى حضرة
كرازيوس بعد ان شاهد كل شيء فسأله الملك هل يعرف أحدا أسعد منه حالا ؟
فأجابه صولون « نعم ذلك تللوس الاثيني تللوس الذى عاش رجل خبير وترك أبناء
محترمين من الجميع وبعد ان قضى حياته لا يعوزه شيء مات مجيدا وهو يدافع عن
وطنه » . فلم يركرازيوس فيمن لا يقيس السعادة بالذهب والفضة ويفضل حياة
وهوت رجل عامى على هذا الملك العظيم ، سوى رجل بليد جاف الطبع . على انه
سأله ثانية هل تعرف رجلا بعد تللوس أوفر حظا منه فأجابه صولون « عرفت
كايوبيس وبيتون وهما أخوان شديدا الحب لبعضهما ولا يقل حبهما والديتهما عن
حبهما لانفسهما . وحدث ذات يوم ان تأخرت الشيران فعلق الولدان النير في عنقهما
وجرا عربة والديتهما الى هيكل جينون فانشرح صدر الوالدة واقبل الناس بهنوثها
بان لها أولادا كهؤلاء ولكن الاخوين بعد التقدمة والوليمة ذهب ايناما فناما ولكنهما
لم يستيقظا في الغد اذ ماتا ميتة هادئة لا ألم فيها »

فرغ صبر كرازيوس وصاح ماذا ! ألا تحسبنى بين السعداء ؟ فأجابه ولم يرد
ان يلقه ولا أن يزيد غضباً « ياملك الليين ! لقد رزقتنا الالهة نحن الاغريق
من كل شيء مقداراً وسطاً لاسيما حكمتنا فانها ثابتة ساذجة أى عامية ليس فيها
شيء ملكي وجليل ، وميزتها هي هذه الحالة الوسط وهذه الحكمة التى ترينا

حياة الانسان عرضة دائماً للقلق والاضطرابات لا تسمح لنا أن نرهي بما نملك من عقار ولا أن نعجب في سوانا برفاهة يزيلها الدهر ، فما من رجل لا يرميه المستقبل بألوف من الحوادث لم تخطر له على بال . فمن جماعات الالهة حياته كلها حتى النهاية متاع سعادة فهو حقيق في نظرنا بأن يعد سعيداً . اما الانسان الذي لا يزال على قيد الحياة عرضة لجميع مخاطرها فلا يمكن أن نضمن له سعادته لبعدها عن مقدور دإكليل النصر عن لا يزال في حلية السباق »

أحزنت هذه الكلمات كرازيوس ولكنها لم تصلح شيئاً من خلقه وأنسحب صولون .

كان « ايزوب » مؤلف القصص الخرافية حين ذاك في سارد حيث استقدمه كرازيوس وأكرمه . ساءه ما لقي صولون من عدم الرعاية فقال له ناصحاً « يا صولون اما أن لا تقترب من الملوك أو أن لا تقول لهم غير ما يرضى » فقال « الاولى أن تقول لا تبرهم أو لا تقل لهم غير ما يفيد »

أما كرازيوس فأنطوى على احتقار بغيبص لصولون ولكنها عندما قهره « سيروس » واستولى على سارد وأمر بحرقه حيا وحيء به موثق اليدين أمام النار في حضرة « سيروس » ورجال الفرس . رفع كرازيوس صوته وصاح بكل قواه « صولون ! » دهش سيروس وأرسل يستعلم عن ذلك الانسان أو الاله المدعو صولون الذي استغاث به في أشد محنة . لم يخف كرازيوس الحقيقة فقال « انه احد حكماء اليونان استقدمته للاستماع اليه ولا لاتعلم منه ما كنت في حاجة الى تعلمه بل ليشهد عظمتي ويشيد بسعادتي في جميع أنحاء اليونان ، تلك السعادة التي اجتلب على ضياعها من الالم ما لم يستطع وجودها ان يذيقني من السرور . ولم أكن اتزوق حين ذاك سوى سعادة وهمية ولكن انقلاب القدر القوي بي في مصائب محسوسة حقيقية لاشفاء منها . تفياً بذلك لما رأي عليه ، مما اتألم منه الآن . وانذرتني بوجوب الاهتمام لنهاية عمري والا

استرسل مع هوى الكبرياء وألا أثق بهذه السعادة المزعزعة ،
ولما نقل هذا الجواب الى سيروس وكان أوفر حكمة من كرازبوس
ورأى بعينه كلمات صولون محققة لم يكتف باطلاق سراح كرازبوس بل
أحسن معاملته طول حياته فكان من فخر صولون ان اقد حياة ملك ونصح
آخر نصيحة حكيمة بمباراة واحدة

على أن غياب صولون أعاد اثينا الى ما كانت عليه من الفتن . اجتمع
سكان السهل تحت قيادة ليكور جوس ، وسكان الساحل تحت قيادة ماجكاسن
بن الكيميون وسكان الجبل تحت قيادة بيزستراتس وانضم الى هؤلاء أخلاط
المرتزقة أعداء الاغنياء . حقيقة إن المدينة كانت لاتزال سائرة على شرائع
صولون ولكن الجميع كانوا يتوقعون ثروة ويتوقفون الى حكومة جديدة وليس
ذلك لان حزبا من هذه الاحزاب يريد إقامة العدل بل لان كلامها كان
يأمل الاستفادة من التغيير والتمكن من السيادة وحده على الآخرين . هذه حالة
اثينا عند عودة صولون اليها . استقبله الجميع باحترام وكرامه . واذا كانت سنة
لم تعد تسمح له بالعمل والخطابة بين الجمهور فكان يجتمع بالزعماء ويوفق ما بينهم
ويصاح ذات بينهم جهد المستطاع وكان بيزاسترس أدنى الى رضا صولون لما
كان في كلامه بما يغري ويمطف ، وكان عوناً للفقراء لطيفاً ومعتدلاً نحو أعدائه
وكان يجيد تقاليد ما حرمته الطبيعة من الخلال ، بحيث يظنها الناس اعاق بقلبه
من فطروا عليها لذلك اشتهر بالحشمة والرزانة والغيرة على العدل والمساواة ،
عدول كل من يريد تعديلاً أو تصبوا نفسه الى ثروة . وكان هذا المظهر المتكاف
يكبر شأنه بين الشعب ولكن صولون عرف حقيقته وتبين أغراضه فلم يقطع
صلته معه بل حاول تدميث اخلاقه ورده بنصائحه وكان يقول له وللآخرين « لو
أمكن أن تنتزع من نفسه هذه المطامع الكبيرة وشفأؤه من شهوة الحكم
المطلق لما كان في اثينا رجل أليق منه بالفضيلة ولا أوفى منه ووطنية »

وفي ذلك الوقت « كان تيسبيس » قد غير نظام المآسى (الروايات) وكانت جدة المشهد تجتذب الناس ؛ ولم تكن مسابقة الشعراء لاكتساب الجوائز قد نظمت بعد . كان صولون وهو بطبيعة طاعة وقد مال في شيخوخته الى التلهي واللعب والولائم الرسمية والموسيقى فذهب لسماح « تيسبيس » الذي كان يمثل كشعراء ذلك الزمن رواياته بنفسه فدعاها بعد نهاية الرواية وسأله ألا يجمل من حكاية أكاذيب جسيمة كهذه امام الجمهور فنال تيسبيس لابس ولا ضرر من كلامه وعمله . اناها (الروايات) لعب . فقال صولون وهو يضرب الأرض بعصاه « نعم ولكن اذا كنا نقالم ويحتمل اللعب أو نستصوبه فانا نجد الحقيقة في اعمالنا الجديدة .

حدث بعد ذلك ان جرح بيزستراتس نفسه وأمر فحمل الى الساحة العمومية حيث أثار الجمهور بابلاغه ان اعدائه هم الذين غدروا به عقابا له عما أداه من الخدم للجمهورية . ويديما الشعب كان يعلن استيائه بصرخات متوالية . دنا صولون من بيزستراتس وقال له « يا ابن هيبوكرات ! انت لا تحسن تمثيل عولس (في قصائد هو . ميروس) جرح نفسه ليخدع اعدائه وأنت تجرح نفسك انخدع مواطنيك »

وقد استعد الشعب للقتال تمضيذاً لبيزستراتس فعقد جلسة عمومية اقترح فيها « اريستون » ان يعطى بيزستراتس خمسون رجلا لحماية شخصية ولكن صولون عارض هذا الاقتراح بكل شدة ولا يزال شىء من خطبته هذه في قصائده

« انكم لاترون سوى لسان وكلمات رجل محتال

يمشى كل منكم في مصالحه مشية الثعالب :

ولكنكم هتى اجتمعتم صرتم قطيعا غيبيا .

واذا رأى الفقراء ينضمون الى بيزستراتس في ثورة وهياج ورأى الاغنياء

يهربون وجلا انسحب هو أيضاً وهو يقول « أنى أعتل من الفقراء الذين لم يروا خديعة بيزيتراتس وأجراً من الأغنياء الذين رأوا الخديعة ولكنهم لم يجسروا على مقاومة الظلم »

ولما وافق الشعب على ذلك القرار لم يغن صولون بمضايقة بيزيتراتس في عدد رجال الحرس الذين يعطون له وتركه يأخذ منهم من شاء على ان يدافع أجروهم وانتهى الامر بيزيتراتس ان استولى على القلعة .

انتهمز ميچا كاس فرصة الاضطراب الذى أحدثه هذا المشروع فانسرع بالهرب هو والالكيمونيدون . أما صولون فبارغم من شيخوخته وبالرغم من عزلته فتمت تقدم الى الساحة العمومية ووبخ الاثينيين على سوء تصرفهم ونذالتهم وحثوا على ان لا يخونوا الحرية . وفي هذا الموقف قال بكلمته المشهورة « كان من السهل قتل الاستبداد فى مهده اما وقد استفحل أمره فمن العظمة والمجد ان يقضى عليه »

ولما رأى أن الخوف استولى على الجميع وانه ليس من أحد يصفى اليه رجع الى بيته وأخذ أسلحته ووضعها فى الطريق أمام بابه وهو يقول « لقد دافعت جهدى عن الوطن وشرائعه » وعاش من ذاك الحين مطمئناً . وقد نصح له أصدقاؤه ان يهرب فلم يصنع لنصائحهم . ثم أخذ ينظم القصائد يعدد بها أخطاء الاثينيين

لئن عاينتم الشقاء لندالتكم

فلا تلوموا الآلهة فى مصائبكم

أنتم الذين أكبرتم شأن أولئك الرجال بما قدمتم لهم من عضد

وهذا سبب ما بالقانون من استعباد مخجل .

على ان الناس لم يكفوا عن تحذيره من أن الطاغية قد تنته . وسئل يوماً

علام يعتمد فى جرأته فاجابهم « على شيخوختى » . فكانوا مخطفين ذلك أنه

مذ صار بيترستراتس السيد المطلق في أثينا لم يقصر في احترام ورعاية صولون وكثيراً ما كان يستدعيه اليه حتى صار مستشاره وكثيراً كان يستصوب بعض أعماله . والواقع ان بيترستراتس كان يقيم جميع شرائع صولون يبدأ بتطبيقها على نفسه ويخضع لها وأصحابه طائعين أو غير طائعين . اتهم مرة بالقتل فمثل أمام مجلس القضاة وتقدم في تواضع مع انه الحاكم المطلق لتبرئة نفسه . ولكن المدعى استرد شكواه . وقد وضع من عندياته بعض الشرائع منها القانون الخاص بتغذية مقعدى الحرب على حساب الدولة . ولكن هيراكليد يقول ان صولون أصدر مرسوماً كهذا بشأن تيرسييد عند ماجرح ولم يكن بيترستراتس سوى مقلد له في ذلك . ويعزو تيوفراست قانون ضد العاطلين الى بيترستراتس لا الى صولون . ذلك القانون الذى أعان على الاشغال بالزراعة واسعاد حال أثينا

ثم شرع صول في نظم قصة الاطالانطيد التى رواها له حكماء سائس (صان الحجر) وكان الاغريق يهتمون بها . ولكنه عدل عن ذلك لا كما قال أفلاطون للاشتغال بغيرها بل لكبر سنه لانه كان يميل للراحة كما قال عن نفسه « كبرت وأنا أستريد من العلم » ثم قوله « ان ما أحبه الآن هو عطايا سيبريس وباخوس والهة الشعر

هذه هي العطايا التى تجعل الانسان سعيداً »

وضع أفلاطون يده على موضوع الاطالانطيد كأنه أرض جيدة مهجورة آلت اليه بحق الارث (١) . ورأى من الشرف ان يتعمه وان يجمل به . فهدله بمقدمة فخمة ؛ وأحاطه بسياج فسيح لم يسبق ان عرف مثله في حكاية أوقصيدة . ولكن الموت عاجله فمات ولم ينجزها فعلى قدر مايسر الانسان بمطالعة ما كتب منها يكون حزنه على ما لم يكتب . لم يبق غير كامل في أثينا سوى هيكل جو بتير الاولبي كذلك لم يبق دون الكمال من مؤلفات أفلاطون سوى قصة الاطالانطيد

قال هيراكليد ان صولون عاش طويلا بعد اغتصاب ينيستراتس الحكم
ولكن فانياس الايريزي يقول انه لم تمض عليه سنتان ، لان اعتداء ينيستراتس
على الحكم وقع في عهد الحاكم كوميياس وقد توفي صولون حسب أقوال فانياس
في عهد الحاكم هيجسترات خلف كوميياس . اما القول بان رماد جثة صولون ذرى
في مهب رياح جزيرة سالامين فمن أسخف وأكذب الاقوال ولو انه ورد في
مؤلفات بعض من يوثق بهم حتى الفيلسوف ارسطو .

بو بليكو لا

بلغ أوج مجده سنة ٥٠٩ ق . م .

تقد عرفت صولون وسنقابل بينه وبين بو بليكو لا (١) وقد منحه الشعب الروماني هذا اللقب الشريف وكان اسمه قبلا بو بليوس فالاريوس والمعروف انه من سلالة فالاريوس الذي أصلح فيما مضى ذات البين بين الرومانيين والنسايين وجعلهما شعباً واحداً . لانه هو الذي حمل الملكين على الاجتماع وعقد الصلح . هذه أسرة فالاريوس على مارواه الرايون وقد امتاز في الزمن الذي كانت فيه روما تحت حكم الملوك بفصاحته وثروته استخدم الخلة الاولى بحق وصراحة للدفاع عن العدالة واستخدم الثانية بسخاء وعطف لمساعدة المحتاجين لذلك رأى للناس من أول عهده انه اذا كانت الحكومة قد صارت شعبية فلنا لاريوس الفضل الاول في ذلك .

لم يصل تاركان (لاسويرب) (المعخم) الى الملكية بطريق شريف بل داس الشرائع السماوية والانسانية ولم يستعمل سلطته الملكية بما يليق بالملوك من الاعتدال بل استعمل العنف والاستبداد فاستفظمه الشعب ولم يبق له صبر على احتماله ثم جاءت حادثة موت لوكريس فكانت سببا لثورة عامة . ذلك ان لوكريس لما رأت ان شرفها قد امتهن قتلت نفسها بيدها . رأى لوسيوس بروتوس ان يغير شكل الحكومة وأفضى بذلك الى فالاريوس فوجد فيه عضداً قويا . وقد تمكن باتحاده معه من طرد الملوك . لزم فالاريوس الحيدة عند ما كان المظنون ان الرومانيين سيعينون بدلا من الملك ، قائداً وحيداً ، اعتقاداً منه ان الحكم يرجع بمقتضى العدل الى بروتوس بصفته أول من أوجد الحرية ولكن الشعب كان قد

كوه كلمة « ملك » ومال الى الرغبة في تقسيم الحكم وطلب تعيين اثنين فوهم
فالاريوس انه سيكون شريك بروتوس ولكنه خدع في وهمه . لان بروتوس
بالرغم من ارادته اضطر لقبول تاركان كوبلاتان زوج لوكريس بدلا من فالاريوس ؛
لان ذلك أكثر جدارة من هذا بل لان رؤساء المدينة خشوا حيل الملوك وما
يدبرون من وسائل لاستئالة الشعب فارادوا رئيساً يكون من الأعداء الملوك
لا يثنيه شيء

استاء فالاريوس لان الشعب لم يعتقد انه قادر ان يعمل كل شيء لمصلحة
وطنه لانه لم يصب شخصا بأذى من الملوك ، فامتنع من الذهاب الى مجلس
الشيوخ وعدل عن مهنة المحاماة وانسحب كلية من أعمال الحكومة . قلق الشعب
وخشى ان يحمله استيائه الى المؤامرة مع الملوك فيطلب الجمهورية التي لم تثبت
دعائها بعد . ولكن عند ما اقترح بروتوس الذي كان يخشى اناسا غير فالاريوس
على المجلس حلف اليمين على الضحايا وعين يوما للحلف . نزل فالاريوس الى
الساحة العمومية بنفس راضية وكان أول من أقسم انه ان يصفح وان يسلم الى
تاركان بل انه بالعكس من ذلك يضاربه بكل ما في وسعه دفاعا عن الحرية . بذلك
سر المجلس وشجع القناصل ثم جاءت أعماله بعد ذلك مؤيدة لذلك القسم . أرسل
تاركان الى روما رسلا تحمل رسائل كبا تفاق ومداهنة للشعب تعرض مطالب
متواضعة جدا مفرغة في أسلوب يجتذب الجماهير — قائلا ان الملك قد تجرد من
كبريائه ولا يطلب سوى مطالب معتدلة وقد قبل القناصل ان يخاطب أولئك
الرسل الشعب . ولكن فالاريوس عارض ذلك قائلا . لا يجب ان تعطى اناس
فقراء يخشون الحرب أكثر مما يخشون الظلم فرصة وأسباب للانتفاض .

حدث بعد ذلك بقليل ان صرح رسل جدد من قبل تاركان بأنه عدل عن
الرغبة في الملكية وانقطع عن محاربة الرومانيين وانه لا يريد سوى ان ترد اليه
أمواله وأهله ولاأهله وصحبه ليمتكنوا من العيش في منقاهم . وكان أغلب

اعضاء مجلس الشيوخ ميالين الى منحة ماأراد . وقد عضد كولاتن طلبه بنوع خاص . ولكن بروتوس وهو رجل صلب العود لا يبقى غضبه على شيء أسرع الى الساحة العمومية ودعا زميله خائنا يريد ان يقدم لآل تاركان الوسائل التي تمكنهم من موالاة الحرب واقامة الظلم والاستبداد . أولئك الذين لا يستحقون ان يعطوا ما يحتاجون اليه للعيش في منفاهم . اجتمع الوطنيون ونهض من بينهم كايوس مينيسيوس وحث بروتوس والرومانيين على عمل مامن شأنه استخدام هذه الاموال لمحاربة المستبدين لا ان يستخدمها المستبدون لمحاربتهم هم (الرومانين) ولكن الرومانيين قرروا مع ذلك ماياتي : بما انهم ينعمون بالحرية التي شرعوا السيوف من أجلها فلا يجب ان نجعل الاموال عقبة في سبيل السلام بل ابعادها خارج روما هي المستبدين . على ان الاموال لم تكن غرض تاركان ولم يقصد بطلبه سوى سهرغور الشعب وتدبير مؤامرة ، والحقيقة ان المؤامرة هي الغاية التي كان يعمل لها رسله وما كانت أموال الملك سوى وسيلة يتدعون بها لاطالة مدة اقامتهم في روما . يعملون متمهين تارة في بيع هذا وأخرى في صيانة ذلك وترحيل غيره وبلايجاز كان لهم من الوقت ما مكنتهم من اغواء اثنتين من أسرى روما الكبرى ذات المقام الاول . الاولى أسرة اكيابيوس ومنها ثلاثة شيوخ والثانية أسرة فيتاليوس ولها في مجلس الشيوخ شيخان وكان لهؤلاء صلة قرابة مع بروتوس لانه زوج أختهم وله منها أولاد عدة .

كان ابروتوس ، ولدان في ريعان الصبا تمكن آل فيتاليوس وهم أقاربه واصدقؤه من استهواهم فانضما الى المؤامرة منجذبين اليها بان يكون لهما عهد مع آل تاركان وهي اسرة كبيرة يجددن معها ما يرضى رغباتهم ارضاء ملكيا ويتخلصون من سيطرة والدقاس بليد . وكانوا يدعون شدته على الاشرار قسوة وكانوا يدعون ما كان يتظاهر به من الاستكانة حرصاً على الطمأنينة واتقاء شر المستبدين في بلاده ؛ على أنه لم يأت أن يطلق على نفسه هذا اللقب

(لأن كلمة بروتوس معناها في الحقيقة جامد بليد) ولما انضم هذان الشابان الى المتآمرين اتفقا مع آل اكيلوس . تعاهد المتآمرون فيما بينهم بقسم خطير . فقد شربوا دماء رجل ذبحوه واضعين أيديهم على الاحشاء وكان اجتماعهم في منزل اكيلوس وكان المنزل الذي جرت فيه هذه المأساة يليق بها لابتعاده ، ولما كان يخيم عليه من ظلام ولم يلاحظوا أن عبداً يدعى فاندسيوس كان مختبئاً هناك . ولم يكن اختبائه عن رغبة في المراقبة ولا انه كان يتوقع حدوث شيء مما قصدوا له ، ولكنه كان في البيت صدفة ورأى المتآمرين يدخلون اليه دفعة واحدة فلم يجسر على الظهور فاختم خلف خزانة كبيرة فشهد كل ما عملوا وسمع كل ما قالوا فتقرر في الجلسة قتل القنصلين وكتبوا الى تاركان رسائل تعلمه بجميع خططهم وسلموها الى الرسل لان ذلك المنزل كان مسكنهم لانهم كانوا ضيوف اكيلوس وقد حضروا الاجتماع .

لما انتهت الامر وانصرف المأمرون خرج « فاندسيوس » من المنزل خفية لا يدري ما يعمل بما أهده الصدقة الى اكتشافه . ساورته الافكار واختلط عليه الامر . رأى في الافضاء الى بروتوس بخيانة أيده والى كولاتان بخيانة اقاربه خطراً وأى خطر . ثم انه لم يرنى رومار جلا يمكن أن يعهد اليه هذا السر على أنه لم يستطع كتمان هذا الحادث . وأخيراً اشتد عليه وخز ضميره فاسرع الى فالاريوس حمله على ذلك ما يعرفه عنه من الدعة والانسانية وسهولة استقباله كل انسان حتى الوضعاء اذ كان بيته مفتوحاً على الدوام لا يترفع عن الاهتمام بشئون الآخرين والعناية بمحاجاتهم قابله فاندسيوس وروى له أمام زوجته وأخيه ماركوس فالاريوس كل ما شاهده وسمعه . استوتت الدهشة والرعب على فالاريوس فاعتقل العبد وحبسه في غرفة وترك حراسة باب البيت الى زوجته وعهد الى أخيه أن يحاصر قصر الملك بحيث يضبط الرسائل وأن تبقى الخدم تحت حراسة شديدة . اما هو فذهب في جماعة من عملائه

وأصحابه الذين لم يكونوا يفارقونه وأخذ معه خدمه العديدين وقصد الجميع منزل آل اكيلوس فلم يجدهم هناك واذ لم يكن أحد في انتظاره دخل المنزل بلا عائق ووجد الرسائل في مسكن رسل الملك ولكن آل اكيلوس أسردوا اليه وهو لا يزال في المنزل ووقع بينهم شجار عند الباب حاولوا فيه استرداد الرسائل ولكن فالاريوس ورجاله قوهوهم مقاومه عنيفة ولفوا ثيابهم حول أعناقهم واجتازوهم الطرق دافعين مدافعين إلى أن وصلوا بشقة الى الساحة العمومية ولم يكن ماركوس فالاريوس أقل توفيقاً في قصر الملك ، فقد استولى على رسائل أخرى مرسلة مع أشياء أخرى وساق الى الساحة العمومية أيضا جميع رجال الملك الذين استطاعوا القبض عليهم .

ولما تمكن القناصل من نهضة الخال استدعى فالاريوس من منزله فندسيوس وأخذ في التحقيق . تلقت رسائل المتآمرين فلم يجرأ احدهم على البت بكلمة وكان الجميع خافض الابصار في صمت عميق وقد ارتأى البعض بحاملة ابروتوس ان يكتبني بالنفي وكانت دموع كولانان وصمت فالاريوس قد بعث الى نفوس المتآمرين شيئاً من الامل ولكن بروتوس نادى ابناؤه كل باسمه انت يا تيتوس وانت يا فالاريوس لماذا لا تجيبا على هذا الاتهام ؟ ناداهما ثلاثاً وهما صامتين . وحينئذ التفت بروتوس الى الجالاد . الآن عليك ان تنفذ ما بقى . اخذ الجالاد الشابين ونزع عنهما ثيابهما وشد وثاق ايديهما الى ظهرهما وهزق جلدهما بالسياط فلم يستطع احد أن يتجملد امام هذا المشهد الصارم . بروتوس وحده بقيت له شجاعته ويقال انه لم يحول نظره دقيقة ولم يكن للشققة اى اثر على الغضب والصرامة اللتين كانتا مرسمتين على وجهه . شاهد بروتوس التنكيل بابناؤه بعين وحشية الى أن القى على الارض وسقطت رأسها تحت ضربات المضربة وحينئذ ترك لزميله معاينة الآخرين ونهض من كرسيه وانسحب

ان عمل بروتوس على ما هو لا يكفي فيه الاطراء ولا تكفى فيه المؤاخذة فهو اما عن فضيلة سامية ترفعه عن المؤثرات الانسانية أو عن شهوة متطرفة نزلت به الى عدم الشعور فكلاهما غريب جداً ليس من طبيعة الانسان الاول من طباع الآلهة والآخر من طباع الضواري على ان العدل يقضى ان نعتدل في حكمنا على محمد بروتوس لا أن نشك في فضيلته لما فينا من ضعف . ان الرومانيون يعتقدون اعتقاداً أكيداً أن رومو نوس لم يلق في تأسيس روما من العناء ما لقيه بروتوس في نصرة الحرية وتوطيد دعائمها

ولما انسحبوا الجرم الرعب والدهشة السنة الجماعة وكان الصمت رهيباً كئيباً ولكن تراخي وتواني كولاتان شجع آل اكياموس فطالبوا أن يفسح لهم في الوقت للدفاع عن انفسهم وان يسلم اليهم فندسيوس عبدهم ولا يبقى بين ايدي المتهمين (المدعين) مال كولاتان الى اجابة طلبهم واراد فض الجمعية ولكن فالاريوس أعلن انه لا يسلم فندسيوس الذي اختلط بين اتباعه وانه لا يحتمل ان ينصرف الشعب فيمنجوا الخائفون . ثم وضع هو بنفسه يده عليهم ؛ ودعى بروتوس لمعاوته وندد بسوء تصرف كولاتان في الوقت الذي اوجب فيه بروتوس على نفسه قتل ابنائه ، مال كولاتان ارضاء للنساء لافلات الخائفين واعداء الوطن من يد العقاب — مل القنصل هذه المقاومة فأمر الجلادين للقبض على فندسيوس ففرقوا الجمهور وقبضوا عليه وضربوا الذين حاولوا انتزاعه من ايديهم ولكن أصحاب فالاريوس قاموا بالدفاع عن العبد وصاح الشعب طالباً بروتوس ، عاد بروتوس الى الساحة فاستولى على الجميع عند ظهوره سكون شامل فقال : لقد كنت بنفسى كافياً لحماكة ابنائى وتركت المتهمين الآخرين لحكم الشعب فعليه أن يبدي رأيه فليتكلم كل انسان و يقترح ما يشاء . فعلمت هذه الكلمات فعلها وأخذت الاصوات وكان الحكم بالاجماع قطع رؤوس المتهمين . اصبح كولاتان موضع شبهة لقرابة لاسرذ الملك واصبح اسمه بغيضاً لما احده

تار كان من الاستياء العام واذ رأى ما حدث وان الشعب يضر له البغضاء استقال من القنصلية وأبتعد عن روما — جرى الانتخاب العام وكان فالاريوس بالاجماع قنصلا جزاء حق اغيرته ونخوته فرأى من العدل ان يشرك معه في الخير فندسيوس فاعتقه ومنحه بقرار من الشعب صفة الوطني مع حق الانتخاب في القبيلة التي يريد لها فكان أول معتوق تمتع بهذه المنحة وحدث بعد ذلك بزمن طويل ان ايوس استجابا لرضاء الجمهور منح جميع المعتقين حق الانتخاب ولا يزال التحرير التام يدعى حتى اليوم « فندكتنا » كلمة مشتقة من فندشيوس نهبته وسلبت أموال واملاك الملوك وهدم قصرهم وكان لآل تاركان احسن جانب من جوانب حقل مارس . خصص لذلك الاله . كان المحصول محصولا والحزم ملقاة في الساحة وكان المعتقد انه لا يجوز دخن تلك الغلال ولا الاستفادة منها فاخذ الجمهور يلقى بها وبالشجار التي اقتلعها الى نهر التيبر ليترك للآله الارض عارية لازرع فيها . قذف التيار هذه المواد وكدها على بعضها ولم يبعد بها بعيدا رسيت القذيفة الاولى واحتجزت التالية فتماسكت وتصلبت بحيث صارت قطعة صلبة ثابتة . التسمت هذه الرقعة وازدادت متانة بما كان يحمله التيار من الطمي ولم تكن الامواج لتفرق بين اجزائها بل كانت بالعكس من ذلك تزيدها تماسكا واحكاما ورسوها يوما بعد يوم — اخذت هذه البقعة في الاتساع والمتانة بما كانت تجترقة امواج نهر التيبر من الاجسام الغريبة ، وتعرف اليوم في روما بالجزيرة المقدسة . انشئت عليها المعابد والمنزهات واطلق عليها اسم بين الجسرين . وجاء في رواية اخرى ان هذه الجزيرة لم تنشأ حين تكريس حقل تاركان بل نشأت بعد ذلك بزمن بعيد عند ما كرس تاركنيا للاله مارس حقل ملاصقا للحقل فاركان . وتاركنيا هذه كانت كاهنة (فستال) اكسبها كرمها امتيازات مشرفة منها قبول شهادتها في القضاء وهو حق لم تنله غيرها من النساء وابيح لها الزواج ولكنها لم تستخدم هذا الحق . هذا ما يقال في الرواية الاخيرة

يئس تاركان من استرداد الملك بالدسيمة والمؤامرة فاجأ الى الاترسكيين فتحمسوا له واهتموا بشأته وساروا به الى روما في جيش عرمرم فزع القنصلان لملاقته على رأس الرومانيين واصطف الجيشان للقتال في مكانين مقدسين . يعرف احدهما باسم « بوكيج » . أوى ارسيا والآخر مرج ازوفيان وما كاد يبدأ القتال حتى تلاقى ارونس بن تاركان والقنصل الروماني بروتوس ولم يكن تلاقيهما صدفة بل كانا مدفوعين بعوامل الحقد والبغض — احدهما يطلب المستبد عدو الوطن والآخر يريد الانتقام لنفسه من النفي . دفع كل منهما جواده نحو الآخر في سورة غضب لاحذر معها ولم يفكر احد منهما في وقاية نفسه ولذلك سقط كلاهما في حومة الوغى . ولم تكن المعركة التي تلت هذه الفاتحة أقل فظاعة اذ كان الفتك في الجانبين ذريعا ولم يفرق بين الجيشين الا عاصمة هوجاء اضطرت الامر على فالاريوس ولم يدرك ان كان النصر . رأى جنده قد فتت الخسائر في عضوهم من جهة ولكنهم من جهة أخرى مطمئنين لما انزوا بالعدو من الخسائر . وذلك لكثرة عدد القتلى وتساوى الخسائر في الجانبين واذ كان كل من النريقين على يقين من خسائره ولا يعرف خسائر عنوه الاتخمينا كان ادنى الى الاعتقاد بانه المغلوب على امره من الى الاعتقاد انه الغالب — ارخى الليل سدوله لا يصعب على احدهما يتصور كيف قضاوا ليالتهم بعد تلك المعركة الخفيفة مال الجيشان الى الراحة ويقال انه حدث هزة في الغابة المقدسة وخرج منها صوت هائل يبان انه قتل الاترسكيين يزيدون واحدا عن قتلى الرومانيين وكان هذا صوت آله ولا شك لأن الرومانيين استعادوا شجاعتهم فجأة . الأوا المسكر بصيحات الفرح أما الاترسكيون فقد استولى عليهم الفزع والاضطرب فتركوا ساحة القتال وتفرقوا هنا وهناك ولم يبق منهم سوى خمسة الاف تتريبا يقاومون هجمات الرومانيين فأسروا جميعا وسلب معسكرهم . أحصى الرومانيون القتلى فكانت خسائر الاترسكيين ٣٠٠ ر ١١ وقتلى الرومانيين اقل من هذا العدد واحد

يقال إن هذه الموقعة حدثت عشية أول شهر مارس وكان النصر لفالاريوس
 وأنه أول قنصل دخل روما على عربة تجرها أربعة من الجياد وكانت النظارة
 تشهد هذه الآية وهذا الجلال بلا حسد ولا استياء بالرغم من قول بعض الكتاب
 من أن هذا النصر لم يكن مدعاة للتنافس أو مثلاً يحتذى وأن السعادة لم تجر
 بذلك عدة سنوات .

ولقد سر الناس مما قام به فالاريوس من تكريم زبيله أثناء وبعد الجنازة
 التي القاها والتي سر بها الشعب غاية السرور وكانت ابتكاراً جرى الناس عليه
 فكان اذا مات عظيم قام احد رجال الخير برثائه وتقدير حسناته . ويقال إن
 هذه الميثية سابقة لكل ماجرى من نوعها عند اليونانيين ولكن الفضل في
 هذه العادة يرجع الى صولون الذي كان يقوم بتكريم الموتى على رواية
 الخطيب أنا كزيمين

حدث بعد ذلك ان فالاريوس اصبح موضع استياء وريبة . ان بروتوس
 الذي يعتبره الشعب ابا الحزبية اشترك معه قنصلين مرتين « اما فالاريوس
 فإنه استأثر بالسلطة ، أنه ليس وريث قنصلية بروتوس وان ذلك ليس اشبه
 به انما هذا اشبه بتاركان ماذا يهمني انه يطرى بروتوس كلاماً يقتدى بتاركان
 عملياً ؟؟ الا انه يمشى وحده يحيط به حملة مشاعل والمطارق اذا خرج من
 بيته وهو بيت أكثر فخامة من قصر الملك الذي هدمه بيده ؟ » والحقيقة أنه
 كان يسكن قصرأ فخماً جداً قائماً على جبل يدعى « فاليا » يدل على الفوروم
 « الساحة العمومية » ولا شيء يحجب النظر في ذلك الارتفاع الشاهق . على
 ان الصعود اليه كان صعب المرتقى وكان مالاريوس اذا نزل من قصره في حاشيته
 مشى مشية جلييلة تشعر بنخفة الملوك وكان يظهر انه من حسن حظ الرجال
 الذين يتولون الشؤون العامة ان يفتحوا اذانهم لافعال الصراحة والحقيقة أكثر من
 خطب الملقين . علم من أصحابه استياء الشعب فبدل أن يجادل في

الامر. أو يغضب دعا جماعة من العمال قبيل الصباح وهدم قصره حتى أساسه فلما طاع النهار ورأى الرومانيون هذا المشهد اعجبوا لعظمة نفس فالاريوس ولكيهم حزنوا لضيق القصر ، حزنوا لان الحسد أباد عظمة وجلالا . حزنوا لذلك حزنهم على انسان نفذ فيه حكم الاعدام ظلما . وقد خجلوا اذ رأوا القنصل يمكن كرجل بلا مدفاء ولا مسكن في منزل مستعار . ذلك أن اصحاب فالاريوس آووه الى منازلهم حتى صرح له الشعب بقطعة ارض بنى عليها منزلا أقل أهمية من الاول . وهو في المسكن الذي يعرف الآن باسم « فيكابوتا » (١)

لم يقصد فالاريوس ان يحبب الى الناس شخصه فقط بل قصد أنه يحبب اليهم سلطة القنصلية التي كانت موضع ريب في نظر الجميع فمنع من الشارات الفئوس وكان كلما ذهب الى الجمعية العمومية خفض الشارات ذاتها وأحناها أمام الشعب وبذلك كان يعان اعترافه واحترامه لسيادة الشعب ولا تزال هذه العادة جارية حتى اليوم . ولم ير الجمهور ان فالاريوس يضع بهذا الاعتدال من قدر نفسه بل اعتقد أنه أصبح بمنأى عن الحسد وانه يزيد من سلطته الشخصية بما يقدر في الظاهر من امتيازات الحكم والواقع أن الشعب كان يخضع له راضياً مسروراً . ويقدم له الطاعة عن طيب خاطر فدعا الشعب « بوليكولا » أي محترم الشعب وصار هذا لقباً اشتهر به عن اسمه القديم وبهذا الاسم سندعود فيما يلي من سيرة حياته . وأباح لكل انسان ان يتقدم لمقام القنصلية الخالي ولكن قبل انتخاب زميله الذي لا يدري من هو وقد يكون عن غيرة أو جهل حجر عثرة في سبيل مشروعاته عمد الى استخدام السلطة المطلقة التي كان يتمتع بها الى انجاز أجل وأفيد اغراضه بدءاً بتكملة مجلس الشيوخ الذي لم يبق من أعضائه الا قليل . فقد

١ اسم النصر المؤله ، مؤلف من كلمتين معناهما النصر والسيادة

ذهب الكثيرون ضحايا تاركين من قبل وسقط البعض في حومة القتال. ويقال إنه زاد على الموجود منهم مائة وأربعة وستين عضوا. ثم وضع جملة قوانين زادت في سلطة الشعب : منها القانون الذي يقضي بأن ترفع إلى الشعب الأحكام التي يصدرها القنصلان ثم قانون يقضي بالموت على من يتولى شأنًا من الشؤون العامة دون أن يعينه الشعب وجاء القانون الثالث خير عون للفقراء وهو الذي يعنى الوطنيين من كل ضريبة فنشط ميل كل انسان الى الفنون والصنائع ولم يكن ما سنه ضد الذين لا يطعمون القناصل أقل شهرة ولا مجلبة للرضا فانه جاء في مصلحة الفقراء أكثر منه لمصلحة الاغنياء . يعزم المخالف بخمسة ثيران وخروفين وثمان الخروف عشرة افلاس (جمع فلس) وثمان الثور مائة فلسا . لان النقود لم تكن كثيرة لدى الرومانيين في ذلك الوقت وكانت ثروتهم قطعان الماشية كبيرةا وصغيرها ولهذا اطلق على الثروة اسم بكيوليوم (الاموال بمعنى الماشية) أى النعاج . وان نقودهم مرسوم عليها الثور والنعجة أو الخنزير وانهم يسمون أبناءهم بهذه الاسماء .

كانت هذه القوانين مقبولة بالرضا وملاى بالاعتدال ولكنه تشدد في عقاب الجريمة شدة قاسية فقد سن قانونا يبيح قتل كل انسان يأمر للظلم والاستبداد بدون اجراءات قانونية ويكفل عدم غياب المتهم بشرط أنه يقدم البراهين على الخيانة لانه كان يعتقد انه من المحال على من يدير امرا كهذا ان يخفى غرضه عن جميع الناس . وقد يحدث انه بالرغم من اكتشاف أمره قد يتمكن من اغتيال الحكم قبل محاكمته لذلك منح كل وطنى يحول دون ذلك بقتل المجرم حكما لا يمكن اجراؤه اذا تمت للمجرم جريمته .

وقد لقي قانونه عن محصلى الاموال قبولا طيبا . كان الوطنيون مكافئين ان يدفعوا من أهوالهم اعانات للحرب فلم يرد ان يمس هو هذه الاموال أو يعهد بها الى أصحابه ولم يرد ان يضع أهوال الدولة فى بيت خاص فجعل الخزانة فى هيكل

ساتورن ولا يزال يستعمل بهذا الغرض وفرض الى الشعب اختيار محصين من بين الشبان فاختر يوليوس فاتوريوس وفاركوس مينوسوس فحصل اموالا طائلة وبلغ التعداد حينذاك مائة ثلاثين الف وبنى عدا اليتامى والأرامل المعفين من الضرائب وبعد ان استوفي هذه الاجراءات اتخذ زميلا له في القنصليه ؛ لوكريتيوس والدركريس . ونزله عن المقام الأول رعاية لسنه وترك له الشارات احترام لا يزالون يقدمونه للشيخوخة . مات لوكريتيوس فانتخب الشعب ماركوس هوراسيوس بدلا منه واستمر زميلا لبوليكولا بقية السنة

وبينما كان تاركان يعد في اتروريا حربا ثانية ضد الرومانيين حدثت على ما يقال معجزة غريبة كان تاركان اثناء حكمه بنى هيكلًا لجوبيتر في الكابتول ولما قارب الهيكل اتعاه رأى طاعة لوحى أو لحض ارداته ان يضع على القمة عربة من الطوب وعهد في صنعها الى فنانيين لاتروسكيين من فايين . حدث بعد ذلك ان انقلبت الملكية ولما فرغ الاترسكيون من صب القوالب وضعوا الطوب في الفرن ولكن بدل انه يجف ويتجمع بما يتبخر عنه من البلولة . كما يحدث عادة تحت تأثير النار انكشفت وصارت كتلة هائلة وبلغ من شدتها وصلابتها ان رفعت سقف الفرن وهدمت جدرانه ولم يتمكن الصناع من اخراجها الا بمشقة فظيمة وقال العرافون انه قل حسن وانه اشارة الى بقاء السيادة للشعب الذي بقيت له مهنة الطحن وبنى الفاييون ان يسلموا الى الرومانيين بناءً على طلبهم قائلين ان العربة ملك لتاركان لالذين طردوا تاركان . حدث بعد ذلك بايم انه جرى سباق عربات في فايين بما فيها من فخفة واجبة وبينما كان الفائز المتوج يسير بمركبته متمهلاً يخرج من الضمار زعرت الخيل بغير سبب منظور وبقوة خفية (الهية) أو هي صدفة محضنة وجهت نحو رومة نحو روما تجر سائقها وعبثا حاول توقيفها بيده وسوطه فلم يسهه سوى تركها لاندفاعها فاحتملته الى أسفل الكابتول فالقت به الخيل عند الباب الذي يدعوه الرومانيين اليوم (راتومين) زعر الفييون لهذا الحادث واستولى عليهم

الرعب فسمحوا للصناع ان يسلموا عربة الطوب

فذر تاركان القديم بن دامارات في حرب مع السايين بناء هيكل الجوبير الكابتولى ووفى تاركان الفخم ابنه أو حفيده ذلك النذر ولكنه لم يستطع القيام بحضلة تكريس أو اهداء الهيكل لانه طرد قبل تمامه ولما تم البناء وهى بدواعى الجلال اظهر بوبليكولا غيرة شديدة للقيام بتكريسه فقام كثيرون من اعيان روما فينازعونه هذا الامتياز (٥) لقد احتملوا بلا حزن كبير ما اصاب بحق من المجد لقوانينه وانتصاراته ولم يروا له حقا في نيل هذا الشرف الجديد فاغروا هوراسيوس ان يطالب بذلك

وقمت حرب اضطرت بوبليكولا الى الخروج من روما فعهد حساده إلى هو راسيوس فى القيام باهداء الهيكل واخذوه الى الكابتول لانهم يؤسوا بن حماله على ذلك بحضور بوبليكولا ويقال ان القنصلين اقتربا فيما بينهما فاصاب بوبليكولا قيادة الجيش واصاب هوراسيوس تدشين الهيكل ويمكن معرفة الحقيقة مما جرى اثناء الحملة • اجتمع الشعب فى الكابتول فى اعياد سبتمبر التى تقع عند استدارة قمر ماتاجيتنيون وكان الجمع فى صمت عميق و بعد ان ادى هوراسيوس الرسوم الاولية أمسك كالمعتاد باحد ابواب الهيكل وشرع يتلو الصلاة العلانية للتدشين وكان ماركوس شقيق بوبليكولا واقفا من زمن عند باب الهيكل ينتظر الوقت المناسب فقال : ايها القنصل ان ابنك مات مريضا فى المعسكر : فحزن الجميع لهذا النبأ ولكن هوراسيوس لم ينزعج له واكتفى بقوله « ارموا الجثة حيث شئتم أما أنا فلا لبس الحداد » واستمر فى صلاة التدشين وكان الخبر كذب ابتدعه ماركوس ليبعد هوراسيوس ولكن هوراسيوس اظهر ثباتا عجيبا قد يكون لمعرفته خدعة ماركوس فالاريوس أو انه اعتقد الخبر صحيحا ولكنه لم يعبأ به

وقد وقع هذا الحادث ذاته عند اهداء الهيكل الثانى ، بنى الهيكل الاول تاركان كما تقدم القول وقام بتدشينه هوراسيوس ولكنه احرق اثناء الحرب

الالهية — أعاد سيللا بناءه ولكن كاتولوس هو الذى قام بتدشينه لان الموت حال سيللا وهذا الشرف . هدم هذا الهيكل اثناء الفتنه التى وقعت فى عهد فيتانيوس . واعاد فيسباسيوس بناءه ولم يخنه حظه أيضاً فى هذا العمل . فقد اتى ولم يشهد تخريبه فكان حظه اسعد من حظ سيللا الذى مات ولم يستطع ان يدشن الهيكل الذى بناه — مات فيسباسيوس ولم ير احتراق هيكله فى الحريق الذى التهم الكابول كله بعد موته بقليل أما الهيكل الرابع القائم الآن فقد شيده دوميتيان ودشنه بنفسه

يقال إن تاركان انفق على تأسيس هيكله فقط أربعين الف رطل من الفضة اما الهيكل الحالى فجميع ثروة اغنى رجل فى روما لاتفى نفقات حلينه فقط فقد بلغت اثنى عشر الف ثالان وقد نحتت اعمدته فى محاجر بنتال وكانت عندما رأته فى اثينا اعمدة وقطار دائرتها على تناسق تام واسكنى عندما شاهدتها فى روما وجدتهم قد اعدوا نحت الاعمدة وصقلها وبذلك اضاعوا من روعتها وتناسبها . واضاعوا من جمالها بما احدثوا فيها ترقيق وما على من اراد ان يعجب بعظمة الكابول سوى أن يرى احد اروقة أو غرف قصد دوميتيان وحدها ان حماماته او مساكن محظياته تذكرنا كلمة ايشارم لذلك المسرف لست محسناً بل انت مريض والاعطاء سرور لك ، ويصح ايضاً أن نقول لدوميتيان : لست صالحاً ولا عظيماً . انت مصاب بمرض وهو حب البناء — تريد مثل ميداس الشهير ان كل شىء يتحول بين يديك الى ذهب ورنخام « وكفى بهذا افاضة فى هذا الموضوع

أما تاركان فانه بعد الموقعة الكبرى التى هلك فيها ابنه ارونس فى قتاله مع بروتوس فقد لجأ الى كلوزيوم لدى لارس بورسينا اعظم ملوك ايطاليا ومشهور بصلاحه وكرمه فوعده المساعدة وطلب الى الرومانين قبول تاركان واذ

رَفُضُوا طلبه اعلن عليهم الحرب وعين اليوم الذي يهاجمهم فيه والاما كن التي
سيهاجمها وسار اليهم في جيش عرمرم

عين بوبليكو لا قنصلا للمرة الثانية مع انه كان غائبا وعين معه تيتوس
لو كريسوس . واستخفا فاجرة لرومينا تركه يقدم اليه واشتغل ببناء سياليوريا
وانفق عليها كثيرا وحصنها تحصينا منيعا وانزل فيها جالية من الرومانيين تبلغ
سبعماية رجل . اراد بذلك أن يظهر لبورسينا أنه لا يبالي بحربه وأنه يسخر
منها . هاجم بورسينا سوارروما وحمل على طليعة الجيش حتى الجأها الى الفرار .
اندفع الاعداء على المدينة واختلطوا بالهاربين ولكن بوبليكو لا تقدم الى
الأبواب ودافع الاعداء الذين يفوقون قواته عدداً وتندبت المعركة بالقرب من
نهر التير واستبسل في القتال حتى سقط من جراحه الشريفة الباسلة فحملوه
خارجا عن ساحة القتال . وقد جرح زميله لو كريسوس مثله فخارت شجاعة
الرومانيين ونجوا بأنفسهم مشتتين بين انحاء المدينة ، تعقبهم الاعداء الى
كوبري (جسر) الخشب متاهبين لأن كتساح المدينة ولولم يقف لهم هوراسيوس
كوكلس واثنان من اشرف المدينة وهما هرما تيوس ولار تيوس فأوقفوهم عند
رأس الجسر . دعى هوراسيوس ، وكوكلس لانه فقد احدى عينيه في الحرب
أولانه كان أفتس الانف بحيث لم يكن فارق بين عينيه وكان حاجباه متصلين
مختلطين ببعضهما . اراد الشعب أن يدعوه سيكوب ولكن صعب عليه اللفظ
فدعاه كوكلس وعرف بهذا اللقب . وقف كوكلس هذا للاعداء على رأس الجسر
ودافعهم دفاع الأبطال فعاق تقدمهم حتى تمكن رفقه هدم الجسر من خلفهم ثم القي
بنفسه في نهر التير واجتازه توماع أنه اصيب بسهم من الاترسكين في فخذه .
ووصل الى الشاطئ الآخر . أعجب بوبليكو لا بشهامته فطلب إلى الرومانيين
أن يتبرع له كل روماني بمبلغ يوازي نفقات قوته في يوم . وأن يقدموا له من
الأراضي ما يستطيع تفليحه في يوم في دائرة يخطها هو . ولم يكتفوا بهذا بل أقاموا

لكر كلس تمثالا من النحاس في هيكل فولكان ، ار ادوا بهذا التكريم أن
يواسوه على بقاءه اعرج بسبب جرحه

استمر بورسينا على محاصرة المدينة وبدأ الرومانيون يشعرون بالجوع وفي
هذا الوقت كان جيش آخر من الاتريسيكين يغير على الاراضى . عين بوبيكولا
قنصلا للمرة الثالثة فاعزم أن يقف من بورسينا موقف المدافع الحريص على
سلامة المدينة فلا يخاطر بالاقدام على معركة أما الاتريسيكون الذين كانوا يعيشون
في القرى فقد انسل اليهم خفية وشتت شملهم وقتل منهم خمسة آلاف رجل
لقد اختلفت الروايات عن موسيوس وسنروى أقربها الى العقل . كان رجلا
جم الفضائل مجربا في الحروب اعزم قتل بورسينا واتخذ زى اتريسكى ونفذ الى
معسكر الاعداء وكان يعرف لغتهم . طاف بمجلس الملك ولكنه لم يكن يعرفه
بالذات وخشى أن يفتضح أمره اذا دأل عنه فاستل سيفه وقتل أخاه أعوانه ظاننا
أنه قتل الملك وفي الحال قبض عليه وحقق معه وكان بالقرب من المجلس نار
مشتعلة كان بورسينا ينوى تقديمها . مد موسيوس يده اليمنى الى النار فكان
لحمه يحترق وهو ينظر الى بورسينا ثابت الجأش يهدده بنظراته . أعجب بورسينا
بهذا الموقف ايما اعجاب فأطلق سراحه ومد اليه سيفه من أعلى مجلسه فقبض
عليه موسيوس بيده اليسرى وكان هذا منيب تلقيبه باليسر وقال مخاطباً بورسيناً
أخذاً سيفه ، لقد اجترأت على تهديداتك ولكنك قهرتني ؛ رمك لذلك اعترف
لك على سبيل مقابلة الفضل بمثله بسر لم تكن الشدة لتنتزعه من صدرى . لقد
اعترزم ثلاث مائة رومانى ما اعترزته وهم الآن يجوسون خلال معسكرك يتحينون
الفرص وقد وقع الاختيار على أن أكون البادىء وليس لى أن آسف لحظى أن
أخطأت رجل خير الى حرى به أن يكون صديق الرومانيين لاعدوهم . فلم يشك
بورسينا فى صدق هذه الرواية وأظهر استعداده للوفاق ورئى أن ذلك كان خوفاً
منه من التلمية المتآمرين ضده أكثر من اعجابه واحترامه لشهامة وبسالة

الرومانيين . والمعروف أن هذا البطل يدعى موسيوس شيفولا (الايسر) ولكن أتينو دور ، بن ساندون (١) قال في كتابه عن أوكتافيا أخت أغسطس أنه يدعى أيضاً أوسبيجونوس (٢)

أيقن بوبليكولا أن لاخوف على روما من عدااء بورسينا بمقدار ما يستفيد من صداقته ومما هدته لذلك لم يأب تحكيمه بين تاركان والرومانيين ولقد بسم له هذا الرأي أي أنه رأى فيه خيراً فدعا تاركان غير مرة للدفاع عن قضيته أمام بورسينا معلناً استعداده لاقناعه بأنه شر الرجال وأنه حقيق بان مجرد من الملكية وأجاب تاركان بكبرياء أنه لا يقبل تحكيم أحد وعلى الاخص بورسينا ولو تخلى هذا عنه وحنث بعهده - أغضب هذا الرد بورسينا على تاركان و كأن ابنه أرونس مخلصاً للرومانيين قد ألح عليه في الرجاء فعرض الصلح على الرومانيين بشرط أن يعيدوا اليه الأسرى والأراضي التي أخذوها من أتريريا مقابل رد الهاربين من الرومانيين . قبل هؤلاء الشرط وقدموا عشرة من أبناء العائلات الكبرى وعشرة فتيات بينهن فاليريا ابنة بوبليكولا

عقد الاتفاق وسرح بورسينا معظم جيشه ثقة بالمعاهدة وحدث ان الروميات بزأن الى النهر للاستحمام في مكان انثنى فيه الشاطئ على شكل هلال حيث لا تيار ولا هواء يثير الامواج واذ رأى الفتيات أنهن بلا حراس ولا احد يمر بالشاطئ ولا مراكب في النهر اعترزن عبوره سياحة بالرغم من عمقه وسرعة تياره ويقال أن واحدة منهن تدعى كلالي امتطت جواداً أثناء العبور وكانت تستنفض همم زميلاتها

وصلن الى الشاطئ الآخر سلميات وذهبن لملاقاة بوبليكولا ويدل انه يعجب

١ أحد معلمى أغسطس ثم تيبير وهو من طائفة الرواقيين وأنه أقل منه شهرة
٢ هذه ترجمة الكلمة اللاتينية يوستيمرس الى اليونانية وكان الواجب ان يشير فلوطار فوس الى ذلك لا ان يوهم القارىء ان الرومانيين كانوا في تلك المصالح القديمة يدعون ابناءهم باسم يونانيه

بين أو يبدى موافقة على عملهم أظهر استياءه وخشى ان يتهم بأنه أقل أمانة في الخرص على عهوده من بورسينا وان تعتبره جراءة هذه الفتيات خيانة من الرومانيين فجمعهم واعادهم الى بورسينا .

علم تاركان بعودتهم فكمن لمن بجيش كبير العدد واذ كن تجتزن النهر هاجم استبسل الرومانيون في الدفاع عن أنفسهم ولكن فاليريا ابنة يولا دفعت جوادها بين المتقاتلين وتبعها ثلاث من الخدم ، ساروا في رفقتها حتى معسكر بورسينا وبقي الآخرون ثابتين للقتال حتى كادوا يتقهقرون ولكن أرونس علم بما هم فيه من خطر فطار اليهم وهزم الاعداء وأخذ الرومانيين

ولما مثلت الفتيات أمام بورسينا استعلم عن التي بدأت وحرضت زميلاتهن فذكر والده كلالى فنظر اليها بالما وأحضر أحد جياده الملكية مطهما بإفخر ما يتطهم به الجياد واهداه اليها . هذا ما يزرعه الذي يدعون ان كلالى هي وحدها التي اجتازت النهر على جواد ويقول البعض أن ملك أتريريا أراد بذلك تكريم شجاعة الرجلة ليس غير . وهناك شمال لكلالى في الشارع المقدس المؤدى الى جبل بالاتان ولكنه في نظر البعض شمال فاليريا لا شمال كلالى .

ولما عقد الصلح ابدى بورسينا للرومانيين أدلة ساطعة على كرمه وعظمة نفسه . ذهب الى حد تجريمه على ضده ان لا يحملوا شيئاً سوى أسلحتهم وان يتركوا للرومانيين جمع المئونة والاموال التي كانت في معسكره لذلك لا تزال العادة حتى اليوم عند ما تبيع الحكومة شيئاً يبدأ المنادى بقوله (أموال بورسينا) وهذا شرف مقدس واعتراف خالد بكرم هذا الملك ، ولقد أقيم له غير بعيد عن مجلس الشيوخ تمثالاً من النحاس وهو غير متقن الصنع ومن طراز قديم حدث بعد ذلك ان السابين اغاروا مساحين على أراضي روما وكان القنصلان

ماركوس فالاريوس شقيق بوبليكولا وبوتوميوس توبريتوس واذ لم يكن يحدث شيء خطير هناك بدون رقابة ومشورة بوبليكولا.

احرز ماركوس انتصارين باهرين لم يفقد في الثاني احدا من رجاله وقتل ثلاث عشر الف من الاعداء . فلم يكتفوا في جزائه بمنحه شرف الانتصار بل بنواله على حساب الخزانة العامة منزلا وفوق جبل بالاتان . ومما امتاز به هذا المنزل ان جعلت ابوابه تفتح الى الطريق لا الى الداخل كالمعتاد

اراد الشعب بهذا التمييز الدلالة على رغبته في جعل المنزل اكثر سعة . ويقال ان جميع المنازل في اليونان كانت ابوابها على هذا النحو يستنتجون ذلك مما يحدث عند تمثيل الروايات حيث كان يتعين على من يريد الخروج من منزله ان يقرع الباب من الداخل وان يفتح حتى ينبه من كان خارجا فيسحب قبل ان يدفع الباب الى الطريق

عين بوبليكولا في السنة التالية قنصلا للمرة الرابعة احمدا السايون واللاتينون وتوقعت روما حربا جديدة وكان قد استولى على المدينة فزع وهي ازعج الجميع ذلك ان النساء لم تكن تلد سوى اطفال شوهين وقليل منهما من كانت تستوفى موعدها الطبيعي . راجع بوبليكولا كتب الصوفيين وقدم الضحايا تهدئة لغضب بلوتون واقام ملاعب قديمة كان قد امر بها ابولون فاعاد السرور الى روما باعادة الثقة بحماية الآلهة ثم فرغ الى درء الخطر الذي يمهده الناس لان الاتحاد الذي دبر كان مخيفا وكان الاعداء يعدون له معدات جسيمة

كان بين السايين وطني واسع الثروة يدعى ايبوس كلوديس له قوة خارجة للعادة . وهو اول رجال امته فصاحة وفضيلة لم ينج مما يصاب به العظماء فصار موضعا للحسد . اراد منع الحرب فاتخذ حساده ذلك ذريعة لاتهامه . وادعوا انه يرصب زيادة قوة الرومانين ليكون الحاك المستبد في وطنه ويجعله ذليلا وكان الشعب يصغى الى هذه المفتريات فرأى ايبوس انه صار موضع بغض اعداء السلام

ومحبي الحرب فخشى أنه يتقدمه للمحاربة فجمع عددا كبيرا من اهله واصحابه وأثار فتنة فعمل بذلك الحرب وهدد السابينين . وكان بوبيكولا مطالبا على كل مايجرى بين الاعداء فكان يزيد لطلب الخلاف ويوقع التفرقة بينهم وأرسل الى كلوزيوس من يقول له « ان بوبيكولا يعرفك رجل خير واعدل من ان تضمر الانتقام من مواطنيك مهما تكن اخطاؤهم نموك واذا اردت ان تنجو بحياتك وان تخلص من موقف الاعداء فاجعل مقامك بالقرب منه . ان روما والحكومة وكل وطني يستقبلك بما يليق بفضلك وبالعظمة الرومانية » عمل كلوزيوس الفكر في هذا الاقتراح ولم يروهو في موقفه الخرج خيرا له منه . كاشف اصحابه بالامر فعملواهم ايضا على اكتساب الكثيرين غيرهم وهاجرت تحت قيادة كلوزيوس خمسة الآف من رؤساء العائلات بنسائهم واولادهم وخدمهم . كل من كان بين السابينين من الودعاء الراغبين في حياة السلم والعيش الهنيء ولما علم بوبيكولا بمجيئهم أسرع لاستقبالهم بكل حفاوة وصورة ومنحهم جميعا حقوق الوطنين وخص كل منهم بفرسخين على طول شاطئ نهر الينو ومنح البيوس خمس وعشرين وجعله في عداد رجال مجلس الشيوخ وكان هذه أول منزلة سياسية احتلها وظهر بعد ذلك حكمة في ادارة الاعمال حتى قلد اهم الاعمال واكتسب سلطة واسعة واليه ترجع اسرة كلوزيوس التي لاقتل شيئا عن أبة اسرة في روما اسكنت هذه الهجرة ما كان بين السابينين من الاضطراب ولكن دعاة التحريض لم يدعواهم هادئين فصاحوا بهم « من العار أن كلود بوس عدوكم الهارب ميال ما يئناه عليه حين كان بيننا ويمنعكم ان تنأروا لانفسكم من اهانات روما . فسار السابيون من جيش كبير وعكروا بالقرب من (فيدين) وكن منهم الفان في اما كن غائرة مكشوفة على مدى أدنى من روما وانثوا ان يرسلوا مصباح الغد ، الفوارس الى ابواب روما ومتى خرج اليهم الرومانيون تظاهروا بالتقهقر حتى يقع الاعداء في الكمين . علم بوبيكولا من الهاربين ما اضروه فاستعد لكل طارئ وقسم جيشه .

أرسل بوستوميوس صهره في ثلاثة آلاف جندي واستولى مساء على المرتفعات التي تطل الكمين وينظر هناك الفرصة المناسبة وانتضي لوكريسيوس زميله اسبل واشجع من في المدينة من الشبان يحمل بهم على الفرسان اما هو فيسير بباقي الجيش ليحيط بجيش السابين

وفي مطلع فجر الغد كان الضباب مخيا فحصى حر كان الرومانيين عن الاظهار انصب بوستوميوس في ضجة من اعلى المرتفعات على الجيش الكامن بينما كان لوكريسيوس يطارد الفرسان الراكين في الخلا وبوبليكو لا يهاجم معسكر الأعداء . اخذ السابينون من كل جانب فقتلتوا منهزمين . لم يفكر جيش المعسكر في الدفاع عن نفسه بل ركن الى الضرار فعمل الرماحة في افضيتهم وما كان أشد خيبة آمال السابين فيما كانوا يؤملونه من ان الدائرة لم تدر على غير ناحية من نواحيهم اذ لم يفكر جانب منهم في الثبات او القتال فكان يجرى رجال المعسكر الى رجال الكمين وكان هؤلاء يجررون الى رجال المعسكر فبدل أن يجد كل مانجا لم يجد الا الافارين في حاجة مشاهم الى من يأخذ بيدهم ؛ كان من المحتم أن يهلك جميع السابين لولا أن (فيدن) المدينة المجاورة . آوت البعض منهم لاسيا رجال المعسكر اللذين فروا منهم بعد أن استولى عليه الرومانيون اما اللذين لم يبلغوا فيدن قتلوا او اسروا .

والرومانيون اللذين كان من عادتهم ان ينسبوا مجد النصر الى الآلهة نسبوا هذا النصر الى حكمة الصائد وكانت أول عبارة فاه بها المقاتلون ان بوبليكو لا سلم اليهم الاعداء عرجا عمياً مغلولي الايدي والاقدام ولم يكن عليهم سوى ذبحهم استعاض الشعب خسائره من اسلاب الاعداء وبيع الاسرى . قال بوبليكو لا ايجاد النصر وما كاد يسلم القنصاين الميينيين لاستلام الاعمال بيده حتى توفي بعد ان قضي حياة ملامى بما تتمتع به حالتنا البشرية . من جميع خيرات العالم واجاده وكان الشعب لم يقيم لبوبليكو لا في حياته بما يجب لفضله فقرر أن تدفن جثته

الخزانة العامة واكتب كل وطنى برقع اس
وقررت النساء فيما بينن قراراً شريفاً مجيداً هو أن يلبس الحداد على
بولىكولا سنة كاملة . وقررنا ايضاً ان يدفن فى المدينة بالقرب من تل فليبا
وحفظ حق الدفن فى هذا المكان لاعتقابه ابد الدهر ولكنهم اليوم لا يدفون
فى هذا المكان احداً من أسرته اتماما لكتفى بان يحمل اليه الجثة ويقوم احدهم
بمشعل مضاء داخل القبر لحظة ثم يخرج فى حفلة تشهد . بحق الميت ليذل على
هذا الشرف وتحمل الجثة الى جهة اخرى .

الموازنة

بين صولون وبوبليكولا

انه في الموازنة بين صولون وبوبليكولا اعتبار خاص لم يسبق له
تظير فيما كتبت من لوازانات . ذلك ان احدهما كان مقادراً والآخر مشاهداً
لمن أريد موازنته به . واني ملفتك الى أن معنى السعادة الذي ادلى به صولون امام
كراسيوس . اليق بوبليكولا منها بتلاوس . ان تللوس الذي وصفه صولون
بانه اسعد رجل لانه مات ميتة مجيدة ولا أنه كان جم الفضائل ولانه ترك بعده ابناء محترمين لم
يوصف بانه رجل خير حتى ولا في قصائد صولون . عاش ابناءه غير معروفين ولم يتول وهو
في حياته منصباً من مناصب الحكم . اما بوبليكولا فانه بما احتاز من فضل وثقة
صار أول الرومانيين شهرة ولا تزال في ايامنا ؟ ستائة سنة بعد وفاته أكبر اسر
روما كآل بوبليكولا وآل مسيلا وآل فاريوس يرجعون اليه بشرف محترم . مات
تللوس بيد الاعداء شجاعاً ثابت القدم بين جماعة . اما بوبليكولا فقد مات بعد أن
قضى على الاعداء شر قضاء ولا شك ان هذه اسعد حالا من السقوط تحت ضرباتهم
مات بعد ان رأى نفسه قنصلاً ورأى وطنه منتصراً . مات بعد النصر موفوراً الكرامة
والشرف . مات تلك الميتة التي كان يشتهيها صولون وكان يحسبها اسنى درجات
السعادة واليك ما ابداه صولون في جوابه الى ميمنوم (١) عن مدى الحياة « وأتمنى
الا يكون موتى غير مجر للدموع . أتمنى ان يشيع اصحابى جنازتي بين
الأم والنحيب . »

١ شاعر وموسيق يوناني ولد في كولو فون وكان معاصراً لصولون

ان هذا التمتي هو سعادة بوبليكولا . لم يبكه اهله واصحابه بل بكته المدينة كلها كان البكاء والاسى والحزن العميق شاملا للجميع وكأن كل امرأة من النساء الرومانيين قد فقدت ابنا أو اخا أو والدا
كان صولون يقول

« أريد الثراء ولكنى لا أريده من الظلم »

لان العقاب لا بد آت . لم يفن بوبليكولا عن طريق الظلم بل كان من فضله أن أحسن استخدام امواله في مساعدة الفقراء . كان صولون أحكم الرجال وكان بوبليكولا اسعدهم . ان كل ما اشتهاه الاول كاجل وأعظم الخيرات احتازه بوبليكولا ونعم به حتى موته

بجد صولون بوبليكولا كما بجد بوبليكولا صولون بتقدمه كما كدل مثل يقتدى

به مؤسس دولة شعبية

جرد السلطة الملكية من فخفتها القديمة وجعلها محسنة لطيفة للجميع . استعار كثيراً من شرائع صولون منها منح الشعب حق انتخاب الحكام ومنها حق المتهمين في رفع قضاياهم الى مجلس الشعب ، كما سن صولون شرعة الاستئناف الى بوبليكولا ولئن كان بوبليكولا لم ينشئ مجلس شيوخ جديد كصولون فانه زاد القديم ما يقرب من نصف عدده وكان من شأن ما سنده لمراقبي الخزانة العمومية أن يفرغ الصالح من التفاصيل للاعمال الهامة وان لا بجد الشرير في حوزته من التحكم في الاعمال العامة والاموال العامة ما يعينه على عمل الشر

ان بغض الظالمين كان أملاك لنفس بوبليكولا . حقيقة أن صولون سن قانونا يقضى بمحاكمة من يطمح الى الاستئثار بالحكم ، ولكن بوبليكولا اباح قتله قبل المحاكمة . يفخر صولون بحق في رفضه حكومة ملكية قدمتها اليه الظروف وحمله اليها مواطنو دراضين . وليس قليلا ان يتمكن بوبليكولا من أن يحبب الى الشعب سلطة تكاد تكون مستبدة ، والا يستخدم لذلك كل ماله من قوة؟ اعتدل عبر عنه صولون

يقوله عن الشعب « يطيع رؤساءه بلا تدمير » - « اذا كبح جماحه دون ان يسحق تحت حمله »
 ومن مفاخر صولون الخاصة الغاؤه الديون لانه وطد حرية الوطنيين . من العبث
 ان تسن شريعة المساواة اذا كانت الديون تحرم الفقراء الاستمتاع بها . ومن
 العبث ان يكرهوا في الظاهر ممتعين بالحرية ماداموا في القضاء والوظائف العمومية
 وحرية الكلام عبيدا للاغناء خاضعين لاوامر دائنيهم واتقد فعل صولون اكثر
 من ذلك . من العلوم ان الغاء الديون يعقبه اضطراب وشتاق ولكن صولون
 استخدم في تطبيق هذا القانون الحكمة التي تنتضيها تناول دواء خطر شديد
 وتمكن من تهدئة الفتنة التي ثارت في اثينا بما افضاه من الهيبة كما تمكن من تهدئة
 ما أحدثه القانون من الاعتراضات والتدمرات .

واذا نظرنا الى ارادتيهما في جملتهما وجدنا صولون ابهى مطامعا ، وأنه شق طريقة بنفسه
 ولم يتقدمه احد وانجز بمفرده لا يعاونه احد . جميع مشروعاته حتى اكبرها . أما بوليبيكولا
 فكانت خاتمة اعماله اسعد شأنا ، يمسد عايبها . شهد صولون انقلاب الحكومة التي
 اسسها أما ماشاده بوليبيكولا فقد أقام النظام في روما الى عهد الحرب الاهاية ذلك
 ان صولون غادر اثينا بعد نشر قوانينه فتركها بلا مدافع عنها محفوظة في
 اللوحات والقوائم أما بوليبيكولا فبإقامته في روما قابضا على ازمة الحكم ثبت
 قوانينه واكد بقاءها . صولون بعد جهد عظيم لزمه لتعطيل دسائس بير
 يستر آس التي فضح امرها ، انتهى الى الرضوخ لحكومة مطلقة اما
 بوليبيكولا فقد تمكن من القضاء على ملكية قوية استمرت عدة قرون لم يكن
 شجاعته اقل من رغبته ولا اعزازه الفضيلة ولم يخنه الحظ الذي يدعم الجمهور ولا
 الهمة التي تنجز الاعمال

اما المعارك الحربية . فاذا صدقنا قول دائما كوس من بلاتيه (١) فان صولون

١ مؤلف تاريخ لاهند اشار اليه سترابون كجموعة قصص خرافية كاذبة عن تلك البلاد
 وهو كاتب غير معروف ولم يبق من كتاباته شيء

لم يكن قائد تلك الحملة ضد المجاريين التي رويناها ولكن بوبليكولا أحرز على رأس الجيوش انتصارات باهرة وقد أودى في شخصيته . صولون بصفته رجل حكومة أشار على الاثنيين ان يستردوا سلامين . لجأ في ذلك الى الحملة فادعى الجنون . اما بوبليكولا فقد جعل فائحة أعماله مخاطرة عظيمة ، أعلن عداه لتاركان وفضح المؤامرة وحال دون نجاة الخائنين من العقاب ولم يكتف بطرد الظالمين من روما بل قضى على أماتهم ، واثن كان قد واجه بهذا الحزم تلك الاعمال التي تتطلب الشجاعة والهمة ولم تكن لتستقر بدون قوة السلاح ، أظهر حكمة فائقة في الشؤون التي تقتضى اللوم السامى والاقذاع . فقد اكتسب بورسينا وهو قائد لم يقهر وعدو شديد الخطار وجعل منه صديقا للرومانين وقد يعترض على هذا بان صولون افتتح سلامين التي أضاعها الاثينيون بينما بوبليكولا قد سلم أراضي كل الرومانيون بحملونها ولكن يجب الحكم على حسب الظروف ، إن السياسى المحنك يعمل اعمالا متباينة في ظروف متباينة ، ويتناول الاورمن حيث تكون ايسر قبولا . وكثيرا ما يضحى بالجزء لسلامة الكل ويعطى قليلا ليأخذ كثيرا . وعلى ذلك يكون بوبليكولا بتنازله عن اراضى اجنبية ضمن في ذلك اليوم صيانة جميع بلادده حين كانت اكبر سعادة في نظر الرومانين ان يروا مدينتهم بعيدة عن الخطر ، وقد اجتلب اليهم ، اعدا هذه السعادة بجميع الاموال التي كانت في معسكر الحاضرين وبأخذ عده حكما انتصر على خصمه وحصل مع النصر على كل ما كانت تطيب نفسه لبذله لتم له الغلبة . لان بورسينا عقد الصلح وترك للرومانين جميع زخائر الحرب بفضل ما أدخله القنصل على نفس بورسينا من الثقة بفضائله وعظمة نفوس الرومانين جميعاً ما

تيميستوكل

وقعت أهم حوادث حياة تيميستوكل بين ٤٧٣، ٤٦٣ ق م.
كانت عائلة تيميستوكل أقل من أن يكون مدينا لها بمجده كان والد دنيوكس
رجلا متوسط الحال اثينيا من مريار قرية قبيلة لنيوتيد . وكان من جهة والدته
ابن زنا كما تشهد بذلك الأشعار الآتية :

أنا ابروتونوم امرأة من أمة التراقين . ولكني أنا التي ولدت ولي الفخر
تيميستوكل العظيم للبلاد اليونانية (١) ولكن فانياس يقول أن والدة تيميستوكل
لم تكن تراقية بل كانت كارية ويدعوها ابيتروب لا ابرورنوم . ويزيد نيائيس
على ذلك قوله أنها من هادليكارنس من كارية .

كان أولاد الزنا يجتمعون للرياضة البدنية في ملعب سينوزارج الواقع
خارج المدينة مكرسا باسم هرقل والحقيقة أن هرقل لم يكن الها بالمعنى الصحيح
إذ كانت تعلق به ريبية أبناء الزنا لأنه ابن امرأة . تمكن تيميستوكل من
اقناع بعض أبناء الاشراف أن يشتركوا معه في الالعاب وتمكن بهذه الحيلة
الماهرة من الغاء الفارق بين أبناء الزنا والوطنيين الحقيقيين . ومن المحقق أنه
ينتسب إلى أسرة ليكوميد لأنه لما هدم هيكل ليكوميد في « فيلي » بعد أن اضرم
البرابرة فيه النار أعاد تيميستوكل بناءه وحلاه بالصور ، هذه رواية سيمونيد .
يقول الكتاب أنه أظهر منذ طفوله طبيعة حادة وعقلا عادلا وميلا طبيعياً
للأعمال العظيمة . واستعداد رجل حكومي (سياسي) لم ير في أوقات الراحة
والفراغ التي تسمح له بها دروسه الأولى لاعبا ولا عاطلا شأن أمثاله من الاطفال
كان يقضيها مفكرا أو منشأ خطبا للاتهام أو الدفاع عن رفاقه . قال له استاذ

١ هذه من أشعار امفيكرات عن مشاهير الرجال ذكرها اثينه ١٣ - صحيفه ٥

غير مرة : لن تكون يا بني رجلاً وسطاً ستكون متطرفاً إما في الخير أو في الشر !!

لم يكن يعنى بالعلوم التي تعرفنا آداب المعاشرة أو الفنون الجميلة أو رياضة الاجسام عناية كبيرة ولكنه كان يبذل جهداً فوق طاقته لتقوية ذوقه الطبيعي واستعداده للاعمال العامة لانه كان يحسن ما انطوت عليه نفسه . وكان يجيب على سخرية الساخرين به من أولئك المتقدمين عنه في تلك الشؤون التي يدعونها حرة مستوحشين اخلاقه بكلمات ماثؤها الالفه والاباء « حقيقة اني لأحسن الايقاع على المزهر (العود) ولا الالعب الجناستيكية ولكن أعطوني قرية صغيرة نكره وأنا أجعل منها مدينة شهيرة عظيمة »

ويؤكد سترنبروث (١) أن تيميستوكل تأدب على أناجزا كور وكان تلميذاً للعالم الطبيعي مالميسوس . ولكن هذا خطأ تاريخي لأن مالميسوس دافع عن ساموس ضد بريكليس وقد جاء هذا بعد ذلك بزمن طويل . وكان أناجزا كور صديقاً لبريكليس وعليه تكون الأولى هو الاخذ بقول القائلين كان أشد المنحسين لمنزيفيل ومنزيفيل هذا لم يكن خطيباً ولا فيلسوفاً من يدعونهم علماء طبيعة (٢) ولكنه كان ممن يعلمون الحكمة وهي في عرفهم صناعة الحكم وتدبير الاعمال العامة وكان منزيفيل وريث شيعة فلسفية ترجع الى عهد صولون وتنفذت تعاليمه . اضيف الى هذه التعاليم فن الجدل ثم عدل الاساتذة عن الاعمال الى الخطب الكلامية وأطلق عليهم اسم السوقطائن أما تيميستوكل فكان عند التحاقه بمنزيفيل قد اشترك في ادارة أعمال الحكومة.

كان لأول عهد شبابه قائماً غير ثابت مستلهما لجاحه الطبيعي لا يردده.

١ ولدق تاسوس ومعاصر بريكليس

٢ كانوا يطلقون هذا المصطلح على فلاسفة المدرسة اليونانية مثل تالس

واناجزيماندر ومالميسوس

العقل ولا التربية يلقى بنفسه في تطرفات متباينة وغالبا يختار شرها اعترف
بذلك فيما بعد بقوله « أن أشد مهر جاحا يصير خير جواد متى كبح جماحه
وروض » وقد بالغوا في ذلك اذ قالوا أن والده حرمه ميراثه وان والدته لما أعيأها
الاله من حياة ابنها الخجلة انتحرت . ولكن هذا على ما أرى محض انتراء
ويؤكد البعض على العكس من ذلك أن والده أراد أن يحوله عن الاعمال
العامة فراه يوما على الشاطي قوارب هشيمة مهمة ؛ وقال . « هذا ما يعله
الشعب بالخطباء حتى صاروا عديمي النفع »

ومهما يكن من الامر فان تيمستوكل كان قد وضع يده على الاعمال العمومية
وعمل فيها بحمية محدوه رغبة شديدة للمجد متطلعا الى المقام الأول متصديا كبار
رجال المدينة وثقاتها وكان اشد عنادا ومقاومة لار يستيد بن ليزيما كوس معارضة
الدائم المستمر ويزعمون ان البغضاء نشأت بينهما لاسباب حقيرة ولو صدق
الفيلسوف اريهتون (١) كان سبب العداء ان كلاهما احب ستاذيلاوس الجميل
(من تاسوس) ومن هذه المنافسه بدأ خلافهما السياسي . ولكني اعتقد أن
سبب هذا الجفاء يرجع الى ما كان بينهما من تفاوت في الاخلاق والسلوك .
كان اريستيد دمث الاخلاق حميد السيرة لم يقصد من اعماله السياسية لارضى
الشعب ولا بمجد نفسه بل ما اعتقده لأفضل والاكثر ملاءمة للطائفة والعدل
لذلك كان يرى نفسه مضطراً لمقاومة تيمستوكل ومعارضة في اعلاء شأن رجل
لايفتأ يحرض الشعب مشروعات جديدة وبدأ على تغير كل شيء في
الحكومة . والحقيقة أنه بلغ من شغف تيمستوكل بالمجد وشهرته الشديدة
لكل ما يكسبه الحمد انه بعد موقعة ماراتون التي انتصر فيها الانميون على البربر
وسماعه الناس يطرون حملات امتياد لزم الصمت والتفكير والبركة ولم يغمض له

١ - اريستون خبوس تيميدزينوت الزاهد الرواقى ولكنه تلميذ قليل الامانة قضى حياته مستمتعا
بالملاذ على تقيض خافه

واجتنب الولائم العمومية العادية . ولما دهش الناس وسألوه في ذلك . قل ان اكايل ملتياذ لا تسمح لي ان انام . كان الاثينيون يحسبون هزيمة البربر في ماراثون خاتمة الحرب ولكنها لم تكن في نظر تيمستوكل سوى فائحة لمعارك كبرى وأخذ يستعد لهذه المعارك التي رآها عن بعد ، لحماية اليونانيين جميعاً وجهاز ائينا بكل الوسائل . وكان أول ما سعى له انه اجترأ ان يقترح وحده على الاثينيين أن يخصصوا موارد مناجم الفضة في لورلوم التي اعتادوا تقسيمها بينهم لبناء سفن الحرب ايجن . وكانت هذه حينذاك مشكلة يونان الكبرى . وكان الايجيون يملأون البحر بسفنهم .

هذه هي الحجة التي تدرع بها تيمستوكل لتحقيق غرضه لا الخوف من دار يوس والفرس الذي كان بعيدا جدا وغير متوقع . ولقد عرف لاسمالة الاثينيين إلى هذا الاستعداد ان يشير فيهم عوامل الغيرة والبغض ضد الايجيتيين . فبنوا بأموال المناجم مئة مائة فينة قتلت كزرسيس ايضا وأخذ من ذلك الوقت يستهوى ائينا للشؤون البحرية ويطبعهم على الميل اليها ومن اقواله « اننا على البر لا نستطيع أن نقاوم حتى جيراننا ولكننا على البحر نستطيع أن نقهر البربر ونسيطر على جميع اليونان » فحون بذلك كما قال أفلاطون جيشا بر يا عظيما إلى بحارة ونوتية وكان عرضه للوم القائلين لقد انتزغ من الاثينيين الرمح والدرع ليقعد بهم إلى المقاعد والمجازيف وقال ستازيمروت أن تيمستوكل وصل الى هذه الغاية بالرغم من ملتياذ الذي لم يتمكن من تغلب المعارضه

هل أفسد التغيير او لم يفسد كمال حكومة ائينا وحلفائها . ! هذه فلسفة اكبر من تعالج هنا ولكن المؤكد هو أن اليونان مدينة بسلامتها للبحر وأن هذه السفن اعادت بناء ائينا التي كانت قد تهدمت . والبراهين على ذلك كثيرة منها سلوك كزرسيس . بعد هزيمة عمارته وقبل أن يهزم جيشه اذولى الأدبار . معلنا انه لا يقوى على القتال ولئن كان قد ترك ماردنيوس في اليونان فذلك على

ما اعتقد لي منع اليونانيين اقتفاء اثره لايخضعهم

من الياس من يمثل تيمستوكل كرجل يطلب المال بجميع الوسائل ليسد نفقاته لانه كان مولعا بتقديم الضحايا وحسن ضيافة الغرباء وعاليه تكون نفقاته جسيمة

من الناس من يعكس هذا القول فيتهمونه بالبخل والشح حتى أنه لبيح ما يقدم اليه من الهدايا وانه طلب من فيليدس مروض الخيل مهراً ابان عليه فهدده بان يجعل من بيته . حصان خشب جديد (١) اراد لذلك أن يشير في منزل فيايدس الشجار العائلي والقضايا الاهلية

لم يبعد احد في مطعمه مثل تيمستوكل . تمكره وهو في أوائل حياته مجهولا بفضل الحاجة على ابيكلس الهرميوني العواد (الضارب على المزهر) الذي اغرم به الاثينيون أن يعطي دروسه في منزله ليكون مقصودا . زدحما . وحدث مرة انه اراد أن يتفوق في الالعاب الاولمبية على سيمون بفخامة مائدته وخيامه وفخامة ثيابه وهندام حاشيته وكان المنظر أن يسمح بهذا لسيهون وهو شاب من أكبر أسر اثينا ؛ أما أن يجراً تيمستوكل وهو رجل حديث العهد أن يتجاوز قدر نفسه فلا ؛ وقع ذلك في نظر اليونانيين موقع التبجح والسخرية . وحدث مرة أنه تعهد عند تمثيل أحد الروايات أن يقوم بنفقات فرقة الملحنين للشاعر المتفوق . وكان ذلك مشار التنافس والاهواء واثبت تيمستوكل هذا النصر بلوحة أودعها احدى الهياكل مكتوب عليها . « قام تيمستوكل الفرايارى بنفقات فرقة الملحنين وكان فرينيكوس مدير التمثيل واديمانت الحاكم »

ولنقل أن تيمستوكل كان محبوبا من الجميع سواء كان ذلك لعنايته بتحية كل وطني باسمه مذ يراه أو كان ذلك لعده في الحكم فيما يقدم اليه من التضايا عند توليه القضاء : طلب اليه يوما سيمو نيدس السيوسى طلبا غير عادل فقال له .

١ اشارة الى الحصان الخشب الذي كان سنيا في خراب الطرواديين (الاياذه)

لا تكون شاعراً مجيداً إذا افسدت اغانيك القياس ، ولا اكون حكماً عدلاً إذا أبحت امرأً ضد القوانين» وقال له يوماً مازحاً ، أنك مجنون لدمك الكورنثيين الذين يسكنون مدينة عظيمة وأن تصور نفسك وانت شنيع الوجه «واخيراً عندما عظمت شوكته ورسخت ثقته من نفوس الشعب انشأ حزبا ضد اريستيد ونفاه بالاقتراع السري وعندما عرف خبر سير الفرس ضد اليونان اجتمع الاثينيون لانتخاب قائد امتنع جميع القواد الذين يستحقون القيادة فزعين من هول الخطر ولكن ابيسيد بن افيميدس وحده وهو خطيب بالبيع الا أنه ضعيف القلب غير طاهر اليد تقدم مزاحماً لتيميستوكل . وكان في وسعه أن يجمع الاصوات على انتخابه غير ان تيميستوكل الذي تبين طباع يونان إذا تولى قيادها رجل كهذا اشترى بالمال تنازل ابيسيد وقد امتد حوا ايضاً مسلكه مع مترجم السفراء الذي ارسله الملك ليطلب من اليونانيين الارض والماء . أمر قبض عليه واستصدر من الشعب حكماً بقتله لجرأته على استخدام اللغة اليونانية في التعبير عن أوامر بربرى ولم يكن استعداءهم لعمله هذا أكثر من استحسانهم لقسوته على ارثيموس لزبلى . وقد حكم على ارثيموس هذا بالخيانة هو وعائلته وجميع ذريته لانه حمل الى يونان ذهب الفرس ولكن خير اعمال تيميستوكل هو اطفاء نار الحرب الاخلية في يونان وتوفيقه بين المدن واقناعها بالعدول عن العدوات الخصوصية أمام العدو المشترك وهذا مشروع عاونه عليه خيلاوس الاركادى بجميع قواه

ماتولى تيميستوكل القيادة حتى جهد لجل الاثينيين على ركوب السفن وهفادرة المدينة الى البحر والسير الى ابد ما يكون عن البلاد اليونانية لملاقاة البربر . لقي هذا الرأي معارضة من الكثيرين فقاد تيميستوكل مع السبارطين جيشاً عرمرما الى وديان طنبة للدفاع عن تساليا التي لم يكونوا يعرفون بعداتها انحازت الى الفرس بادروا المكان دون أن يقوموا بعمل ؛ ولما انضم التساليون الى الملك سلمت البلاد لهم للبربر وعندئذ أخذ الاثينيون بنصيحة تيميستوكل وفر لجملة البحرية .

وارسلوا القائد باسطول الى اوتيمز يوم الدفع عن البوغاز
أراد اليونانيون الاخر ان يقلدوا القيادة اريبياد والسبارطين وأبي الاثينيون
ذلك بحجة أن لهم وخدم من السفن أكثر مما لجميع اليونانيين كلهم . ولكن
تيميستوكل أحسن خطورة هذه الدعوى فتنازل من تلقاء نفسه عن القيادة لاريبياد
واطاف من حدة الاثينين بوعدهم اذا هم استبسلوا في هذه الحرب جعل اليونانيين
كلهم تحت أمرتهم بهذا أصبحت اليونان كلها مدينة بسلامتها لتيمستوكل وأصبح
الاثينيون أنفسهم مدينين له بمجدهم في الانتصار لبسالتهم والخلفاء بحسن سيرهم
وأعمالهم وعندما القت أساطيل البربر مراسيها أمام « أفث » فزع اريبياد لكثرة
عددتها وامله أنها مائتي سفينة أخرى تطوف حول جزيرة سياتوس اذ اد الاسراع
بالتعود الى داخل البلاد اليونانية وان يلزم شواطئ بيلوبونيز حتى يكون جيش
البر قادرا أن يعاون جيش البحر موقنا أنه من المستحيل أن يقاوم قوات الملك
البحرية خشى الاويبيون أن تتركهم اليونيون فارسلوا الى تيميستوكل خفية اخدمهم ،
بالاجون بحمل اليه مبالغاً جسيماً من المال . قبله تيميستوكل وأعطاه لاريبياد ، لوصدق
قول هيروروت . ولكن الاثينيين قاموا تيميستوكل لان ارخيتالس ربان السفينة
القدس هو الذي لم يكن لديه من المال ما يدفعه للبحارة . أهاج تيميستوكل التوتية
ضد ارخيتالس وكانوا مستائين منه فهجموا عليه واختطفوا عشاءه . أحفظت
الاهانة ارخيتالس وطفق يشكو ، أرسل اليه تيميستوكل خبزاً ولحماً في سلة أودعها
تالان من الفضة مع أمره بان يتعشى هادئاً وأن يسترضى في الغد بالبحارة وإلا اتهم
أمام الاثينين بأنه أخذ من العدو مالا هذه حكاية فانياس الاسبي .

لم تكن المعارك التي نشبت عند البوغاز حاسمة ولم تعد على اليونانيين بفائدة
كبيرة بل كانت مواقع امتحنوا فيها قواهم وتعلموا من القتال ذاته أن عدد السفن
وأهبتها ونفخامة زينتها وصيحات الازدراء والانشيد البربرية لم تكن لتخيف رجلاً
أشدها مستبسلين وما عليهم سوى أن يحرقوا هذه المظاهر وأن يواجهوا العدو

وأن يحيطوا به وأن يشدوا عليه ليوقعوا به . هذا ما فهمه بندار عند قوله عن موقعة ارتميزيوم .

« إن أبناء أئينا وضعوا أساس الحرية الفخمة » والحقيقة أن الجرأة طليعة النصر .

ارتميزيوم لسان من جزيرة أوبه يمتد الى الشمال فوق استيلو أمامها اليزون في البلاد التي كان يحكمها فيلوكتيت . ويوجد على هذا اللسان هيكل باسم ديانة المشهورة « بالشرقية » محاط بالخشب تزين مدخله بوابة من حجر أبيض اذا ذلك باليد تصاعدت منه وتكون بلونها . مكتوب على أحد أعمدته الاشعار الآتية .
 ألف أمة أتت من ممالك آسيا : وأبناء أئينا ، على هذه البحار .
 أفنوا عماراتها ولما هلك جيش الفرس . أقاموا هذه الاكاييل للعدراء ديانة .
 ولا يزال هناك مكان ممتزج فيه الرمال برماد أسود كأنه مر بالنار في دائرة فسيحة ، يعتقدون أن من بقايا السفن والجثث التي أحرقت هناك

ولما نمت من ارتميزيوم أبناء الترومو بيل وعلم موت ليونيداس وأن كسيرسيس امتلك ناصية المداخل البرية ، عادوا الى داخلية يونان ، سد الاثينيون السبيل تملأ نفوسهم كبرياء النصر الذي أحرزوه وأخذتيميستوكل يحاكي الشواطىء حيث كان يعتقد أن العدو لا بد آت بسفنه يستعيد قواه كان يكتب بحروف كبيرة سواء على ما يجده من الاحجار أو ما يقيمه عمداً في الاماكن المطروقة التي تصلح للايواء والرقابة حوجها ككاته الى اليونانيين « تعالوا لو استطعتم انضموا الى أبناءكم الذين يعرضون صدورهم للدفاع عن حريتهم وأن لم تستطيعوا فشدوا على الاقل أثناء القتال على جيوش البربر والقوا بينها الاضطراب » أراد بذلك أن يجتذب اليونانيين الى مناخرة اليونانيين أو يرهبهم ليجمعهم موضع ربيبة في نظر البربر .

على أن كيرسيس نفذ من الدور يد العليا الى فوسيد وأخذ بحرق ويخرب مدن القوسيديين دون أن يتقدم اليونان لمساعدتهم . بالرغم من الحاح الاثينيين

في الرجاء اليهم أن يقاوموا العدو في بيوتيا ويحموا الاتيك كما فعلوا بحرافى الارتيماوزيوم بالدفاع المشترك . ولكن لم يسمع اليهم أحد : لم يفكر اليونانيون الاخر الا فى البلوتونيز أرادوا أن يجمعوا فى البرزخ جميع قوى يونان وأن يسدوا الرزح من بحر لاخر أغضبت هذه الحيانة الاثينيين وادخلت الى نفوسهم الحزن والخور ولم يكن فى وسعهم أن يفكروا فى أن يقوموا وحدهم بتجارة آلاف من الاعداء ولم يبق لهم سوى أن يغادروا أثينا ويركبوا السفن ولكن الشعب لم يقبل ذلك معتقدين ان لا امل فى النصر ولا سبيل للسلامة اذا تركوا هياكل الآلهة وقيود الاباء . ولكن تمستوكل وقد يئس من اقناع الشعب بالمعقولات عمد الى احداث المعجزات وانطاق الوحي كما يعمدون فى التمثيل (الرداى) الى الآلات . والمعجزات التى افترضها هى اختفاء تنين مترفا ، الذى لم يرتك الايام فى بيت المقدس . ووجد السكينة التقدّمات اليوم سليمة فاذا عوا ، بناء على اشارة من تيميستوكل ، ان الآلهة غادرت المدينة وارهم طريق البحر . واستشهد بالوحي قائلا ان الجدران الخشب التى تكلم عنها ليست سوى السفن ، لقد منح الآلهة مدينة سلامين لقب . الآلهة ، لا التعسة ولا المشؤمة لانه سيجعلها احدى مواقع اليونان الجليلية ،

واخيرا تغلب رأيه فاصدر أمرا ان يدع الاثينيون المدينة تحت حماية ميهنرفا حاميتهم وان ينزل كل رجل قادر على حمل السلاح الى السفن ، وان يعد كل انسان مافى طاقته لحماية امراته وأولاده وعبيده ؛ صودق على هذا الامر ؛ وارسل اكثر الاثينيين أهدهم ونساءهم الى ترازين حيث استقبلوا بالحفاوة والاكرام . وقرر الترازيون اطعامهم على حساب الخزانة العامة وعينوا لكل فرد فلسين يوميا واباحوا للاطفال اقتطاف ماشاؤا من الأثمار ، وقاموا بنفقات وكان هذا القرار من حسنات نيكا جوراس . كانت خزانة اثينا فارغة ، ويقول لرسطوان المجلس الاعلى قرر لكل جندى ثمانى دراخمت وإنه صاحب

الفضل في تمام اعداد السفن وتجهيزها بالسلاح، ولكن كليداهوس يقول أن حيلة تيميستوكل هي التي أوجدت المال ، ذلك أنه عند ما نزل الاتينيون الى بيره وجد ستار شمال مينرفا ضائعاً فاخذ تيميستوكل يفتش كل مكان بحجة البحث عنه فمتر بمقادير وافرة من المال خبأه الاهالى بين أسراب القطعان . وضعت هذه الاموال تحت تصرف الحكومة فتمكن الجنود من الحصول على المؤونة اللازمة وأخيراً طفت المدينة فوق الامواج . ملك هذا المشهد على الاهالى مشاعرهم وأعجبوا بجرأة أولئك الرجال الذين بعنوا بأهلهم الى مدينة غريبة وساروا الى سلامين لم تأخذهم هزة حزن ولا ندت عيونهم لبكاء نساءهم ووداعهن . ولكن الذى تثير عواطف الحنان أكثر من هذا هو منظر أولئك الشيوخ الذين لم تسمح لهم شيخوختهم بالسفر ، يضاف الى هذا الشعور المؤلم ، حنين الحيوانات اداجنة التى كانت تجرى على الشاطئ هنا وهناك وهى تعوى عواء محزنا تستصرخ باصحابها . ومما روى أن كاب كسانتيب والد بريكليس أبى مفارقة سيده ، رمى بنفسه فى البحر ، وسبح بالقرب من مركبه حتى سلامين حيث نفق من التعب ولا يزال حتى الآن هناك « قبر الكلب » الذى يقال أنه دفن فيه .

هذه أعمال تيميستوكل المجيد لم يقف بها عند هذا الحد ؛ لحظ ان الوطنيين آسفون لا بعداد اريستيد وانهم يخشون ان يدفعه الحقد للانضمام الى البربر ويفسد على اليونانيين أعمالهم . وكان حزب تيميستوكل قد نفاه بالاقتراع السرى قبل الحرب ، فقد مشرعا يبيح للمنفيين العودة والاشترك قولا وعملا مع الوطنيين فيما يعود على البلاد بالفائدة والسلام .

كانت سبارطة لتفوقها على جميع مدن يونان ؛ قد عينت اريبياد رئيسا أعظم للاسطول واكبنه كان رجلا جبان القلب أمام الخطر . أراد ان يقلع ويسير باسطوله الى البرزخ حيث اجتمع جيش بوبوكنز البرى . عارضه تيميستوكل ، ولهذا المناسبة بقيت أجوبته محفوظة . قال اريبياد ، بايميستوكل ، لانهم يصنعون

في الالهاب الاولمبية ، من يرخلون قبل اعطاء الاشارة . (فاجاب تيميستوكل ؛
 (حقيقة ، واكنهم يتوجون) . رفع أريبياد عصاه كمن يريد ان يضرب . فقال
 تيميستوكل « اضرب ولكن اسمع » أوخذ أريبياد بهذا التواضع فدعاه للكلام .
 أخذ تيميستوكل يجتذبه الى رايه . ولكن أحدهم اعترضه بقوله . (لا يحق لرجل
 لامدينة له ان ينصح لاصحاب المدن ان يتركوها وان يخونوا وطنهم . فعاجله
 تيميستوكل بقوله « أيها الشقي ، لئن كنا قد تركنا منازلنا وجدرانها فلانا لم نرد
 ان نكون ارقاء حبا في أشياء لاحياة لها ، على اننا لاتزال لنا أكبر مدن يونان
 وهي هذه المئتا سفينة ، المعدة اذا شئتم ، لمساعدتكم على النجاة . اما اذا سافرتم
 وخنتم عهدنا للمرة الثانية فدوف تسمعون يونان قائلة : ان الاثينيين يملكون
 مدينة حرة . يملكون بلدا لا تقل جمالا عن التي فقدوها . » فزع أريبياد من
 العزلة التي يتركه فيها انسحاب الاثينيين . أراد أحد الاثيريين الكلام ضد
 تيميستوكل فعاجله هذا بقوله ! « ماذا أتسكاهون أنتم الآخرون عن الحرب وأنتم
 مثل « التيتيد » (١) . سيف ولا قلب

بينما كان تيميستوكل يلقي عباراته هذه وهو واقف فوق مقدمة سفينة ظهرت
 « بومة » وطار الى يمين العمارة ووقفت على اعلى الصاري . اجمع هذا الضال
 اليونانيين على رأى تيميستوكل وقرروا الحرب بحرا . ولكن عندما ظهرت اساطيل
 العدو على سواحل اتيكبا بالقرب من ميناء فالبر . وملأت الشواطىء المجاورة ، ونزل
 الملك شخصيا الى البحر ، ونشر جيشه على مرأى من الجماعة ، حينئذ انحمت
 اقوال تيميستوكل من عقول اليونانيين ووصول السبارطيون انظارهم ثانية نحو البرزخ .
 ولم يقبلوا سماع حديث في غير هذا المعنى . وتقرر الرحيل تلك الليلة واعطيت
 أوامر السفر للنوتية .

(١) التيتيد . نوع من السمك من فصيلة الموابسك . ولكن ما يقال عن تركيبه خطأ
 اذله جميع أعضاء السمك . مع فوارق تجعل له طبائمه خاصة ؛

رأى تيميستوكل مع الالم الشديد ان اليونانيين بتفرقهم كل الى مدينته
يضعون الفائدة العظمى التي تمنحهم اياها طبيعة المكان وهذا الممر الضيق .
بجاء الى الحيلة وكان سيسينوس عدته في ذلك كان سيسينوس هذا اسير حرب
قرنبي الاصل ، وصدیق تيميستوكل وحر بي اطفاله . اوفده سراً الى ملك الفرس
وامره ان يخبر الملك ان تيميستوكل قائد الإثنيين مخلص لمصالح الملك ، وهو يخبره
ان اليونانيين اعتموا الفرار . وانه ينصح لك الا تدعهم يفلتوا ، فينتهز فرصة
الاضطراب الذي اوقعهم فيه غياب جيوشهم البرية لمهاجرتهم والقضاء على قواتهم
البحرية . طار كزرسيس فرحاً بهذا الخبر ولم يرفيه سوى دليل على اخلاص
تيميستوكل اسرع باصدار امره الى ضباط السفن الكبرى بالاقلاع والمهاجمة .
بينما تعبأ السفن الباقية على مهل . وان تقوم مائتي سفينة في الحال للاستيلاء
على الممرات ، ومحاصرة الجزر حتى لا يفلت احد من الاعداء .

كان اريستيد بن ليزيما كوس اول من لمح هذه الحركة فانسرع الى خيمة
تيميستوكل ، لم يكن صديقه بل هو الذي نفاه كما تقدم القول . خرج تيميستوكل للقائه فقال
له : لقد حوصرنا . كان تيميستوكل يعرف امانته وقد سر بعودته ، فافضى اليه بما
فعله بواسطة سيسينوس ، وزجا اليه ان يستبقى اليونانيين وان يعمل من بماله
من المنزلة لديهم لملهم على القتال في المضيق . اثنى اريستيد على تيميستوكل
ثم قابل القواد ورجال السفن وحشهم على القتال واذ كانوا في ديب من وجود
منفذ ، انضمت مركب من تانادوس بقيادة باناتيوس الى اليونانيين واكد لهم
الخبر اضطرتهم سورة الغضب والضرورة الى خوض غمار القتال .

كان كزرسيس في صباح الغد عند فجر النهار جالساً على مرتفع يرقب حركات
المركة يقول فانوديم (١) ان ذلك المرتفع هو قمة هيكل هرقل ، بانقرب من اضيق مكان

(١) كان معاصراً لتيميستوكل ، مؤلف كتاب تاريخ اتيكا وهو غير معروف كثيراً

في القناة يفصل جزيرة سلامين من اتيكيا . ولكن اسيستوتور (١) يزعم ان كان على حدود مينجاريد . على المرتفعات التي تعرف بالقرون . كان كزرسيس جالسا على عرش ذهبي والى جانبه جماعة من الكتاب يثبتون حوادث القتال .

بينما كان تيميستوكل يقدم الضحية على سفينة القيادة جىء اليه بثلاثة فتيان كاجل ما يكون في بزة فخمة تزينهم حلى ذهبية ؛ قيل انهم أبناء أوتاركتوس وساندوسه اخت الملك ، فما رآهم العراف أوفرنيد حتى سطع من الضحايا لهب متلالى ورن صوت عطسة من جهة اليمين . أخذ العراف بيد تيميستوكل وطلب اليه أن يقدم الفتيان ضحية لباخوس أوستيس ، يقدمهم ذبايح زاعما أن هذه هي الوسيلة الوحيدة لسلامة اليونانيين وانتصارهم . جمد الدم في عروق تيميستوكل لطلب العراف لما فيه من قسوة وحشية . ولكن الجمهور جرى على عادته عند المخاطر يعتمد في سلامته على غرائب الاوهام أكثر من حقائق العقل . أخذ الجمهور يضرب للاله وقاد الاسرى الى المذبح ملحا في وحب اجراء الضحية على ما أمر العراف . هذا ما رواه ثانياس اللسبونى ، فيلسوف وعالم من علماء التاريخ القديم . أما عدد سفن البربر فقد قال عنها الشارع أشيل (٢) في رواية الفرس « بصفته شاهد عيان » معتمداً على معلومات وثيقة .

أنا الضمين بان جملة ما كان لا كزرسيس الف سفينة . عدا مرا كبه الصغيرة التي تبلغ مائتى وسع مر كما . هذه هي الحقيقة . وكان للاثينيين مائة وثمانون سفينة على كل منها ثمانية عشر جنديا يقتلون من أعلى جسرهما . منهم أربعة رماة نشاب والآخرون من المشاة المدججين بالسلاح . ولم يكن تيميستوكل اقل مهارة في اختيار ساعة القتال منه في اختيار المكان . أبى أن يبدأ القتال الا عند هبوب ريح قوية في البحر تثير الامواج في البوغاز ، ولم يكن هذا يعطل

١ لم يعرف عنه سوى انه مؤلف . هبرت في الشؤون الجرافية للمدن

٢ حضر أشيل موقعه سلامين

شيئاً من نشاط السفن اليونانية التي كانت مسطحة وقليلة الارتفاع . أما سفن البربر التي كانت عالية المقدم مرتفعة الجسر ، ثقيلة الحركة تدور بجهد عظيم فكانت هدفاً لسهام اليونانيين ؛

حمل هؤلاء على الاعداء حملة صادقة منفذين بدقة أوامر تيميستوكل والقواد يعلمون حق العلم ما يجب عمله .

ركب اريامين اميرال كورسيس وهو جندي باسل وشجاع وهو اعدل اخوه الملك ، سفينة ارسل منها السهام وابلا . يرمى بها من فوق جدار مصوبة الى الجهة التي بقاتل فيها تيميستوكل . اندفع امينياس الدبيلي وسوزيكاس البيدي عليه بعنف حتى اصطدم مقدما السفينة النحاسيين وتلاصقا . قفز ارياحين الى السفينة الاثينية فلتقاء الجنديان وقتلاه بالاسفة ، وقذف به البحر . بصر اراتاميس بجثته طافية بين الاشداء فنقلها الى كورسيس

قيل أنه بينما كان القتال على هذه الحال سطح نور باهر من جهة اليزيس وامتلاً السهل من اتريازي الى البحر باصوات مضطربة كآصوات جماعات عديدة من الرجال تقود فرقة باكوس الخافية وخيل الى الاوهام رؤية سحب من الغبار تثيرها سير هذه الجماعات المائجة ، ترفع رويدا رويدا الى الهواء ثم تنحدر ساقطة على السفن . ويقول البعض أنهم رأوا صور رجال مساحة تتراعى تمايديهم من جهة جزيرة « أجين » الى سفن اليونانيين . والمظنون أن هؤلاء هم « الاياسد » الذين استغاثوا بهم قبل القتال

كان ايكوميد الاثيني وهو رئيس سفينة أول من استولى على سفينة من سفن الاعداء فجزدها من اعلامها وجعلها مقدمة لابلون وافنفور . كانت سفن اليونانيين مساوية لسفن البربر في ساحة القتال نظرا لضيق البوغاز حيث كان هؤلاء مضطرين أن يقدموا سفنهم بالتوالي فيعطل بعضها بعضا . استمر القتال حاميا طول النهار حتى ارخى الليل سدوله فاضطر الفرس الهرب وتم النصر كما قال سيمومند

في اجل وامجد معركة خاصتها اليونانيون والبربر بفضل شجاعة الجنود وحكمة ومهارة تيميستوكل .

اراد كزرسيس بعد هذه الموقعة أن يعاود الكرة بالرغم من هزيمته وقصد الى سد البوغاز لنقل جيشه البرى الى سلامين ويهاجم اليونانيين فاقترح تيميستوكل قاصدا اختبار اريستيد ان يذهبوا الى هلسبون ويقطعوا جسر السفن قائلا « ان هذنه هي الطريقة الوحيدة لجعل اسيا في اوروبا » لم يرق هذا الاقتراح لارستيد وقال ! انا الى اليوم لم تقاوم سوى بربر انهكم الترف . ولكننا اذا احتسناهم في يونان وقضى الخوف والضرورة الى محاربة رجل يقود جيوشا عديدة فانه لا يتعد حينذاك على محضة ذهبية يشاهد القتال مطمئنا بل يجرأ على كل شيء ويحمل الخطر الى كل مكان فيسترد ما خسره عملا بنصائح أوفر حكمة . فقال تيميستوكل إذا علينا بدل أن تقطع جسر السفن أن نقيم في وجههم جسراً آخر لنطرد العدو بأسرع ما يمكن من أوروبا . إذا كنت ترى هذا صوابا فلنسرع بتبادل الآراء معا ولندير خطة ننقذ بها يونان من وجوده بأسرع ما يمكن » أخذوا بهذا الرأي ثم أوفد تيميستوكل خصي كزرسيس ، أرناس كان أسيراً ، الى الملك ، يحمل اليه الرسالة الآتية .

ان اليونانيين بعد انتصارهم في البحر يستعدون للرحيل الى هلسبون ليقطعوا جسر السفن الذي أقاموه وأن تيميستوكل قلق على سلامة الملك لينصح له بسرعة العودة الى البحار الخاضعة لسلطانه ويعود الى أسيا وأن تيميستوكل من جهته سيجد المعاذير ليلبس الحلفاء ويؤخر مطاردتهم له . استولى الرعب على ملك البربر عند سماعه هذا الخبر وانسحب بسرعة اثني ماردنيوس على حكمة تيميستوكل وأرنتت كان اليونانيون في خطر محقق في بلاتا على أنهم لم يحاربوا سوى جانب صغير من جيش كزرسيس

قال هيرودرت أن أجين تفوقت على جميع المدن في هذا اليوم العصيب .

وانكن اليونانيين بالاجماع خصوصا تيمستوكل بالمقام الاول بين الشجعان ولكن مع شيء من الاسف لانهم كانوا يمسدونه على مجده . والواقع انه عند ما عاد الزعماء الى البرزخ وقدموا اليه امام المذبح واعلنوا اختيارهم ، نسب كل منهم المقام الاول لنفسه والثاني لتيميستوكل اما السبارطيون فاتهم قاروه الى سبارطة وقدموا الى اربيناد جارتة المجد والى تيميستوكل غصن زيتون جارتة الحكمة واهدوا اليه اجمل مركبة في المدينة وعند سفره سار معه ثلاثمائة شاب اجلالا للمقامه حتى الحدود . ويقال ايضا انه في الايام الاولى للامبيادة التالية ظهر تيميستوكل في الساحة فذسيت النظارة المتصارعين وحولوا انظارهم طول النهار محدقين به مشيرين للاجانب عليه هاتفين له هتاف الاعجاب مصفقين ملء ايديهم وقد اعترف تيميستوكل في هذه الحفاوة المنعشة لاحد اصحابه ، ان هذا جزاء وفاق لكل ما احتملته من الآلام في سبيل يونان

ان شفقه بالمجد كان بالغاً أقصى حد كما يتبين لنا من الاحاديث المروية عنه عند ما انتخبه الاثينيون قائداً للعبارة امتنع عن انجاز ما كان يرسل اليه من قضايا الناس والحكومة لوقتها يؤجلها الى يوم سفره حتى يرى الناس ما ينتحر من قضايا عديدة مخاطبا صنوفا من الناس عديدة فيكبر شأنه في نظرهم ويمظم خطره بينهم وحدث مرة انه كان يسير فوق الشاطئ فرأى جيشا طافية فوق البحر مما تحمله الامواج وفي معاصم وعنق أكثرها أساور وبخناق من الذهب فاستمر في سيره ولكنه قال لاحد أصحابه مشيراً الى هذه المصوغات « اذهب وخذها لك لانك لست تيميستوكل » كان انتيفاتس شاب جميل شبح بأنفه على تيميستوكل ولكنه مذرآه قد بلغ من الشهرة ما بلغ أخذ يتقرب اليه بلا انقطاع ، فقال له تيميستوكل لقد صرنا يا صديقي عقلاء في آن واحد ولكن بعد فوات الفرصة « (متأخرين) وقال عن نفسه « إن الاثينيين لا يضمرون له احتراماً ولا اعجاباً ولكنهم يستخدمونه كما

يستخدمون شجرة وارثة الظلال يأوون اليها عند هبوب العاصفة ومتى انقضت
احذوا يقطعون أوراقها ويهصرون أغصانها . قال له « سيرفي » « لست صانع
شهر تلك بل اصطنعها لك ووطنك » فقال تيممستوكل « اصبحت ولكنى ما كنت
لاعرف المجد لو أنى ولدت في سيريف ولا أنت لو أنك ولدت في ائينا » كان
احد الزعماء بحسب نفسه ادى الى الجمهورية خدما جليلة ويقارن اعماله باعمال
تيممستوكل فاجابه « تخاصم يوم العيد مع أمه ، شكا هذا انه لايجد راحة وأنه
ينقضى بين الشاغل على انهم لا يعملون يوم العيد شيئا تمتعا بما جمعوا في الايام
الآخر . فاجابه يوم العيد لك الحق ولكن لولم أكن أنا لما كنت انت . » ثم
قال تيممستوكل وأنا إذا لم أكن فأين كنتم تكونون الآن كان ابن تيممستوكل
يسىء استخدام عطف والدته ويستعملها لتحكم في والده فقال تيممستوكل مازحا
أن ابنه ، اقدر جميع اليونانيين « والحقيقة أن الاثينيين يتحكمون في جميع
اليونانيين وأنا اتحكم في اليونانيين ووالدته تتحكم في وهو يتحكم فيها » كان
يصطنع الاغراب في جميع شونه عرض ارضا للبيع وقال في المناذاة عليها « سيكون
للمشترى فوق هذه الصفة جار طيب . » تقدم طالبان لخطوبة ابنه ففضل
الرجل الصالح على الغنى قائلا « أريد صهرا يكون رجلا في حاجة الى ثروة لا ثروة
في حاجة الى رجل » هذه كلمات تيممستوكل والمأثورة

بعد أن فرغ تيممستوكل من الاعمال الجليلة التي ائينا على شرحها اسرع الى
العناية باعادة بناء ائينا وتحصينها وقد تغلب على معارضة النواب بالمال . هذه
رواية تيوبونب ولكن الخبر المأثور هو انه استعمل الخيلة . سافر الى سبارطة
بصفة سفير ولما كان السبارطون يشكون من تحصين ائينا اعتمادا على شهادة بوليبارك
الذى أوفده الاجينيون خصيصا لاتهام الاثينيين . أنكر تيممستوكل الواقع وطلب
ارسال أناس الى ائينا ليتجسسوا الامر . لم يرد بذلك سوى كسب الوقت لنهاية
بقاء الجدران واعطاء الاثينيين رهائن عن نفسه في شخص الموفدين . ثم افترض

بذلك وادرك السبارطيون الحقيقة فكظموا غيظهم وتركوه يسافر دون أن
يمس بأذى»

ثم أخذ في تحصين بيره ، لأنه أدرك ميزة هذا البناء ، وبذلك استمال الشعب
الاثيني إلى البحر . سار في ذلك على سياسة مناقضة لسياسة ملوك اثينا
الاقدمين . يقال ان هؤلاء أذاعوا لابعاد الوطنين عن التجارة البحرية والعدول
بهم عن الملاحة إلى الزراعة ، الخرافة القديمة المنطوية على نزاع قام بين نبتون
ومنيروفا عن السيادة أتیکا فقدمت منيرفا للقضاة الزيتون المقدس فكسبت القضية
لم يلحق تيممستوكل بيرة بالمدينة كما زعم اريستوفان المرحن بل الحق المدينة
ببيرة والأرض بالبحر . وبهذا العمل قوى الشعب ضد الاشراف وملاءة ثقة
بنفسه بأن جعل السلطة بين ايدي البحارة والنوتية والمقذفين . ومن ذلك حول
الطفاه الثلاثون فيما بعد منبر بنكس الذي كان يطل على البحر إلى جهة البر .
لظنهم أن القوة البحرية تولد الديموقراطية في حين أن حكومة « الجماعه » تجرد
مقاومة قليلة من الفلاحين .

فكر تيممستوكل لمصلحة البحرية في مشروع غريب . كان الاسطول اليوناني
بعد هزيمة كزرسينس راسيا في باجاز حيث يقضى الشتاء . قال للاثينيين في
جلسة عمومية أن لديه مشروع يعود عليهم بتنفيذه بالفائدة والسلامة ولكنه
لا يستطيع أن يقضى به إلى الجمهور فامرهم الاثينيون أن يباغته إلى اريستيد فاذا
واقفه عليه قام بتنفيذه . قال تيممستوكل لارستيد أنه يفكر في احراق عمارة
اليونانيين . فعاد اريستيد إلى الجمعية قائلاً إن المشروع الذي يفكر تيممستوكل في
تنفيذه من أجل المشاريع فائدة ولكنه في الوقت ذاته من اشدها ظالماً . فامرره
بالعدول عنه . اقترح السبارطيون على مجلس الانفكتيون (المجلس الدولي اليوناني)
اخراج المدن التي لم تشترك في التحالف ضد الفرس من الانفكتيون ولكن

تيممستوكل خشى أنه إذا ابعث التساليون الادجيون والطيبون من المجلس علا نفوذ السبارطين وصاروا اصحاب الكامة في الانتخابات واستأثروا بالامر فدافع عن هذه المدن واستحال الى رأيه قائلاً « لم يشترك في الحرب سوى واحدة وثلاثين مدينة واكثرها بلا خطر . فمن البلاء إذا ابعثنا بقية المدن اليونانية وأن تستأثر مدينتان أو ثلاثة من المدن الكبرى بالسيادة في المجلس الدولي صار تيممستوكل من هذا الحين غرضاً لاساءات السبارطين . رفعوا سيموره الى اعلى منصب ليعادل سلطة تيممستوكل في الحكومة .

وقد اجتلب تيممستوكل على نفسه بغض الحلفاء بسعيه في الجزر بجمع الضرائب وحدث لو صدق هيرودوت . عند ما طالب اهالي اندروس بالأموال مايتأتى : قال تيممستوكل « حضرت و بين يدي الاهتان . الاقناع والقوه . فاجابوه

ونحن ايضا لدينا الاهتان عظيمتان . وهما الفقر والحاجة يمنعانهم اعطائه شيئاً وقد وجه الشاعر تموكريون الروضى في إحدى قصائده الى تيممستوكل قديماً مؤثماً . يتهمه بأنه استدعى المنفيين رغبة في المال . ومن اجل المال تركه هو وهو صديقه وضيغه « اطرى إذ شئت يوزانياس ؛ اطرى كرازيت . اطرى ليوتيشيد أما أنا فاني اطرى اريستيد افضل واكرم رجل انجبتة ائبنا المقدسة .

اما تيممستوكل ، ذلك الكذاب ، ذلك الظالم ، ذلك الخائن . أن لانوره يبعثه : وهو مضيع تيموكريون افسده المال الحقير ، واني أن يرد تيموكريون الى لاليسوس وطنه .

نعم من أجل ثلاثة طالانات من الفضة نشر ذلك النذل القلوع !
لقد هوذا ظلمنا ونفى اولئك وقضى بالمولت على آخرين ، واخيراً شبع من المال وفي البرزخ قدم الموائد ولكن باس شيخ حقير . قدم لحوماً بارده ؛
فكان الناس يأكلون وهم يتمنون الا يرى تيممستوكل ربيعاً آخر .
استرسل تيموكريون في عداته لتيممستوكل ورماه بقوارص الهجاء ولم يبق عليه

في نشيد نظمه بعد نفيه جعل مطالعه ما يأتي : —

يا عذاري امنحى هذا الغناء الشهيرة التي يستحقها من اليونانيين والتي تجب عليك له .

يقال ان تيموكر يون نفى لانضمامه الى الفرس وان تيممستوكل ايد الحكم ولذلك عند ما وقعت على تيممستوكل التهمة ذاتها قال فيه تيموكر يون الاشعار الآتية .
لم يكن تيموكر يون وحده هو الذي فاض الفرس :

يوجد خونة اخرون ! واست الاعرج وحدي هناك ثعالب أخرى التي
الوطنيون السمع لهذه الوشيات حسداً منهم لجره بحيث ان تيممستوكل التي نفسه
مضطرا لاغضابهم اكثر فاكثر بتكراره في المجتمعات العمومية ذكرى خدماته
واعماله فاذا شعر بتدمرهم قال . فاذا ! املون قبول الحسنات ذاتها من الاشخاص
ذاتهم ؟ » ولم يكن بناء هيكل الالهة ديانه اريستوييل اقل ايفارا للصدور .
اراد بهذه التسمية الاشارة بانه قدم الى اثينا خير النصاب . بنى هذا الهيكل بالقرب
من منزله في حي « ماليت » حيث ترى اليوم الجلادين يرمون حبال التعذيب
وثياب المحنوقين والقتلى والحبال التي استخدمت في تنفيذ القتل . وكان يوجد
في زمني في هيكل ديانه اريستوييل تمثال صغير لتيممستوكل . ويرى من هذه
الصورة انه لم يكن لتيممستوكل نفس بطل فقط بل وكانت له ملامحه . واخيرا لجأ
الاثينيون ليتدخلوا من هذه السيطرة التي رأوها فوق الحد الى الحكم بنفيه بالاقتراع
السري وهو نوع من النفي الغوه للقضاء على من يخشون سطوتهم ولا تدخل في
حدود المساواة الديمقراطية . لان الاقتراع السري لم يكن عقابا بل ارضاء للحسد
وتخفيفا من حدته ومن هذا الحسد ان يحط من قوله الذين تنقل عليهم رفعتهم ويرى
في اذلالهم سبيلا للترويح عن بعضهم

كان تيممستوكل يقيم في ارجوس بعد نفيه من اثينا اذ ظهرت خيانة بوزنياس
فأخذ اعداؤه ذريعة لآتهامه . اتهمه ليوبوت بن الكيمون من قرية اجرول بالخيانة .

وعضد السبارطيون التهمة . واثن كان بوزنياس صديق تيميستوكل الا انه اخفى عنه في اول الامر سر الخيانة التي كان يدبرها . ولكنه لما راه قد جرد من سلطته وانه يتدمر من نفيه اجترأ على افشاء سره اليه فلجأ عليه في الانضمام الى المشروع اطلعه على رسائل الملك واثار حتمه ضد اليونانيين بتهمتهم بالخبث والاثوم ونكران الجميل . رفض تيميستوكل اقتراح يورنياس واثي الاشتراك فيه باية حال . ولكنه كتم سر المؤامرة ولم يفض به الى احد املا ان يعدل بوزنياس من نفسه عن هذا المشروع الجنوني الخطر الذي لا أمل في نجاحه . أو انه يفشى الامر بطريقة أخرى . وبعد أن نفذ حكم الموت في بوزنياس كما هو معروف وجدت في منزله رسائل ومكاتبات توقع تهمة الاشتراك على تيميستوكل ، ثار السبارطيون ضده وأقام أعداؤه الاثينيون عليه دعوى الاتهام وهو غائب . وكان يدافع نفسه برسائل يبرئ نفسه من وشايات أعدائه وهما كتبه « لقد كنت أسعى للسيادة دائما لاني لم أولد لا كون عبداً . ولم أود قط أن أكون عبداً فكيف يظن بي اني أسعى لالقي بنفس وبجميع يونان بين ايدي أعداء ، بين أيدي بربر ؟ ولكن الشعب الذي امتلكه المدعون أرفد أناسا الى أرجوين للقبض عليه ؛ ويحضروا به الى أثينا لحما كتمه أمام مجلس من اليونانيين . أحس تيميستوكل هذه النتيجة فسار الى كورير وهي مدينة سبق له الاحسان اليها ، عين حكما في خلاف بين أهلها وبين الكورنتيين ففض الخلاف بالحكم على الكورنتيين بغرامة قدرها عشرون طالانا وجعل لوكاد ملكا مشتركا بين كورير وكورنت لانها مستعمرة المدينتين . هرب من هناك الى بيزه ولما كان السبارطيون والاثينيون يتعقبونه احتزم عزما خطراً وهو الالتجاء الى « أدميت » ملك المولوس . وكان أدميت هذا فيما مضى طلب أمرا ما من الاثينيين وكان تيميستوكل صاحب الكرامة العليا فخذله شر خذلان . ولم يكن من ريب في انه ينتقم لنفسه منه متى سنحت الفرصة . غير أن تيميستوكل في منفاه كان أكثر خوفا من حقد مواطنيه الجديد ، منه خوفاً

من عداء الملك القديم لذلك أثر أن يلتقى بنفسه بين يدي أدمت تقدم الى الملك ضارعا متوسلا وأكن بأسلوب غريب خاص بالبلاد . أخذ بين يديه ابن الملك وهو طفل وتراعى على أقدامه أمام الموقد وهذه هي الضراعة المقدسة في نظر الملويسين التي لا يجوز رفضها . ويقول البعض أن التي أوحى اليه هذه الطريقة هي « فتيا » زوجة الملك وانما هي التي أوقفتها بذاتها أمام الموقد وابنها بين يديه . ويقول البعض ان أدمت نفسه هو الذي فكر في هذه الضراعة ليجد لنفسه عذرا أمام واجب مقدس يمنعه ان يسلم تيميستوكل الى مضطهديه لاجئا الى هذه اللعبة المسرحية .

وقد بعث ابيكرات الاشرافى اليه بامراته وأولاده عند أدمت . بعد أن أخرجهم خفية من أثينا . قدم سيمون من أجل ذلك ابيكرات الى المحاكمة وقضى عليه بالموت . هذا مارواه ستاذمبروت ولا ندرى كيف أنه نسي ما قاله . أو انساه تيميستوكل وهو القائل أن ابيكرات أبحر الى (صقلية) وهناك طلب من الطاغية هيارون ابنته زوجة ولأبى عليه هيارون ذلك أبحر الى آسيا . على أن هذه الرواية بعيدة عن الحقيقة ، ان هيارون بشهادة تيوفرات في كتابه عن الملكية أرسل خيلا الى أولمبيا لتزاحم في كسب جائزة الجرى . وأقام لها مظلة كأخف ما يكون فاقترح تيميستوكل على جمعية اليونانيين أن ينزعوا مظلة الطاغية وان يمنعوا خيله دخول ميدان السباق .

ويقول توسيديد ان تيميستوكل أبحر الى بيدنا ليصل الى البحر الاخر . ولم يكن في السفينة أحد يعرف انه تيميستوكل الى ان هبت عاصفة قذفت السفينة الى نا كسوس وكان الاثينيون يحاصرونها . فاضطره الخطر المحقق به الى اعلان نفسه للربان والنوتي وأخذها بالرجاء والتهديد ثم قال لهما انه يتمهما أمام الاثينيين انهما قبلاه في سفينتهما لاعلى جهل منهما بل طمعا في المال . وانتهى الى اغفال أمره والاتجاه الى آسيا . أما أمواله فقد أرسل اليه أصحابه بجانب كبير منها مما

تمكنوا من اخفائه . وكل ما اكتشف منها نقل الى الخزانة العمومية ويقدره
 ثيوبوب بائة تالان أما ثيوفراست فانه يقدره بثمانين تالانا . على أن ما كان
 تملكه تيميستوكل عند تولية الاعمال العمومية لم يكن يزيد عن ثلاثة تالانات .
 وعند ما وصل الى « سيبا » لمح على الشاطيء اناسا قد رصدوا للقبض عليه
 لاسبا ارجوتائيس وبيتودور : والحقيقة انه كان غنيمة عظيمة لمن يعتقدون أن كل
 الطرق صالحة للفناء وكان ملك الفرس أعلن أن يعطى من يسلمه اليه مائتي تالان
 فهرب الى أجيس وهي مدينة صغيرة من أبولى لا يعرفها فيها أحد سوى مضيعة
 نيكوجين أكبر الاهالى ثروة وأعلام قدرأ لدى عطاء الفرس . بقي مختفيا هناك
 أياما الا انه فى ليلة هذا العشاء الذى تلتته تقدمة . نهض البيوس مربى أولاد
 نيكوجين والتقى فجأة بالهام وبلهجة وحى ، البيت التالى بصوت عال .

« أمنح الليل صوتاً ؛ أمنحه النصح والنصر »

ذهب تيميستوكل لينام فظهر له فى الحلم تنين التف حول بطنه وطوق
 عنقه . وما لمس التنين وجهه حتى انقلب نسياً نشر أجنحته فوق تيميستوكل
 ثم حمله مسافة طويلة والتقى به على مركب ذهبية ظهرت فجأة فأحس تيميستوكل
 قدمه ثابتة ونفسه ناجية من خطر جسيم أرسله نيوجين الى الملك واليك الطريقة
 التى لجأ اليها ليجعله فى مأمن . ان المرأة لدى جميع الامم الشرقية ولا
 سيبا الفرس موضع غيرة وحشية قاسية . لا الزوجات فقط بل والرفيق المشترى
 والمحظيات . لذلك يحرصون عليهن كل الحرص بحيث لا يستطيع أجنبي ان يراهن .
 فى المنازل يغلق عيهن الابواب بالاقفال . وفى السفر يحمان فى مظال محكمة ،
 وفى احدى هذه المظال أرسل نيكوجين ، خيفة تيميستوكل . وكان الحراس
 يجيبون كل سائل ؛ انها امرأة يونانية ؛ احضروها من يونيا لكبير من
 أصحاب الملك .

يقول توسيديد وشادون ؛ ولا ميساك (١) أن تيميستوكل لم يصل الى الفرس
 إلا بعد وفاة كزرسيس وانه قدم نفسه الى ابن كزرسيس ، ولكن أفود (٢)
 ودينون (٣) وكابتارك (٤) وهيرا كليد وغيرهم مؤكدون أنه ظهر أمام كزرسيس
 نفسه ، على أن رأى الاول أدبي مطابقة لجدول التاريخ وان كان قليل الدقة
 ولما رأى تيميستوكل نفسه في موقف حرج ، خاطب ارتابان رئيس الالف قائلاً
 أنه يوناني الجنس وانه يريد محادثة الملك في شأن على جانب كبير من الحظورة
 وان الملك نفسه يتشوق لرؤيته فاجابه ارتابان قائلاً أيها الاجنبي ان شرائع
 الناس ليست واحدة في كل مكان ، الجميل في غير جميل في نظر الآخرين
 فمن الحسن واللائق بكل انسان أن يحترم ويؤدى شرائع البلاد . يقال إنكم
 تحترمون الحرية والمساواة فوق كل شيء . أما نحن فان أجمل شريعة عندنا من
 بين شرايعنا الجميلة ، هي التي تأمرنا باحترام الملك ، وأن نعبد فيه صورة
 الاله الذي يحى كل شيء . فاذا أردت أن تخضع لعباداتنا وتعبده فلك كما لنا
 أن تراه وتمحاده . وان لم تكن على استعداد لذلك فان تستطيع مخاطبته الا
 بوسيط . لان العادة في بلاد الفرس ألا يقابل أحد الملك ما لم يقدم اليه
 واجب العادة . . أجب تيميستوكل على ملاحظات ارتابان بقوله « لقد
 أتيت بأرتابان لأزيد في مجد وسيادة الملك . نعم اطيع شرائعكم بما أن
 هذه إرادة الاله الذي رفع العرش الى هذا المقام السامى ، على أن الملك
 سيرى بمساعدتى ازدياد عدد عباده ؛ وعليه لا يكون هناك ما يمنع ما أريد
 من محادثته . » قال ارتابان ، باى اسم أقدمك ، لاني أرى عواطفك فوق

١ مؤرخ سابق لعهد هيرودوت . عرف بمؤلف لتاريخ الفرس .

٢ من كوم في ألبد . وضع تاريخ يونان . وهو بعد بعد هيرودوت وتوسيديد ، من

كبار المؤرخين

٣ معاصر للاسكندر ، ومؤلف تاريخ الفرس لا يعرف الا قليلا

٤ ابن دينون وهو أيضا غير معروف

العادة . . فاجابه تيميستوكل . أما اسمي فلن يعرفه يارتابان ، أحد قبل انك .
 هذه رواية فانياس ، يضيف اليها اراتوستين في كتابه عن « الثروة » ان
 امرأة ارترية . محظية ارتابان هي التي أوصلت تيميستوكل الى خليلها
 ودبرت المقاتلة بينهما .

ولما أدخل إلى الملك سجده ووقف صامتا الى أن مصدر الامر للمترجم
 أن يسأله من هو . سأل المترجم فاجاب تيميستوكل ، أنا أيها الملك تيميستوكل
 الاثيني 'نفاني وأضطهدني اليونانيون فجتت أبحث عن ملجأ لديك لقد
 أذيت الفرس ولكني أحسنت اليهم أيضاً بمنعني اليونان من تعقبهم واذ
 نجت اليونان وأصبحت بلادي بعيدة عن الخطر صار في وسعي أن أقدم
 اليك خدمة . ان عواطفى اليوم طبق حظى وقد جئت اما لقبول احسانك
 إذا كان بفضك قد زال أو لتحويله اذا كان باقيا ، ان اعدائى يشهدون لديك
 بالخدم التي قدمتها الى الفرس . لتكن نكبتى فرصة لظهار فضلك أكثر منها
 لظهار نعمتك . تخير بين أن تنقذ حياة رجل جاء اليك متوسلا وبين أن
 تقضى على عدو صريح لليونانيين » لم يقف تيميستوكل عن هذا الخطاب
 بل ذكر الأوامر الالهية وروى حكاية الرؤيا التي شهدتها في منزل فيكوجين
 ووحى جوبتير دورون فقد أمرنى الاله أن الجأ الى الامير الذى يحمل انما
 كاسه ولا يمكن أن يكون سواك لان جوبتير وازت وجدكا اللذان تدعوان ملكين
 لم يجب الملك تيميستوكل بشئ وبقى مأخوذا بعظمة نفسه وجراته ولكن
 كان بين أصحابه بهيئ نفسه بهذا الحادث كأنه أكبر نعمة يصل اليها
 ورجا الى أريمان أن يبعث دائما بين أعدائه مثل هذه الافكار ويحملهم
 على تقى العزاء من بينهم ويقال انه قدم للالهة تقدمة وأقام وليمة وبلغ من
 شدة فرحه سمع يصيح ثلاث مرات وهو نائم .

« عندي تيميستوكل الاثيني »

في الغد عند مطلع الفجر دعا أصحابه واحضر تيميستوكل ولم يكن هذا يتوقع خيراً مذ رأى رجال البلاط وعلم أنهم عرفوا اسمه فتجمهروا له وقابلوه بالاهانة والزراية يضاف الى ذلك أن روكسان رئيس الف من الجنود جابهه وهو مار أمامه في حين كان الملك على عرشه والقوم في سكوت عميق جابهه بقوله همساً « ان حظ الملك هو الذي آتى بك الى هنا يا أفعى يونان الخبيثة » ولكنه عند ما ظهر أمام الملك وسجد له ثانية حياه الملك وقال له بلطف « انى مدين لك بمتى تالان بما أنك أنت الذى قدمت نفسك الى يافن العدل أن تنال المكافأة التى وعدت بها من يحضر الى » ثم وعده باكثر من ذلك وطمن خاطره ودعاه للاعتراف صراحة عن رأيه مهايكن في شؤون يونان فاجاب تيميستوكل أن البيال كالبساط المنقوش لا بد من نشره لاطهار صوره اما اذا بقى مطويا اختفت نقوشه وضاع تناسبها . استحسن الملك التشبيه وأذن له بما أراد من وقت . طلب تيميستوكل سنة اخذ في اثائها بدراسة اللغة الفارسية ليتمكن من مخاطبة الملك مباشرة بدون حاجة إلى ترجمان .

توهم القوم ان تيميستوكل لا يكلمه إلا في شؤون اليونان ولكن التغيرات التى احدثها الملك في حاشيته والسخط الذى انزله ببعضهم جعل تيميستوكل موضع بغض جمع الكبراء لاقتناعهم انه اجترأ على التصريح للملك بما يعتقدونه فيهم والحقيقة ان كل ما كانوا يحبون به الاجانب من التكريم لا يذكر بجانب ماناله بتيميستوكل . كان يصحب الملك في جميع رحلاته للقنص وفي جميع ملاحيه الداخلية وقد قدمه الملك إلى الملكة والدته فقبلته في صداقتها ثم صدر أمر الملك بتعاليمة علوم الجوس . وحدث أن الملك طلب من دامارات السبارطى أن يتمنى عليه . فطلب منه أن يأذن له بالتنزه على جواد فى السارد وعلى رأسه عقال الملوك الفرس فقبض مسترويسينس بن عم الملك على يده وقال له « ان ذلك العقال يادامارات لا يجرد فى رأسك مخايفطيه : لوقبضت بيدك على الصاعقة

لما حرت جونبير « غضب الملك لهذا الطلب وأغلظ لدامارات التول بحيث لم يكن هناك رجاء في تهديئة نائرة . ولكن تيممستوكل توسط له فتمكن من مصالحتهما . لذلك جرت عادة الفرس بعد ذلك كلما ارادوا استجلاب يوناني أن يعدوه بأن سوف يلقي مالم يلقه تيممستوكل من الاجلال والتعظيم ويقال انه وهو في نعيمه هذا هو موضع حفاوة الجميع قال يوما لا ولاده وقد رأى المائدة امامه على افخم ما يكون « يا ابناي كنا ضعنا لوم نكن ضمنا » ويكاد جميع الكتاب يجمعون على أن الملك منحه ثلاث مدن « لخبزه وخبزه ولحمه » : وهي مايزيا ، ولا ميساك وميونت ولكن نياتيس السيزيكي (١) وفانياس يضيفان اليها مدينتين آخرين وهما بركوث بالسبسي تحمصان للرياشن والثياب .

واذ كان يومانانا ذلا الى سواحل الامبراطورية البحرية لشؤون يونانية كمن له فارس يدعى ابيكسيس كاهن فرجيا العليا وأرصد له أداما يقتلونه ليلا حين يجتاز مدينة ليونتوسيفال (رأس الأسد) ولكن والدة الألهة ظهرت له وهونام في قبولة الظن وقالت له احذر يا تيممستوكل (رأس الاسد) لثلاث تقع في مخالب الأسد وأريد منك جزاء هذا التحذير أن تهب ابنتك « منسيتولما خدمتي » نهض تيممستوكل وقدم صلواته للالهة وعدل عن الطريق اجتنابا لذلك المكان المشؤم ولم يقف حتى اسدل الليل ستاره . بسقط احد الحيوانات التي كانت تحمل خيمته في النهر فنشر الخدم الأبسطة لتجف فأرها الكامنون) فأسرعوا اليها مشر اسيو فهم غير متينين على ضوء القمر واهمين انها أبسط انها خيمة تيممستوكل وظنوه نائما فيها . دنوا منها ورفعوا البساط ولكن رجال تيممستوكل الذين كانوا كامنين لهم اقتضوا عليهم وقبضوا عليهم . واذا نجا تيممستوكل هذا الحظ اقام اعترافا بفضل الآلهة هيكللا في ماينزي باسم وانديمن وجعل ابنته منسيتولما كاهنة له وبينما هو يمر بالسارد استخدم فرصة فراغة لزيارة الهياكل وكلها فخم جليل وفحص

التقدمات التي تقدم فيها . رأى في هيكل والدة الألهة ، الفتاة المعروفة باسم (هيدر وفور) وهذا اسم تمثال نحاسي يبلغ طوله زراعين وهو الذي اقامه ايام كان وكيلا للبياد في اثينا ينفق عليه مما كان ينجع من الغرامات التي كان يحكم بها على الذين يحولون مياه المجارى العامة إلى مجارى خصوصيه وكان قدسها في احد الهياكل فلا تدري ماذا حال بنفسه هل نألم لرؤية تقدمته في هذا الاسر أو اراد أن يرى الاثينيين ما يتمتع به من ثقة في اراضى الملك لذلك خاطب ليديا في امر هذا التمثال وطاب اليه الأذن بارساله الى اثينا اغضب البربرى هذا الطلاب وقال له انه سيكتب الملك عنه . فزع تيميستوكل واستمال محظيات الحاكم فهدا غضبه ولكنه كان درس التيميستوكل تعلم منه التزام الحذر من غيرة البربر لذلك لم يزر الملك آسيا الاخر بالرغم من أقوال تيوبوب وأقام في مانيزيا بجنى ثمار خيرات الملك ويتمتع بما يتمتع به الكبراء من الأكرام فعاش هناك زمنا طويلا فاعم للبال لان الملك لم يفكر في المسائل اليونان لاشتغاله بشؤون اقاليم المملكة العليا

ولكن ثورة مصر التي كان اليونان يقصدونها . وتقدم وفود العمارة اليونانية التي تقدمت حتى بلغت قبرص وكليكييا وأخيراً تمكن سيمون من اخضاع لجميع جوانب البحر لغنت نظره الى اليونان وعول على مقاومة اغراضهم ونعمهم من أن يقولوا ضده سارت الجنود وأسرعت القواد كل الى معسكره وأسرع البريد الى مانيزيا يحمل الى تيميستوكل باسم الملك الامر بان يتولى قيادة الحملة العامة ضد اليونانيين براً بوعده ولكن تيميستوكل لم يجد في قلبه أثراً كبيراً للحقد على مواطنيه ولم يرفى المجد والسيادة التي يقدمها اليه النصر ما بحمله على الحرب وقد يكون ذلك لاعتماده ان النصر محال لان يونان كانت حينذاك غنية بالقواد العظيم بينهم سيمون الذي كان التوفيق ملازماله في جميع أعماله على أن العامل الذي أوقفه هو خجله من أن يلحق الخزي والعار بما نال من مجد وما كسب من أكابيل الفخر لذلك اعترم ذلك العزم المجيد وهو أن يحتم حياته

بنهاية حقيقة به . قدم ضحية للالهة وجمع أصدقائه وودعهم الوداع الاخير .
 شرب على رواية البعض دماء ثورة وعلى رواية الآخرين سما زعاقومات في
 مانيزيا بالغا من العمر خمسة وستين عاما بعد حياة قضاها في ادارة الاعمال
 العمومية وقيادة الجيوش ويقال أن اعجاب الملك ازداد عند ما علم سبب وكيفية
 موته واستمر احسانه إلى أسرته وأصدقائه . خلف تيممستوكل ثلاثة
 أبناء من أرشيب بنت ليزاندر من قرية الويس وهم : ارشبتوليس ،
 بوليكت وكوفانت

وقد ذكر افلاطون الفيلسوف كليفانت كان مروصاً ماهراً واذا كنه لا يستحق
 الذكر ؛ ورزق قبل هؤلاء اثنان آخران فيوكلس . الذي مات وهو طفل من عضه
 حصان وديوكلس الذي تبنا جده ليزاندر ورزق أيضا جملة بنات منسبتوايا من
 زوجة ثانية تزوجت من ارشبتوليس اختها من ام أخرى ، وايطاليا زوجة بانتيدي من شيوا ،
 سيبارس زوجة نيكومد اثيني ؛ نيكوماشة التي بعد موت والدها زوجها أختها من
 قرارجلس ابن أخ تيممستوكل جاء من اثينا الى مانيزيا وعنده ترتبت صغرى
 الاخوات وهي ازيا ؛ اداسيا

ولا يزال يشاهد في مانيزيا في الطريق العام قبر تيممستوكل الفخم ولا يجب
 أن نصدق ما رواه اندوسيد (١) في خطبة لاصحابه حيث ادعى أن الاثينتين
 نبشوا زفاته وذروها في الهواء فما هو الا كذب اريد به اثاره الاشراف ضد الشعب
 وقد عمد فيلارك في تاريخه الى حيلة مسرحية تحريكاً للشفقة واثارة للقلوب فأوجد
 شخصين لا يعلم لهما وجود دعاها فيوكليس وديوبوليس جعلها ابناء تيممستوكل
 وماهما سوى ابني خياله كما يبدو ظاهراً للعيان

ويرغم ديودور البريجيني في مؤلفه عن المقابر ظناً لا حقيقة أنه يوجد في البيرة

عند العودة من منعرج السيموس لسان أرض على شكل مرفق تراه في طول حول
هذه النقطة حيث البحر هادىء قاعدة فسيحة فوقها قبر تيميستوكل على شكل
هيكل ويستشهد لذلك بقول افلاطون المهرج في أشعاره التالية

ان قبرك مشيد في مكان لائق

موضع احترام خالد في نظر جميع المسافرين

يطل على الخارجين من الميناء والداخلين اليها

ومتى اشبكت السفن في القتال كان ذلك شهده وملهاه ولا يزال ابناء تيميستوكل

يتعمون في مايزيا بكرامة خاصة مما كان ينعم به تيميستوكل، الذي كان رفيقي

وصديقي في مدرسة امونيوس الفيلسوف

كامي

ان ادعى شىء للدهشة والغرابة فى الحياة فور يوس كامبي ان رجلا مثله قاد الجيوش غير مرة واحرز انتصارات باهرة غير مرة وتولى الحكم الفردى خمس مرات ونال من اذليل النصر اربعا ودعى مؤسس روما الثانى لم يعين قنصلاولا مرة . يرجع السبب فى ذلك الى الظروف السياسية . كان ذلك عهد مناقشات بين مجلس الشيوخ والشعب . أبى الشعب انتخاب القناصل ودين بدلا منهم للقضاء رجالا من أنصاره المعروفين بخطباء الشعب يتولون السلطة القنصلية وكان حكمهم اقل فظاعة بسبب كثرة عددهم وكان العزاء لمن يفضون حكم الجماعة ان يروا على رأس الحكومة ستة بدلا من اثنين .

كان كامبي فى ابان مجده مشهورا باعماله الحربية . ولكنه لم يرد ان يكون قنصلا رغم ارادة الشعب مع حدوث انتخابات قنصلية فى ذلك العهد . أما المناصب الاخرى فقد تولى الكثير منها . وقد سلك فيها جميعا مسلكا حسنا بحيث أنه حتى فى حين انفراده بالامر كان يجعل السلطة شركة بينه وبين آخرين مع احتفاظه بالمجد لنفسه ولو كان له فيه شركاء . أفلح فى ذلك لالتزامه الاعتدال . أراد أن يتولى الحكم دون اثاره الحسد لما كان عليه من الحكمة التى جعلت له مقاما ساميا وتوفيقا لا جدال فيها

لم تكن اسرة فور يوس نابهة الذكر ، فهو اول فور يوس جعل له ذكرا لفتت جبرانه الشخصية الانظار اليه فى الموقعة الكبرى ضد الايكين والبولكين كان يعمل تحت ديكتاتور يولوستوميوس توبرتوس . فهو الذى بدأ الهجوم ضاربا فى الجانبين متقدما بين الصفوف ، جرح فخذة فلم يترك ساحة الوغى بل انتزع السهم من الجرح واشتد على اشجع الاعداء حتى ولوا الفرار ونال جزاء بسالته

عدة مناصب سامية منها منصب (المراقب) وكان في ذلك العهد جليل الشأن
ومما يذكر له بالثناء الحق في هذا المنصب انه تمكن بالاقناع والتهديد بالفرامات
من الزام الاعزاب بالتزواج من الاعزبات التي زادت الحروب المتوالية عددهن
ولم يقدم الا اضطرارا على فرض الضرائب على اليتامى ؛ وكانوا معقنين من كل
الزام . كانت الضرورة قاضية بتحصيل ما تقتضيه الحروب المستمرة من النفقات .

وشد ما لزم ذلك في حصار مدينة الفايين الذين يدعوهم البعض الفاناثاينين .

كانت مدينة فايين مفتاح اتروريا ، ولا تقل عن روما ذخيرة ولا جندا . عظم
شأنها بما لها من ثروة وبذخ وجلال وملاذ فرأى فيها الرومانيون منافسة في الجند
والسيادة وكثيرا احسوا بقدرتها . ولكنها لليوم ضعفت بما اصابها من خسائر في
جملة مواقع . فعدلت عن مطعمها . اطمان الفانيون لما اقاموا من اسوار وجمعوا
من سيوف وسهام ومؤونة وجميع ما يلزم فصبروا للحصار آمنين . استمر الحصار
زمتا طويلا لا يقل اياما للمحاصرين عن المحاصرين . والحقيقة ان الرومانيين كان من
عادتهم ان لا يحاربوا الا صيفا وفي مواقع قصيرة الاجل . وان يقضوا الشتاء في منازلهم
ولكنهم اضطروا لاول مرة اجابة لاوامر الحكام ان ينشئوا القلاع وان يقيموا
في معسكراتهم وان يقضوا الصيف والشتاء في بلاد العدو . كانت السنة السابعة
للحرب فاستاء الشعب من قواده واتهمهم بالتراخي في الحصار فانتزع منهم القيادة
واتخب اخرين لادارة القتال وكان كامي بين المنتخبين وهي المرة الثانية
لانتخابه بين محامي الشعب وخطبائه ؛ لم يكف اول الامر بالعمل في الحصا
بل عهد اليه في محاربة الفولسكين والكابنيتين الذين انتهزوا فرصة اشتغال
الرومانيين بغيرهم فدخلوا ارضهم واقلقوا بلهم اثناء حرب اتروريا . هزمهم كامي
واعمل فيهم السيف واكرههم على الفرار الى داخل اسوارهم .

كانت الحرب على اشدها عندما بدأ في بحيرة الباحادث من اغرب مارأوا
فزع له الجميع لانهم لم يعرفوا له اسبابا عادية ولا علة طبيعية وكان ذلك في الخريف ولم

يحدث في الصيف حيث لا امطار غزيرة ولا رياح جنوبية شديدة وكانت البحيرات والسواقي والينابيع الموجودة بكثرة في ايطاليا اما ناضبة او قليلة المياه وكانت الانهر المنخفضة المياه صيفا ناضبة . . ولكن بحيرة البالتى منبعها فيها وليس لها مصرف محصورة من جميع جهاتها بجبال خصبة امتلأت فجأة وزادت زيادة محسوسة بلا سبب ، ان لم تكن ارادة الالهة ثم بلغت الجبال بلا اضطراب ولا دوى وصلت الى قممها . لم ير رعاة الغنم ولا رعاة الخنازير وهم اول من شهدوا الحادثة سوى حالة مدهشة . ولكنهم راوا الحاجز الذي كان يمنع الفيضان من اغراق الاراضى المنزرعة قد انفتح وان سيلا جارفا من المياه ينحدر الى البحر من خلال Guerets استولى الذعر على الرومانيين وجميع سكان ايطاليا اوراوا في هذه المعجزة اشارة الى حوادث خارقه . ولم يكن للجند المحاصر حديث غير هذا حتى بلغت الاشاعة المحاصرين انفسهم

من المؤلف في الحصار الطويل ان تجرى بين المتحاربين مقابلات ومحادثات . وحدث ان رومانيا صادق احد الفايين وهو رجل عليم بالآثار معروف بمهارة في فن العرافة حادثه الرومانى في مسألة طفيان البحيرة ولحظ ان هذا الخبر أفرحه فرحا عظيما . وانه يتهمكم على الحصار . فقال له ليست هذه المعجزة الوحيدة التى شهدها الرومانيون في هذا الزمن فقد حدث ما هو أعجب منها وانه يريد ان يطلعه عليها ليعرف اذا كان هناك سبيل في هذه النكبة العامة ليأمن على نفسه . اجابه الفاي طوعا والقي السمع الى حديث الرومانى يتحدث وهو سائر والفاي يتبعه ولما سار على مقربة من المدينة انتهز الرومانى فرصة تفوقه البدنى وقبض على صديقه يعاونه بعض الجند ، أتوا اليه مسرعين واحتملوا الرجل الى القواد . لما رأى الفاي نفسه في هذا المأذق وأيقن انه ليس للانسان نجاة مما قدر له أفشى أسرار الوحي التى فهم وطنه قائلا انه لن تؤخذ الا اذا غير العدو مجرى المياه الفائضة من بحيرة البالتى واعاده الى مجراه الاصلى أو على الاقل منبع المياه ان تصب في البحر .

ولما علم مجلس الشيوخ النبأ أوفد لتعذر الوسائل لديه يستشير وحي ولف وكان أوفد مؤمناً من كوسوس لينيوس ، وفلاربوس بوتيتيوس ، وقابيوس أموستوس ثلاثة من أعيان وكبار روما. وكانت رحلتهم موقفة وتلقوا عدا الجواب عما أوفدوا من أجله اجابات أخرى تشير الى اهمال وقع في حفلات (الارواح اللاتينية) خلافا للعادات المتبعة . وكان جواب الوحي عن مسألة مياه بحيرة ألبا ان يحاولوا اجراء مياه البحر الى مجراها القديم واذا تعذر ذلك يحفرون اقنية وينشئون خنادق تتحول اليها لتصرف بين الاراضي فعمد الكهنة بناء على هذه المشورة الى اجراء ما اغفلوه في التقديمات وشرع الشعب في العمل وصول مياه البحيرة

وفي السنة الثانية للحرب التي مجلس الشيوخ مناصب القضاة وولى كامي الحكم ، فاختار كورنليوس سيديون قائداً عاما لفرقة الخيالة ومدنولى الحكم منفرداً تعهد علينا انه اذا انتهت الحرب على خير ، يقيم الالعاب الكبرى ويكرس هيكل الآلهة التي يدعوها الرومانيون الام ماتوتا (١) ويؤخذ مما يجرى فيه من المراسيم ويقدم فيه من التقديمات انه هو عيد (ليكوتية) يدخلون عبدة الى بيت المقدس يصنعونها كنوقا ثم يطردونها خارجا . ويجعل كل بين ذراعيه لابناه بل أبناء اخوته ثم يطاف بيكوس بين ايدي مرضعاته واينوتضطهدها عشيقه زوجها وبعد ان فرع كامي من نذره دخل متقلدا سلاحه أرض الغايين وهزمهم في موقعة فاصلة هم وحلفاءهم الكابنقين ومن ثم ساروا الى حصار فاي وسرعان ما أدرك صعوبة ومخاطر الهجوم ؛ واذ كانت الاراضي المجاورة صالحة لان تحفر حفراً عميقاً بحيث يخفى العمل عن العدو فتح خنادق خفية . نجح عمله . وبينما كان كامي يهاجم المدينة من الخارج ليجتذب الغايين الى الاسوار تمكنت فرقة أخرى من السير في الخنادق في خفية والوصول الى القلعة حيث هيكل (جينون) أكبر هياكل المدينة وأسمها شرفا وكان قائد الاترويين يقدم ضحية وصاح العراف بعد

(١) يقع هذا العيد حسب النتائج الرومانية القديمة في ١١ يولية ويدعى اماتريا .

فخص احشاء الضحية قائلا « ان الآلهة تعد النصر لمن يتم هذه التقدمة »
 سمع الرومانيون الذين في القبور هذه الكايات فشقوا الارض وبرزوا في جلبة
 وضوضاء يعمقون بالسلاح . استولى الرعب على الفايين ولازوا بالفرار ، حمل
 الرومانيون احشاء الضحية الى كامي . على ان هذه الرواية يظهر فيها الاختلاف
 ومهما يكن من الامر فقد أخذت فاني عنوة واذا كان كامي يشهد من أعلى
 القلعة ما يحدث من نهب وسلب لتلك الثروات الهائلة لم يتمالك نفسه فاذرف الدمع .
 واذا كان من حوله يهنثونه بهذا النصر رفع يديه الى السماء ونطق بالصلاة التالية
 يا جو بيتر العظيم وانت أيتها الآلهة التي تشهدين أعمال الناس خيرا وشرها تعلمون
 ان الرومانيين لم يتقلدوا السلاح ظلما بل حملتهم على ذلك ضرورة الدفاع العادل .
 تقلدوه ضد أعداء ألداء عابثين بكل قانون ونظام فلئن قدرت علينا قبالة هذه
 السعادة ويلا وشقاء فاني أضرع اليك ان تقي روما والجيش الروماني تلك النكبات
 وان توجهي ضرباتك الى انا ، على ان لاتسحقيني . »

ولما فرغ من صلواته حول وجهه الى اثنين كمادة الرومانيين فسقط أثناء
 التفاتته . فرغ الرومانيون لهذه السقطة ولكن كامي نهض قائما وهو يقول « هذا
 هو الاذى القليل الذي طلبته من الآلهة قبالة ما أحرزناه من سعادة عظمى . »
 وبعد ان فرغ نهب المدينة عمل على اتمام نذره بنقل تمثال جينون الى
 روما . جمع العمال لهذه الغاية وقدم للالهة ضحية ورجا اليها ان تقبل تحيات
 الرومانيين الحارة وان ترخي المقام مع الالهة حاميات روما

ويقال ان التمثال اجاب انه راض وان هذا الاقتراح يسره
 قال ثبت ليف ان كامي ادى صلواته للاله (١) ويده على التمثال وانه عندما
 دعا الآلهة للسير معه اجابه الحضور « انها راضية عن ذلك كل الرضى وان اقتراحه

(١) لم يتكلم ثبت ليف عن كامي بل عن الشبان الذين جمعهم كامي لنقل التمثال ولا
 درى لماذا دعاهم بلوتارخوس عمالا .

يسر قلبها . « ويدلل انصار المعجزة (صواحب التمثال) على صحة زعمهم بما اصابته روما من حظ موفق سعيد . هل يمكن ان تخرج مدينة عن أصل ضعيف حقير وتبلغ اسمى قمم المجد والقوة اذا لم تكن بعض الالهة قد خصها بحماية دائمة باهرة واهم ايزكرون معجزات اخرى من هذا النوع . قائلين الم نشاهد التماثيل تتصبب عرقا وتتهدد وتشير بعينيها . معجزات دونها الكثيرون من المؤرخين القدماء ؟ وفي وسعي انى أيضاً بناء على شهادات الكثيرين من معاصري ان أثبت كثيراً من هذه الحوادث الحقيقية بالاعجاب مما لا يمكن اطراحه بلا تردد . على أنه في مثل هذه الحوادث يتساوى خطر تصديقها وعدم تصديقها . لان ضعف الانسانية لا يعرف حداً ولا يعرف أن يسن نفسه قانوناً فما أن ينحدر الى الاخذ بالاباطيل والترهات والكبرياء أو يسف الى الالهة واحترار الشؤون المقدسة وعليه يكون من الحكمة التزام الحرص والاعتدال ان عظمة هذه الحملة والاستيلاء على هذه المدينة التي كانت تناظر روما ودوام حصارها عشر سنوات حركت الالسنه بالثناء على المنتصر ثناء انتفخ له قلب كامي واثار فيه مظالم كبيرة لحاكم الجمهورية التي يجب عليه احترام عاداتها : زاد في ابهة موكب النصر زيادة كبرى فدخل روما على عربة يجرها أربع جياذ بيض . لم يحدث هذا قبله ولا بعده . لان الرومانيين يعتبرون هذه العربة خاصة بملك ووالد الالهة . فكان هذا أول سبب لاستيلاء الوطنيين الذين لم يعتادوا مشاهدة هذه الفخفخة المهينة . جاء بعد ذلك السبب الثاني وهو معارضة كامي لقانون تقسيم السكان . اقترح خطباء الشعب تقسيم الالهة والشيوخ الى قسمين متساويين يبقى النصف في روما والآخر حسب الاقتراح يذهب فيسكن المدينة الجديدة .

يرون في ذلك زيادة سعادة الجميع إذ يصيرون أصحاب مدينتين عظيمتين جيلتين فيتمكنون من الدفاع عن بلادهم ومصالحهم . استقبل الشعب الذي

صار كثير العدد هذا الاقتراع بفرح عظيم والتف حول المنبر وطلب بصيحات عالية الاقتراع . ولكن الشيوخ وكبار الاعيان لم يروا في اقتراح الخطباء تجرئة روما فقط بل خرابها التام واشدة استيائهم لجأوا الى كامبي . خشى عقبى هذا الانقسام فأخذ يماطل الشعب ويقيم في سبيله الصعب فيؤجل القانون من يوم ليوم فكان هذا سبب ما انطروا عليه من الضعف له .

على أن غضب الشعب ضده انفجر عند اثاره مسألة عشر الاسلاب ولا بد هنا من الاعتراف بانه اذا لم يكن هذا السبب عادلا كل العدل فلا يخلو من أثر . عندما سافر كامبي الى فاي انذر انه اذا استولى على المدينة لن يخص ابولون بعشر الغنيمة وعندما أخذت المدينة أطلق الجند أيديهم بالنهب والسلب ترك لهم كل الغنيمة ، قد يكون ذلك عن خوف من أعضائهم او ان الاضطراب الذي غشاه حين ذلك انساها نذره ولم يفيض بذلك لمجلس الشيوخ إلا بعد الحادثة بزمن طويل . وبعد أن غادر منصبه أعلن العرافون في ذلك الحين أن الضحايا تنبئ بغضب الآلهة ولا بد لتهدئة غضبها من كفارة وضحايا

رأى الشيوخ من المحال أن يعودوا الى تقسيم الغنائم فتر كوها لمن استولوا عليها . فاكتفوا بان أمروا ان يرد كل عشر ما أخذ مع القسم بان يخل بالوفاء العادل . وعليه أخطروا لتنفيذ هذا الامر الى وسائل محزنة . وان يستعملوا القسوة ضد جنود فقراء احتملوا كثيراً من الآلام في تلك الحروب يطالبونهم بقسم كبير من أموال انفقوها . اضطرب كامبي لما وجهه اليه من اللوم واذا لم يكن لديه عذر قيم لجأ الى أسخف الأعذار : اعترف علناً أنه نسي نذره فبلغ الغضب أشده قال الشعب ان الديكتاتور نذر ذلك اليوم أن يقدم عشر أسلاب الاعداء وها هو يأخذه اليوم من أفلاك الوطنيين ! . وانتهى الامر بان قدم كل انسان ما طلب اليه تقديمه . ومن ثم تقرر أن يصنع

من المتحصل فوهة ذهب ترسل الى دلف ولم يكن الذهب شائعاً في روما وبينما كان الحكام يبحثون لايجاده اجتمعت النساء وقررت فيما بينهن تقديم جميع حلاهن لاجل هذه التقدمة . وقد بلغ مجموعها ثمانى تالانات فقرر الشيوخ مكافأتهن مكافأة تليق بهن وبشرف قبرهن فأمر أن ترثي النساء بعد موتهن كما يرثي الرجال ولم يكن من العادة ان ترثي النساء عند جنازتهن

ندبوا لنقل التقدمة ثلاثة من اعيان الوطنيين تقلهم مركب طويل يسيرها نخبة من الجدافين ومحلاة بالزينة اللايقة بالحفلات العامة وقد على الوفد الشدائد في العاصفة والهدوء — يلاقون من الهدوء ما يكاد يكون الموت حتى اذا نجوا من الخطر كانت نجاتهم على غير أمل . خانتهم الرياح بالقرب من جزائر الابولين فظننتهم مراكب اللبيادين ، كورتين فهاجمتهم واذا رؤهم يمدون اليهم الأيدي ويرفعون اليهم الرجاء لم يقسوا عليهم وسحبوا مركبهم إلى مينائهم وهناك أعلنوا أن ركبها من القرصان وشرعوا في بيعهم هم وكل مالههم ولم يقبلوا اخلاء سبيلهم إلا بعد غناء . والفضل في ذلك تقائدهم تباشيه . وزاد هذا القائد أن ارسل بعض مراكبه تصحب الوفد حتى رلف واشترك معه في تقديس التقدمة لذلك خصه الرومانيون باكرام لايق لخدمته

قدم الخطباء قانون تقسيم أهالي روما ولكن حرب الفالكيين التي جاءت في الوقت المناسب جعلت الاشراف سادة الاقتراح واقتضت الحال الالتجاء إلى قائد يجمع الى المهارة العملية والسلطة والسمعة الطيبة فعرض كامين مندوبا حرييا مع خمسة آخر . ووافق الشعب على الاقتراح وتغلب كامين قيادة الجيش واسرع بالاغارة على أرض الفالكيين وحاصر فالبروهي مدينة حصينة . لم يهمل أهلها أمراً من أمور الدفاع . رأى كامي أن ليس من السهل اغتصابها وان الحصار سيطول امدته ورأى من الحسن أن يبقى الرومانيون خارج المدينة ليمنعهم الثورات التي

يأجأون إليها عادة امام السلم تحت تأثير خطبائهم . ذلك هو الدواء الذى يلجأ اليه
الشيوخ كما يفعل النطاسيون من الاطباء لتطهر ألهة السياسة من المفاسد التى
تفقد عليها احوالها الاقتصادية .

كان الفالسكيون واثقين من متانة حصونهم هازئين بالحصار وكان الناس ماعدا
حراس الاسوار يخرجون فى المدينة بثيابهم العادية وكان الاولاد يذهبون الى
مدرستهم ويخرجون بقيادة معلمهم الى التزه حول الاسوار ويقومون بتمارينهم
الرياضية والحقيقة أن الفالسكين كاليونانيين يعملون لتعليم ابنائهم معلماً واحداً
ليعتادوا من الصغر الغذاء والحياة معا اضمر هذا المعلم ان يسلم الفالسكين الى
الرومانين بتسليم ابنائهم فبدأ يأخذ الاولاد كل يوم الى سفح الاسوار
ليستدرجهم خارج المدينة ثم يعود بهم بعدة ادينتهم ومن ثم صار يبعد بهم شيئاً
فشيئاً حتى يبعد عنهم كل مظان الخوف والخطر واخيراً اذ كان جميع الاولاد معه
بلغ بهم عمداً محلة الحرس الرومانى وسلمهم الاولاد وطلب مقابلة كأمى . فبداليه
واذ صار بمقربة منه قال له « انى معلم مدرسة فاليرى . وقد فضلت على واجبى أن
أقدم لك خدمة وقد جئت اسم اليك تلاميذى وبذلك اجعلك تملك المدينة »
غضب كأمى لهذه الخيانة انسوداء وقال لمن حوله « ان الحرب من الاعمال
المشؤمة وتم تجروراءها من المظالم والفظائع ولكن كبار النفوس يعرفون لها قوانين
لا يريدون النصر عن طريق الجرائم والدنايا . أن القائد الكبير يقيم الحرب
معتمداً على قوته الشخصية لاعلى خبث وخيانة وحقارة الآخريين ثم امر الجلاد
ان يمزق ثياب ذلك الرجل وان يوثق يديه الى ظهره وأن يعطى الاولاد قضباناً
ومذبان ليقتصوا من الخائن وهم يرجعون به الى المدينة .

شعر الفالسكون بخيانة المعلم ولا غرابة ان عم المدينة الحزن والكدر وقد
رفعت النكبة كبار المدينة رجلاً ونساء الى الاسوار والابواب واذ بهم يرون
الاطفال عائدين يقودون المعلم عارياً موثوق اليدين يضر بونه بالامسى ويدعون كأمى

المهم ومنقذهم ووالدهم تأثر الاهالي جميعاً لا الآباء فقط من هذا المشهد وتملكهم
 اعجاب شديد بكامي وشملتهم الرغبة في الاستلام الى عدله فاجتمعوا لفورهم
 وارسلوا اليه مندوبين طالبين ان يسلموا انفسهم وأموالهم لاضرره . أرسل كامي
 المندوبين إلى روما ولما أدخلوا الى مجلس الشيوخ قالوا ان الرومانيين بانارتهم
 العدل على النصر علمونا ان تؤثر الهزيمة على الحرية وهم يعلنون ان قد انتصرت
 عليهم فضائل الرومانيين ولو انهم ليسوا أقل منهم قدرة . اعادهم مجلس الشيوخ
 الى كامي يرى فيهم رأيه . فاكتمنى بان طلب منهم تعويضا حربياً ثم عادوا الى
 روما بعد ان عقد مخالفة حرية مع جميع الشعوب الفالسكية ولكن الجنود الذين
 كانوا يؤملوا الغنم الكبير من اسلاب فاليري عادوا فارغى الايدي . ما وصلوا روما
 حتى أخذوا يشنعون على كامي يتهمونه بانه عدو الشعب وانه حرم الفقراء وسيلة
 مشروعة للثروة .

عاد خطباء الشعب الى تقديم قانون تقسيم أهالي روما واعد الشعب لاعطاء
 صوته . اقتحم كامي غضب الشعب وعارض القانون بشدة وصراحة حتى رفض .
 قبل الشعب على غير رضي وبلغ من حقده على كامي ان شمت انكبه
 بفقد أحد ولديه ، ولم يهدأ غضبه عليه . اما كامي فكان طيب القلب رقيق
 الاحساس فقد اشتد به الحزن من هول هذه النكبة حتى انه دعى للمحاكمة
 فلم يحضر وبقى رهن بيته مع النساء

كان المدعى على كامي رجل يدعى لوسيوس الوليوس يتهمه باختلاس جانب
 من غنائم أترووريا . ليستشهد لذلك بابواب نحاسية كانت بينها وشوهدت في منزل
 كامي . كان الشعب نائراً ضده والحكم عليه . منتظراً لاقبل حجة . دعا كامي
 أصدقاءه واخوانه تحت السلاح وزملاءه الاقدمين وهم عدد غير قليل وتوسل اليهم
 ان لا يبخلوا عليه بالدفاع أمام هذه التهم الكاذبة وان ينقذوه من حكم ظالم ومن
 سخريه أعدائه . فاجابوه بعد المداولة والمناقشة انهم لا يستطيعون منع الحكم

ولسكنهم اذا حكم عليه بغرامة يدفعونها عنه . ساء كامي ضعفهم ولم يصغ الا لصوت
غضبه فاعتزم مغادرة المدينة وان ينفي نفسه برضاه فعاتق زوجته وابنه وخرج من
البيت ومشى صامتاً حتى أبواب المدينة وهناك وقف وتحول ثم بسط يديه نحو
الكابيتول ورفع الى الآلهة الصلاة التالية « اذا كنت بريئاً وكان ظلم وحسد
الشعب هو الذي أكرهني على الخروج ذليلاً من وطني فلتكن ارادتك ان يشعر
الرومانيون ويعلم العالم حاجتهم الي وتأخذهم الحسرة لغياب كامي » وبعد ان صب
على مواطنيه اللعنات كما فعل أشيل أبعد عن روما ، حكم عليه غيابياً بغرامة قدرها
خمسة عشر الف (اس) توازي بالفضة الف وخمسمائة درخمة لان الاس عملة
صغيرة كل عشرة منه تساوي فلساً

لم يبق روماني لا يعتقد ان العدل الالهي تقبل صلاة كاميى لوقتها وان
الولايات صبت على روما جزاء ظلمها الذي ذهب ضحيته، انتقام رثى له كاميى
ذاته ولكن شريف وعظيم لان غضب الالهة انهم قوى روما واجتمع عليها
الفرع والخطر والعار وسواء كان العقاب من عمل الصدفة . ارادة إله لا يسمح لشكران
الجحيل بامتهان الفضيله بالاعتقاد .

واول نكبة نزلت بروما هي موت الرقيب يوليوس والحقيقة ان منصب
الرقابة مقام محترم جدا في نظر الرومانيين حتى انهم يقدسونه اما النكبة الثانية
فكانت سابقة لنفي كاميى . ذلك أن رجلا لاهو من الاشراف ولا من الشيوخ
اسكنه رجل محترم لفضله يدعه ما كوس سيديتيوس ابلغ الزعماء الحريين واقعة
حسبها حقيقة بان تنقل اليهم وتستحق عنايتهم ابغهم انه بينما كان يجتاز
الليلة الماضية السكة الجديدة سمع صوتا يناديه ، التفت فلم ير احدا ! ولكن
صوتا اقوى من صوت رجل قال له يامار كوس سيديتيوس اذهب غدا عند مطلع
النهار وبلغ الزعماء الحريين ان يتوقعوا رؤية الغالين قريبا ضحك الزعماء من هذا
الانذار وسخروا به ثم اخذت بعد ذلك نفي كاميى .

والغاليون انه سلتية كثر عددها وغادرت بلادها التي لم تعد تكفي ثروتها
 وذهبت تبحث عن ارض تصلح لسكنائها . وهذه الامة كثيرة الشبان البواسل
 تجر وراءها عددا كبيرا من النساء والاطفال اخترق بعضها جبال ريفه ، وانتشروا
 حول الاوقيانوس الشمالى واستقروا على حدود اوروبا واقام البعض بين البيرلينا
 والالب على مقربة من الينونين والسنتورين واقاموا زمنا طويلا وحدث أن ذاقوا
 لأول مرة النبيذ محمولا اليهم من ايطاليا فاستطابوا طعم هذا الشراب ولذ لهم
 ما ادخله عليهم من السرور فحملوا اسلحتهم واصطحبوا اهلهم وانحدروا من
 جهة الالب يطلبون الارض التي تنبت ثمرًا شهيًا كهذا ، يرون كل ارض دونها
 قحلاء موحشة .

اما الذى علمهم النبيذ وحرك في نفوسهم شهوة الذهاب الى ايطاليا فهو
 على ما يقال رجل يدعى ارون من اثروريا معروف في بلده لم يكن شريرا بالطبع
 بل ارد الانتقام لنفسه من عار لحقه . كان مريبا لفتى يتيم يدعى لوكومون . اجل
 واغنى مواظنيه تربي الفتى من نعومة اظفاره تحت اشراف ارونى ، ولما بلغ
 سن الشباب لزم المنزل بدعوى حبه لمريبه على انه كان على اتصال بامرأته بحبها
 ومحبه صلة البنية

بقيت هذه الصلة طي الخفاء زمنا طويلا ولكن الهوى المتبادل اشتد بهما
 حتى لم يعد في امكانهما التغلب عليه او اختفاه
 اختطف الفتى زوجة ارون وابقاها في منزله علانية ؛ رفع الزوج عليه
 قضية ولكنه لم يستطع التغلب على لوكومون لكثرة عدد اصدقائه ورفعة قدره
 ووفرة ثروته فخذل وخسر قضيةه وحينئذ غادر وطنه وسار الى الغاليين الذين
 عرفهم بما شاع عنهم وتولى قيادتهم الى ايطاليا

افتتح المغيرون في وقت قصير جميع المملكة بين الالب والبحرين وهى
 التي كان يملكها الاترسكيوت من زمن بعيد كما يتضح ذلك من اسماء الاماكن
 م ١٩ العظماء

فالبحر الشمالى الذى يدعى الادريانى نسبة الى ادريا وهى مدينة من مدن
 اترسكيا وكذلك يدعون البحر الجنوبى بحر اتروريا وكانت هذه البلاد وافرة
 الفرس خصبة المرعى ترويهما انهار كثيرة وكان بها ثمانى عشرة مدينة جميلة عظيمة
 غنية فى تجارتها تعيش فى سعة وبذخ . طرد الغالييون منها الاترسكين واقاموا
 بها . حدثت هذه الغارة قبل نفى كاهى بزمن طويل (١) ولكن ابان هذا النفى
 جاء الغالييون جاهوا لمحاصرة كلوزيوم وهى احدى مدن اتروريا .

استصرخ اهل كلوزيوم الرومانيين يستنجدونهم طالبين اليهم ان يرسلوا الى
 هؤلاء البربر الوفود وان يخاطبهم فى الامر . اوفد الرومانيون ثلاثا من عائلة
 فايوس وهم من كبار القوم اصحاب السمعة المحترمة فى روما . اكرم الغالييون
 وقادتهم احتراماً لاسم روما واقفوا مهاجمة الاسوار واخذوا فى مفاوضة المنسويين
 اى ذنب جناه الاترسكون ضدكم حتى جئتم محاصرون مدينتهم اضحك برونوس
 ملك الغاليين من هذا السؤال ثم قال « ان ذنبهم فى نظرنا انهم يريدون ان
 يمتلكوا وحدهم اراض واسعة وهم لا يستطيعون سوى استغلال جانب صغير منها
 وانهم يابون اقتسامها معنا ونحن غرباء وكثير والعديد قراء . وذنبهم ايها الارمانيون
 هو الذنب الذى جناه ضدكم بالامس لاليون والفدايون والارويون وهو ما ارتكبه
 ضدكم الفيون والكابتيون اخيرا واغلب الفاييسكين والنويسكين . وكل شعب يابى
 عليكم مشاركتة فى خيراته تسيرون اليه بسلاحكم تستعبدون رجاله وتسلبون
 امواله وتهدمون مدنه . لم تاتوا فى ذلك شيئاً شاذاً ولا ظالماً بل سرتم على اقدم
 للشرائع التى تبيح للاقوياء اموال الضعفاء وهذه شرعة تبدأ بالله ذاته وتنتهى
 الى الضوارى . لانها تعرف ايضا ان القوى يزعم دائماً ان نصيبه لا بد من ان
 يكون اوفر من نصيب الضعيف . فقلعوا عن العطف على السكاوزيين المحاصرين
 اذا كنتم لا تريدون ان يعطف الغاليون على الشعوب التى استذلها الرومانيون »

رأى الوفد الرومانى من هذا الجواب ألا سبيل الى التفاهم مع برتوس :
 دخلوا كلوزيوم وانهمضوا شجاعة المحاصرين ودفنهم الى المهاجمة على أن يجاربوا
 معهم . اما رغبة فى معرفة مقدار شجاعة البربر واما لاظهار كفاءتهم . عمل الكلوزيون
 بنصيحتهم . حدث اثناء المعركة التى وقعت تحت اسوار المدينة ان كنتوس
 اموستوس احد الغاليين الثلاث دفع جواده ضد غاليى طويل القامة فغزم الهيئة
 طاف حوله واندفع بعيدا عن الموقعة لم يعرف لاول امره لان الملحمة كانت
 شديدة وكانت الاعين مأخوذة بريق السيوف ولكنه بعد ان انتصر على خصمه
 وقتله عرفه برتوس وهو مجرد الجثة استشهد الآلهة على هذا العمل المخالف للشرائع
 الدولية والقوانين المقدسة « قاتلا جاء فاييوس رسولا فاجترأ أن يعمل عمل عدو .
 فوقف القتال وترك الكلوزيين وسار بجيشه الى روما على أنه لم يرد ان يظهر
 بظهر من اتخذ هذا الاعتداء زريعة لمهاجمة الرومانيين فطلب من روما ان تسلم
 اليه الجاني لمعاقبته ولم تتقدم الامتهلا

اجتمع مجلس الشيوخ فى روما وأوقع اللوم على فاييوس وقام الكهنة
 المعروفون باسم فاسيو يثيون التهمة قائلين ان هذا الاعتداء بهم الآلهة انفسهم
 وأنا بتضحيتنا بشخص واحد كفارة عن الجريمة نحول عن الشعب كله الانتقام
 السماوى . وطفحة الكهنة هذه من اوضاع نوما بومبليوس ارق واعزل الملوك ،
 ليكونوا حراسا للسلام وحكما عدلا فى الاسباب التى تدعوا الى حمل السلاح
 احال مجلس الشيوخ المسئلة على الشعب وجدد الكهنة تأييدهم التهمة ضد
 فاييوس ولكن الشعب اكثر من السخرية والاحتقار لقوانين الدين المقدسة
 وعين فاييوس زعيما حرييا مع اخوته

ولما علم الغاليون هذا النبأ اشتد غيظهم وساروا ابلا مهمل يسرعون الحظ
 وكانت كثرة عددهم وقصعة سلاحهم وقوتهم وسورتهم ترسل الرعب حينما سارت
 وكان أهالى المزارع يتوقعون تلف مزارعهم على شرأنواع التلف واهالى

المدن يتوقعون خراب مدنيهم ولكن شيئاً من الفظائع لم يرتكب فلم يسلبوا شيئاً من المزارع ، وكانوا كلما مروا بمدينة صاحوا بأعلى صوتهم «أما نسير ضد روما ليس لنا أعداء سوى الرومانيين أما جميع الشعوب الاخر فهم اصدقاؤنا

بينما كان البربر يتدافعون في تقدمهم الى الامام غادر الزعماء الحربيون روما وساروا للملاقاة ولم يكن جيشهم أقل عدداً من جيش الغالين اذ كان عدد مشاته أربعون الفا ولكن أغلبهم حديث العهد بالحروب لم تسبق له بها خبرة ولم يقبض على السيف الا لأول مرة وقد قصر القواد في التأكد من مساعدة الآلهة فلم يقدموا الضحايا ولم يستطلعوا رأى العرافين فيما يجب معرفته في هذه الظروف الحرجة قبل مباشرة الحرب وكان لكثرة عدد القواد أثرها السيء في اضطراب الاعمال الحربية فقد كان الرومانيون في أقل الحروب خطراً يعينون حكماً وحيداً يدعونه ديكتاتور يعرفون له قدرة في المواقف الخطرة فيعمل الجميع بروح واحدة ليمتولى الامر رئيس واحد بيده السلطة العليا وله حق القضاء ولا مرد لحكمه على ان نكبة الرومانيين الكبرى هي معاملة كاهن تلك المعاملة الحتمية فخرموا بإبعاده قائداً جرىء على مقاومة نزعات الشعب واهدائه .

تقدم الرومانيون على مدي تسمين ستار (١) من المدينة وعسكروا على شواطئ نهر اليا عند ملتقى نهر النبر . ومالبت البربر ان يظهروا ولكن الرومانيين جبنوا في القتال ووقع الاضطراب في الجيش فكانت هزيمته تامة . التقى الغاليون في هجمتهم الاولى الجناح الايسر في النهر وخشى الجناح الايمن صدمة البربر فاعتصم بالمرتفعات فكانت نكبة اقل ويلا . وتمكن بعض هؤلاء من الالتجاء الى روما ولما مل الغاليون القتل تمكنوا بقايا الجناح الايسر من الهرب إلى قاي ليلا موقنين ضياع روما وهلاك اهلها وقعت هذه المعركة حول الانقلاب الصيفي تقريباً

(١) تزيد قليلا عن اربع فراسخ الستارة عبارة عن ١٥١٥ د ٨٥٥ متر

حيث كان البدر في تمامه . في اليوم انذى هلك فيه ثلاثماية رومانى من عائلة فايوس بعد الاترسكيى ولكن الهزيمة الاخيرة التى تعرف بذلك اليوم (١) لايزالون يدعونه يوم « اليا » اسم النهر الذى وقعت بجواره

ولقد دقت البحث فيما اذا كانت هناك حقيقة ايام نحس او أن هيراكليت كان مصيباً فى لومه هزيبود لاعتباره وجود ايام خير وايام نحس . كأنه يجهل أن جميع الايام سواء وقد لا يكون من الخروج عن الموضوع أن أذكر بعض حوادث تتعلق بهذا الشأن . مثال ذلك أن البيوتيين يعدون من ايام الخير الخامس من شهر هيپود روميون الذى يدعوه الاثينيون هيكتينيون (يونيه - يوليه) فقد اكتسبوا في ذلك اليوم النصر مرتين انتصارات باهرة أيدت حرية يونان . احدهما انتصار ليكتروالثانى قبل ذلك بمائتى سنة انتصار جرابت حيث قهروا التلامييين والتالييين وبالعكس من ذلك انهزم الفرس فى موقعة مراتوت يوم ستة من بويدروميون (أغسطس سبتمبر) وهزموا فى بلاته وميكال يوم ٣ وهزموا فى ابريل يوم ٢٥ منه وكان انتصار اليونانيين بقيادة شابوياس فى موقعة باكسوس البحرية فى تمام بدر هذا الشهر وفى العشرين منه غنموا موقعة سلامين . كما قلت فى كتاب عن الايام (٢) وقد نزلت بالبربر فى شهر تارجليوت (ابريل - مايو) نكبات عديدة وفى هذا الشهر انتصر اسكندر على قواد الفرس بالقرب من جرانيك . وفى الرابع والعشرين من هذا الشهر اخذت تراوده على رواية كاسينين (٣) وداماست (٤) وفيلارك وفى هذا اليوم هزم تيموليون القرطجنيين فى صقلية اما شهر تارجينيون (سبتمبر اكتوبر)

(١) ورد بالنتائج الرومانية ١٨٩ يوليه باسم موقعة الياسنة ٣٦١ لروما و ٢٩٠ قبل المسيح .
 أ. اندجحة ألويوس فقد وقعت قبل ذلك بمائتين سنة
 (٢) لم يبق لهذا البحث أثر (٣) الذى قتله اسكندر بثيمة المؤامرة (٤) مؤرخ
 معاصر لدودوت . وطبقات الابطال فى حرب تراوده

الذى يدعو البيوتيون بانسيموس فلم يكن خيراً على اليونانيين فى السابع منه هزمهم انتيباتر فى فرانون فى موقعة نظامية وشتت شملهم وكانوا من قبل قد هزمهم فيليب فى موقعة شارونه وفى اليوم ذاته من هذا الشهر فى السنة ذاتها تمكن البربر من قتل وتشتت شمل الجيوش اليونانية التى سار بها ارخيدا موسى الى ايطاليا وبخشي القرطجين يوم ٢٢ من هذا الشهر لانه يأتهم دائماً بويلات فادحة .
ولسكنى لا أعلم اذا كان اسكندر ضرب مدينة طيبة فى وقت الاحتفاء بالاسرار المقدسة . وان فى العشرين من شهر بدر وميون يوم الاحتفاء بالاسرار الآله باخوس تلقى اللاتينيون حامية سبارطة وكان الرومانين ايضاً أيام خير وشر معا . مثال ذلك اليوم الذى هزم فيه السنيريون جيشهم الذى كان يقوده سيبيون ، حتى معسكره وهذا الذى حدث فيه انهم تمكنوا بقيادة لوكاوس من الفوز على الارمنين وتجراند

وقد توفى الملك اتالوس وبونيبه فى يوم مولدها ومن السهل ذكر عدة أيام كانت هناء وشفاءاً لاصحابها ولكن الرومانين يعدون يوم هزيمة ألبا من كل شهر يوماً مشؤوماً ويعدون هذا اليوم ويومين آخرين بسببه ، لان النكبة كماهى العادة تزيد الرعب والاهام ولقد عالجت هذا الموضوع فى بحثى المعروف باسم (المسائل الرومانية)

لو ان الغالين بعد الموقعة اقتفوا اثر الفارين لما كان لروما حجة من الخراب التام ولا أهلها من مذمجة عامة . ذلك أن الهاربين فى تقهرم المروع ملاءوا الاذهان رعباً ونشروا الفزع والاضطراب فى جميع انحاء المدينة ولكن البربر لم يدركوا فى ذلك الوقت ان انتصارهم كان تاماً عدا انهم لفرحهم بالفوز لم يفكروا الا فى اغتنام اسلاب المعسكر الرومانى ، فمكثوا الهاربين من الاهالى من الانسحاب ومكثوا الباقين من استعادة قواهم وتحصين الدفاع . على أن هؤلاء لم يعنوا بانقاذ المدينة فمكثوا بان جمعوا فى الكايتول كل أنواع

السلاح واقامة المعادل والحصون حوله وكان أرل همهم نقل الاشياء المقدسة اليه
 اخذت عذارى فستاوهن هاربات نار فستا والاشياء المقدسة التي عهدت
 اليهن صيانتها ؛ ويزعم البعض انه لم يكن عليهن سوى تعهد النار الدائمة . انشأ
 نوما هذه العبادة لانه كان يعتبر النار جوهر كل شىء وهى بطبيعتها اشد العناصر
 حركة ، وكل تجدد حركة أو يصدر عن حركة وان جميع المواد الطبيعية تنتهى
 متى قدمت حرارتها الى حالة جمود لا تختلف كثيراً عن الموت وحاجتها الى
 عمل النار القوى كحاجتها الى الروح او الحياة ، وهى عملت فيها عاون الى العمل ،
 كأنها تحمل ما يصيبها من احداث المخلوقات الاخرى . هذا مادعا نوما ؛ ذلك
 الرجل العظيم الذى بلغ من حكمه أن قيل عنه أنه كان يحدث الالهة ، الى
 تقديس النار وامر أن يحتفظ بها . وقدة على الدوام رمزاً لتلك القوة الخالدة التى
 تدير الكون . ويزعم البعض أن الرومانيين كاليونانيين يبقون النار دائماً أمام
 الاشياء المقدسة إشارة الى طهارتها وانه يوجد بالهيكل اشياء أخرى مقدسة لا يراها
 سوى عيون العذارى اللاتى تدعى (فستال) وهن الاشاعات المستفيضة ان يوجد
 فى هذا الهيكل البيلاديوم الذى احضره انياس من تزواده الى ايطاليا ويزعم
 البعض انها آلهة سام وطرس قائلين أن درواتوس مؤسس تزواده نقلها الى مدينة حيث اسس
 حفالاتها وعبادتها وأنه عند سقوط تزواده قام انياس فانزعهاسرا ونقلها الى ايطاليا
 ويقول البعض مما يدعون المعرفة انه يوجد بالهيكل برميلان (زنبلان) متوسط
 الحجم احدهما مكشوف وفارغ والاخر مغطى وملآن . وللعذارى دون سواهن الحرية
 فى مشاهدتها ويكذب البعض هذه الرواية قائلين ان العذارى اخفت فى الزمبابين
 اكثر الاشياء المقدسة ودفنتها تحت هيكل كيرينيس فى المكان الذى يعرف
 حتى اليوم باسم دوليولا ثم اجتمعت اكثر الاشياء الدينية قداسة واحتراما وهربت
 بها عن طريق التتر . وحدث فى ذلك الوقت ان احد العامة لوسيووس ابيدوس
 كان مغادرا روما مع الهاربين وقد حمل على عربته اولاده الصغار وامراته وادواته

الضرورية . ولما رأى العذارى تحمل فوق ازرعتها الاشياء المقدسة سائرات
وحدهن بلا معين وقد اخذ منهن التعب والعياء كل ماخذ انزل زوجته وابناه
واخلي العربة من الاواني واجلس فوقها العذارى ليتمكن من الوصول الى احدى
المدن اليونانية وقد رأت ان تقوى البيبوس واكرامه الآلهة في ظرف حرج كهذا
حقيقة كان يبقى ذكرها بين الناس .

ولكن كهنة الآلهة الاخرى والشيوخ الذين كانوا قناصل أو اكتسبوا كليل
النصر ابوا مغادرة روما فارتدى كل منهم ثيابه المقدسة الفاخرة وقدموا انفسهم
ضحية لوطنهم في صلاة أعادوا فيها ما كان يقوله الخبير الاعظم فابيوس ومن ثم
جلسوا في ساحة الغوروم على مقاعدهم العاجية منتظرين ما قضت به الآلهة

وصل برونوس بعد الموقعة بثلاثة ايام بجيشه الى روما ولما رأى الابواب والاسوار
بلا حراس داخله الشك وخشى ان يكون هناك كمين . ولم يخطر بباله ان
الرومانيين بلغ بهم اليأس ان غادروا مدينتهم . ومن ثم تأكد ذلك فدفع جواده
ودخل من باب كولين واخذ روما بعد تاسيسها بثلاثمائة وستين سنة . هذا اذا
كان من الممكن التثبت من تاريخ قديم كهذا مع ما نعرفه من الاضطراب في
تواريخ الحوادث الحديثة ، وكان اشاعة صامته جرت بين اليونانيين عن نكبات
الرومانيين واغتصاب مدينتهم . قال هيراكليد البونتي الذي وجد بعد هذه
الحوادث بزمن يسير في (مبحثه عن النعس) ان قد جاءت انباء من الغرب ان
جيشات من بلاد القاصية غزا مدينة يونانية تدعى روما وواقعة في الممالك
الغربية غير بعيدة عن البحر الاعظم . ولست استغرب من هيراكليد هذا
الكاتب الخرافي الكذاب ان يتخيل فيزين حادثة اخذ روما الحقيقية بكاهن
القاصية وللبحر الاعظم . اما ارسطوا الفيلسوف فقد أوضح المسألة بعبارة جلية
وقد سمع باغتصاب السلتين (الغالين) مدينة روما ولكنه قال ان الذي
انقدها يدعى لوسيوس مع انه كلفى مركوس لالوسيوس ولم يذكر اليونانيون هذا

الموضوع الارجما بالغيب

لما تمكن برنوس من روما حاصر الكابيتول بثلة من جنده وعاد الى
 الفوروم . أخذه الاعجاب بهؤلاء الشيوخ في ملابسهم الفخمة جالسين في صمت
 عميق ثابتين في أما كنهم عند اقتراب العدو لم يبد عليهم تغير ، لا في وجوههم
 ولا ألوانهم ولم يبد عليهم شيء من الرعب ! ينظرون الى بعض في هدوء متكئين
 على عصيهم ، أثر هذا المنظر المهيب في نفوس الغاليين فبقوا زمنا طويلا لا
 يجسرون على الدنومنهم ولا مسهم يحسبونهم ذواتا مقدسة . واخيرا اجترأ
 أحدهم على الدنومن مانيوس بانير يوس ومد يده بلطف تحت ذقنه ومسك
 بلحيته الطويلة . ضرب مانيوس ذلك البربري بعصاه على رأسه فجرحه ،
 استل البربري سيفه وقتل بانير يوس وحينئذ انهال الغاليون على أولئك الشيوخ
 فدبحوهم جميعاً وأخذوا كل ما وصلت اليه أيديهم وقضوا أياما يسلبون وينهبون
 ويحرقون المدينة وأخيراً أحرقوا النار فيها وقلبوا رأساً على عقب ثائرين ضد
 حامية الكابيتول التي أبت التسليم . والحقيقة أن رجال الحامية دافعت
 ببسالة وحمى معاقها بشجاعة وقتلت نفراً من الاعداء غير قليل لذلك
 خرب الغاليون المدينة وأطلقوا يدهم بقتل كل من وقع بين أيديهم لافرق
 عندهم بين الجنسين ولا عبرة للسن .

طال الحصار وأعوزت الغاليين المؤونة فقسموا جيشهم جماعة تقوم
 بمحاصرة الكابيتول وأخرى تعبت في المزارع ونهب القرى المجاورة ولم
 يسر هؤلاء جماعة بل فرقا وعصابات لما استقر في نفوسهم من كبرياء
 الفوز موقنين أنهم في مأمن وقد قصدوا أكثر هذه الفرق عددا وأكثرها
 مرانا على القتال الى مدينة (اردة) التي لجأ اليها كامي . حيث كان
 يعيش في عزلة عن المسائل العامة عيشة خاصة ولكن في ذلك الوقت
 دبر مشروعا عظيما لم ير من المحال تحقيقه . لم يكن همه حماية شخصه

ولم يرد قط أن ينجو بنفسه من الاعداء ولكنه كان يفكر في أخذهم على غرة وطردهم . رأى أن الاردن اقوياء بدمهم ولكنهم في فشل لعدم خبرة ونزلة قوادهم فبدأ بمخاطبة الشبيبة قائلًا « لا تمزوا هزيمة الرومانيين الى بسالة الغاليين . ان الذين لم يعملوا لنيل النصر لا يستطيعون المفاخرة بنكبات جرمها النصايح والارشادات السيئة ، ان القدر وحده هو الذي أحدث كل شيء . أي مجد تنالون لو تقمتم بالخطر وطردهم البربر وأنقذتم أنفسكم من عدو لا غرض له من النصر سوى أن يشعل النار فتلتهم كل ما تصل اليه . هيا اذا كنتم شجعانا وأردتم أن تبدلوا جهاداً . اني أهيء لكم فرصة للفوز بلا خطر »

وقع هذا الخطاب من الشبان أحسن وقع . قابل كلهم حكام ارادة وشيوخها فواقوه الى ما أراد حينئذ سلاح كل من يستطيع حمل السلاح وأبقى الجميع داخل المدينة خشية ايقاظ الريبة في نفوس الاعداء الذين كانوا على مقربة منه . أما الغاليون فبعد أن عاثوا في البلاد فسادا عادوا بالفتن إلى الحقول وعسكروا في السهل بلا حذر وبغير نظام واطلقوا لشهواتهم العنان فشربوا بلا وعى ، أرخى الليل سدوله وخيم على المعسكر سكوت عميق ولما علم كل من المستكشفين خرج في مقدمة الاردنيين واجتاز بلا ضجة المسافة التي بينه وبين الغاليين فوصل الى معاقلم عند منتصف الليل . أمر الجند ان ترسل صيحات عالية من كل جانب وان يدقوا الطبول ليلقى الرعب في نفوس البربر فلم يكن من هذه الضجة العالية سوى أن اخرجهم بعض الشيء من سباتهم وغموة سكرهم ولم يتمكن من النهوض سوى قليل ؛ وثب مسرعا الى سلاحه وبرزوا لكلامي فهاكوا وهم يقاتلون . أما الباقون الذين استغرقهم غفوة النوم والسكر فقد ذهبوا جميعاً . وكذلك الذين هربوا تحت جنح الظلام وتفرقوا في الخلاء فقد

أخذتهم الخيالة في صباح الغد وأعملت فيهم السيف .

سرعان ما انتشر خبر هذا النشر في جميع المدن المجاورة فرأى كامي الناس يسرعون اليه ذراقات ووحدا نا لا يطلبون سوى القتال تحت امرته . جاء اليه الرومانيون الذين كانوا في فايبي التي لجأوا اليها بعد هزيمة « أليا » وهم يتحدثون أنفسهم في اسف قائلين ، « أي قائد انتزع القدر من روما . لقد اذاع كامي بانتصاراته سمعة (اردء) اما المدينة التي انجبت وغدت ذلك القائد العظيم فقد ضاعت ولا معين لها . ونحن الذين لم نجد قائدا يقودنا بقينا بين اسوار اجنبية بلا عمل نخون عهد ايطاليا . لماذا لانطب الى الارديين قائدا ؟ او لماذا لا نتخذ السلاح ونسرع للحاق به ؟ لم يعد كامي منقيا ولا نحن وطنيين اذ لم يعد لنا وطن واذا اصبحت روما في قبضة الاعداء ، ،

وقف بهم التفكير عند هذا الحد ، فوافدوا الى كامي يرجون اليه تولي القيادة فاجابهم كامي انه لا يقبل اختيارهم هذا اذا لم يصادق عليه طبقا للشرائع الوطنيون المحاصرون في الكايبنتول وانه يرى فيهم ما بقيوا « للوطن » وانه مستعد لتنفيذ امرهم ولكنه لا يعمل ضد ارادتهم ، ، اعجبوا بوداعة واخلص كامي ولكن المشكلة هي ايجاد شخص يحمل هذا الخبر الى الكايبنتول وراو امن المحال ان ينقذ احد الى القلعة والاعداء في المدينة

كان بين الشبان رجل يدعى بوتتيوس وطني متوسط الحال ولكنه شديد الشوق الى المجد . تقدم لحل هذه المهمة الخطرة . لم يحمل الى الرومانيين المقيمين في الكايبنتول رسائل خشية ان يعلم الاعداء اغراض كامي اذا اخذ . سافر مرتدبا ثيابا حقيرة يخفي تحتها قشورا من الالياف سافر طول نهاره بلا عائق وصل بالقرب من روما عند مدخل الليل ولم يستطع اختيار جسر النهر لان البربر كانوا يحرسونه فلف ثيابه على رأسه لم تكن ثقيلة ولا معطلة والتي بنفسه في النهر يقطعها سباحة بفضل مالف حول جسمه من الالياف . اجتاز نهر التبر حتى سفع الاسوار

واجتنب الاماكن التي ثنبتة النيران والضجيج بيقظة حراسها ، وسار حتى بلغ باب كارمنتال حيث كان السكون مخيا . وفي هذا المكان كان جبل السكايتول مرتفعا عموديا يراه الناظر صخرة ضخمة صعبة المرتقى ، تسلقه في خفية عن الانظار وتمكن بصعوده السريع الذي عانى فيه الصعاب من الوصول الى طلائع الخراس حياهم وذكر اسمه استقبلوه وساروا به الى الحكم . اجتمع الشيوخ لوقتهم اعلان بونتيتوس اليهم خبر انتصار كامى الذى لم يعملوا عنه شيئا واطلعتهم على ماقر عليه رأى الجنود وحثهم على تأييد انتخاب كامى بما انه القائد الوحيد الذى يريد الرومانيون الذين فى الخارج طاعة اوامره . قرر مجلس الشيوخ بعد المداولة تعيين كامى حاكما عاما (ديكتاتور) وارسلوا اليه بونتيتوس من حيث اتى . لقي من التوفيق فى عودته مالقى فى رحلته ونقل الى الرومانيين قرار مجلس الشيوخ . تولى كامى القيادة برضى الجميع . كان تحت امرته عشرون الفامن الجنود وحثد عددا اكبر من المحالفين وتمهيا لتسير ضد البربر هكذا صار كامى ديكتاتورا للمرة الثانية وسار الى فايى حيث تولى قيادة الرومانيين وجيشا اكثر منهم عددا من المحالفين واستعدلمهاجمة الاعداء

حدث فى روما ان بعض رجال البربر اجتازوا الطريق الذى سلكه بونتيتوس الى السكايتول ولاحظوا فى جملة اماكن اثار الاقدام والايدي لان بونتيتوس كان وهو يتسلق الجبل يمسك بكل ما اتصل اليه يده واثار ذلك ظاهرة فى الاعشاب النابتة على جدار الجبل وقد انحدرت بضعة من احجاره بلغوا ذلك الى الملك . ذهب اليها بنفسه وتعرف حقيقتها ولم يقل شيئا حينذاك ولكنه عند المساء جمع انشط رجاله ممن يحسنون تسلق الجبال ، وخطبهم قائلا

« ان الاعداء ارونا بانفسهم الطريق المؤدى اليهم ، ولم نكن نعرفه . وارونا انه ليس صعبا ولا عسير المسلك . وبالعارنا اذا كنا بعد ان فزنا بالبد اية نضعف

قبل الوصول الى النهاية ! او تركنا المسكان كانه مما لا يؤخذ بعد ان ارشدنا الاعداء
انه مما يؤخذ !

حيث سار رجل بمفرده لا يعز على الكثيرين السير اليه جملة الواحد بعد الاخر
مساعدين متعاونين على ان المكافآت الحسنة والشرف العظيم يكون جزاء كل منكم
على نسبة شجاعته »

عملت خطبة الملك عملها في النفوس ووعد الفاليون باقتحامه مستبسلين .
وفي منتصف الليل بدأوا يتسلقون في صمت جملة الواحد بعد الاخر آخذين
بنوائى الصخور . كان الصعود صعباً ولكنهم وجدوه الطف وأيسر مما كانوا
يظنون . بلغ الاوائل قمة الجبل وكانوا على وشك الاستيلاء على المعقل ومفاجأة
الحراس النيام اذ لم يشعر حارس ولا كلب . ولكن كان هناك سرب من الاوز
يعنون به حول هيكل جينون ؛ كانوا يطعمونه أيام الرخا اما وقد أصبح الرجال في
حاجة الى الغذاء . اهلوه فكان يتضور جوعاً . وهذا الطير دقيق السمع يفرع
لاقل حركة وهذه الحيوانات التي أيقظها الجوع وجعل شعورها بالفرح لاقل حركة
أشد أثراً أحست به نو الفاليين . أسرع اليهم في صيحات عالية أيقظت جميع
الرومانيين . رأى الفاليون ان قد كشف أمرهم ؛ فلم يخشوا احدث أية حركة
وهاجموا بلا تردد . أسرع الرومانيون الى أقرب سلاح وصلت اليه أيديهم ووقفوا
للعُدو وكان مانيليرس وهو قنصل سابق أول من هاجم البربر وكان رجلاً متين
العضد وافر الشجاعة اعترضه عدوان دفعة واحدة ورفع أولهما الفأس ليهشم رأسه
فقابله مانيليرس بضربة سيف أطارت ساعده وصدم الاخر بدرعه فالتقاء في الهاوية
ثم وقف على السور مع من لحقه يدفع الآخرين من الاعداء ولم يكن عددهم كبيراً
وذهبت مخاطرهم سدى . نهض الرومانيون عند فجر الغد وقد نجوا من الخطر
فالتقوا الى الاعداء من أعلى الصخر بقائد حرس الليل ومنحوا مانيليرس جراً
انتصاره مكافأة تجمع بين الشرف والفائدة . منحه كل منهم غداء يوم وهو نصف

رطل من حنطة البلاد وربع زجاجة يونانية من الحمر .

فت هذا الخذلان في عضد الغاليين وبت حاجتهم الى المؤونة ومنعهم الخوف من كامي من الخروج للسلب وانتشر المرض في ذلك الجيش الذي كان يعيش بين أكداس من جثث القتلى واطلال المنازل التي التهمتها النار . وكانت أكوام الرماد التي جففتها حرارة الشمس وأثارها الرياح تتبخر فتفسد الهواء وتملأ الريشات بسمومها القاتلة . وقد ساعد تبديلهم معيشتهم الاولى مع انتشار العدوى . اعتادوا المقام في بلاد منكشفة ودارنة الظلال يجدون في ظلها مأوى لطيفاً من حرارة الصيف وأصبحوا في بلاد منخفضة حارة لاسيما في فصل الخريف يضاف الى هذه الاسباب طول زمن الحصار ، فقد مضى أكثر من ستة شهور وهم وقوف تحت سفح الكابول لذلك انتشر الوباء في الجيش وكثر عدد الموتى بحيث لم يعد في الامكان دفنهم على ان حالة المحاصرين لم تكن أقل خطراً . أخذت المجاعة تشتد بينهم ، وقدوت في ساعدهم جهاهم حركات كامي . لم يستطع أحد ان ينقل اليهم أعمال كامي ورجاله لان البربر كانوا يشدون الحصار على المدينة وفي هذه الحالة التي اشتد ويلها على الجانبين بدأت مفاوضات الاتفاق بواسطة محادثات جرت بين الطلائع ومن ثم ذهب سولبيوس بناء على فرار كبار الوطنيين لمفاوضة برنوس وتم الاتفاق بينهما على ان يدفع الرومانيون الف جنيه ذهباً وزناً وان الغاليين عند استلامها يغادرون المدينة والاراضي . قبل الطرفان الاتفاق واقبما عليه وقدم الذهب فبدأ الغاليون يغشون في الوزن ، بدأوا ذلك خفية بغش الموازين ثم علانية بامالة كفة الميزان . لم يخف الرومانيون استيائهم ولكن برنوس أضاف الى الخيانة الإهانة والسخرية فترع سيفه ووضع في كفة الموازين مع الزرد . سأله سولبيوس مع أي معنى هذا ؟ فاجابه برنوس وأي معنى يمكن ان يكون سوى « الويل للغلوب » فذهبت هذه الجملة مثلاً .

اراد بعد الرومانيين لشدة استيائهم ان يأخذوا الذهب ويعودوا الى

الكاتبول للاستمرار في حالة الحصار ورأى البعض احتمال الاهانة لقلعة خطرهما
فما بين ليس العار ان ندفع اكثر مما وعدنا ولكن العار ان نقهر على الدفع ، وهذه
ضرورة مخزية حتمتها علينا الظروف

بينما كان النزاع قائماً بينهم وبين الغاليين ، وبينهم وبين بعضهم كان
كامي على رأس جيشه قد وصل الى ابواب روما . ولما علم بما هو جار امر
جيشه بالمسير خفيف الخطى حريصاً على النظام اما هو فسار بنخبة جيشه مسرعاً
وفي لحظة كان بين الرومانيين واذراً لجميع تفرقوا واستقبلوه كرئيسهم الاعلى
بكل تجملة وفي صمت عميق . اخذ كامي الذهب الذي كانوا يزنونه واعطاه
لحراسه وامر الغاليين ان يأخذوا ميزانهم وموازينهم وينصرفوا ثم قال « ان
الرومانيين تعلموا من آباءهم ان يشتروا وطنهم بالحديد لا بالذهب » انتفض
برنوس غضباً وقال هذا ظلم ومخالفة للمعاهدة فاجابه كامي « لم تعمل تلك
المعاهدة حسب القوانين والاتفاقات مانعة . انا المنتخب ديكتاتور فكل سلطة
معطلة بامر التانون . لقد تعاقدت مع اناس لا شأن لهم فيجب ان تعرض على انا
مطالبك . لي سلطة القانون . لي ان اصفح عنك اذ توسلت ضارعا ولي ان أعاقبك
كجرم اذا لم تبد الندم .

اغضب برنوس هذا الكلام فتقلد سيفه فجرد الجانبان سيوفهم فبدأت
ملحمة عنيفة اختلط فيها الاعداء اختلاطاً لم يكن منه بد بين الخرائب وفي
طرق ضيقة لا يمكن فيها تنظيم القتال . عاد برنوس الى صوابه وانسحب بجيشه
الى معسكره بعد خسائر قليلة ولما جنى الظلام انسحب بجيشه مفادراً روما وعسكر
على مسافة ستين غلوة بالقرب من طريق جاني . وفي مطلع الفجر كان كامي
هنالك متقلداً سلاحه اللامع يتبعه الرومانيون . وقد عادت اليهم الثقة بانفسهم
نشبت هناك معركة طويلة شاقة . تمكن كامي فيها من تمزيق شمل الاعداء
وأوقع بهم هزيمة تامة واستولى على معسكرهم وكان نصيب الهاربين الذبح اذ تعقبهم

الثائرون من الرومانيين اما الذين تفرقوا في الخلاء والمزارع فقد تولى سكان القرى والمدن المجاورة ابادتهم هكذا اخذت روما بكيفية غريبة وأعيدت بكيفية اشد غرابة وقد بقيت في ايدي البربر سبعة شهور كاملة . وصلوها في (ايد كانيلين) وطردها منها نحو (ايد) فبراير .

فاز كامي باكليل النصر ولا اقل منها لرجل انتزع وطنه من ايدي الاعداء واعد روما ذاتها لان الوطنيين الذين غادروها بنسأهم واولادهم عادوا اليها في اثر المنتصر . وقد خرج الذين كانوا في الكابتول لاستقباله . وقد كاد الجوع يقتلهم فكانوا يمانقون بعضهم البعض وهم يذرفون دموع الفرح لا يصدقون هذه السعادة التي لم تكن منتظرة وكان الكهنة وسدنة الهياكل يحملون الاشياء المقدسة التي اخفوها قبل الفرار أو احتملوها معهم وكان أكرم وأقدس مشهد في نظر الوطنيين ، خيل لمن شهد احتفاء الشعب باستقبالهم كان الآلهة ذاتهم يدخلون الى روما معهم . قدم كامي الضحايا وطهر المدينة برسوم أملاها عليه الاحبار ثم أصلح الهياكل وبنى عدا الموجود منها هيكلًا ابوس لوكتيوس (١) في المكان الذي سمع فيه ماركوس سيديتيوس ذلك الصوت الالهى الذي انبأه بقدم البربر . لم تكن معرفة اما كن الهياكل من الامور الهينة لولا مسابرة كامي وعناية الكهنة وبخسهم الدقيق ولما جاءت مسألة إعادة نياز المدينة التي عمها الخراب . أستولى الخول على العقول وخارت العزائم امام هذه المهمة . اخذ الشعب الذي كانت تعوزه جميع حاجاته الضرورية في التسوية يوما بعد يوم

وكان القوم بعد ما الم بهم من النكبات في حاجة الى شيء من الراحة فقد ذهبت اموالهم ، وضعفت اجسامهم فترددوا في القيام بهذه الاعمال وانهاك قواهم أكثر مما هي عليه ثم اخذت الافكار تتحول الى ما كانت عليه من الاتجاه

(١) اسم مؤلف من كلمتين . القول والعلام .

اني فاني لان هذه المدينة لم تمس بسوء وتعيش في رغد . اتميز زعماء الشعب هذه
الفرصة وجعلوا منها مادة خطب وتحريضات جديدة وجعلوا كومي هدفا لهجماتهم
الاثيمة وهي لم تكن في عرفهم سوى ان كومي يبني على الوطنيين مدينة مستعدة
لاستقبالهم لغير شيء سوى اشباع شهوته لرفعة مجده الشخصي ، وانه يكرههم على
سكن الاطلال البالية واثارة رماذ تلك المحرقة الواسعة حتى لا يقال عنه فقط انه
رئيس وقائد الرومانيين بل ومؤسس روما ، واينترزع هذا اللقب من رومولوس
خشى مجلس الشيوخ حدوث انقلابات فخالف القوانين بالرغم من الخاح كومي
وكانت تقضى الا تزيد مدة الديكتاتورية عن ستة شهور فلا يقبل أن يقبل
الديكتاتور قبل نهاية السنة

أخذ الشيوخ يلاحظون الوطنيين ويعزوبهم ويستميلونهم بالاقناع والملاينة
فكانوا يرونهم آثار ومقابر آباءهم ويندكروهم بتلك الهياكل والاماكن المقدسة
التي قدسها رومولوس ونوما وغيرها من الملوك واصبحت وديعة بين ايديهم اما
الادلة المدنية التي كانوا يدللون بها فهي تلك الرأس البشرية التي وجدوها حديثا
وهم يحفرون اساس الكابول فهي وعد من الاقدار للمدينة التي ستبنى في هذا
المكان بان تكون روما ما عاصمة جميع ايطاليا ونارفتنا المقدسة التي اوقدتها
الكاهنات بعد الحرب وهم يريدون اطفائها مرة ثانية بتركهم المدينة رما هذه
التي ستكون عارا عليهم لوجاء شعب آخر وأقم فيها مدينة تحت انظارهم او بقيت
خرابا ترعى فيها الماشية هذه هي الاقوال المؤثرة التي كانوا يوجهونها لكل وطني
على حده والتي كانوا يكررونها امام الجميع في الحفلات والاجتماعات ولكنهم
كانوا من جهة أخرى متأثرين يرثون لبؤس ذلك الشعب الذي يبكي نفاقته
ويضرع اليهم ان لا يرهقوا اناسا نجوا من غرق عريانيين ولا معين لهم باقامة
انقاص مدينة مهدمة في حين وجود مدينة اخرى تصلح لسكناهم

رأى كومي أن يبدي مجلس الشيوخ رأيه في هذه المسألة والتي في المجلس

خطابا مستفيضا عرض فيه صلاحة البلاد . ثم سمع المجلس اقوال من اراد الكلام من الشيوخ . وشرع في اخذ الاصوات مبتدئين بلسويوس كركراتيوس الذي جرت العادة ان يكون اول المصوتين . ثم يبدي كل رايه حسب درجته . خيم السكوت على المجلس ، ونهض كركراتيوس للكلام واذا بالضابط المتولى حراسة النهار ما يجنده صدفة يصيح بصوت عال مخاطبا حامل العلم ، قف واغرس العلم هنا ثم قال « مكان بديع لنبقى هنا » عند سماع هذه الكلمات وهى اشبه ما يكونه بمقتضى الحال وموضوع المباحثة والحيرة التى تقسمت النفوس ، كان لوكراتيوس يعبد الالهة (من المؤمنين) فقال وقال معه بقية الشيوخ ان رايه رأى الوحي الذى سمعه . حدث فى ارادة الشعب تغير عجيب . اخذ يحرض بعضهم البعض عن العمل برغبة وحماسة غير منتظرين لتخطيط الشوارع بل كان كل منهم يبني فى المكان الذى يراه ملائما .

اندفع القوم فى العمل لهجة ناهضة غير مبالين بتقسيم الطرق وساحة المباني فلم يعض سنة حتى برزت المدينة كاملة البناء ، اسوارها ومنازل افرادها . اما الذين امرهم كاهن بالبحث عن الاماكن المقدسة والكشف عن حدودها فقد طافوا حول (بالاتيوم) ووصلوا الى هيكل مارس . القوا هذا المعبد كغيره ، ماخر به واحرقه البربر ، ولسكنهم وجدوا وهم يرفعون الانتقاض تحت كومة رماد عصا رومولوس الرمزية . وهو قضيب محنى من أحد طرفيه يدعى لبيتوس وكان يستخدم لتعين الاقطار السماوية عند اخذ الوحي فى هذا كان يستعمله رومولوس ، ذلك الامير الضامع فى علوم العرافة . ولما اختفى رومولوس واخذ الكهنة الليتوس وعنوا بصيانتته

عناية دينية لا يسمحون بفساد شأنه شأن الاشياء المقدسة (٥) فرحوا لوجوده فرحا عظيما اذ لم تلتهمه النار كما التهمت سواه ورأوا فيه فاتحة أمل عظيم لسعادة روما ورأوا فيه اشارة تبشر المدينة بالخلود

لم تكن تلك الاعمال قد بلغت تمامها حتى فوجيء القوم بحرب جديدة ذلك أن الابكيين والفولسكيين واللاتينيين أغاروا بسلاحهم على أراضي روما . حاصر الانرسكيون سوتريوم وهي مدينة مخالفة للرومانيين وحاصر اللاتينيون القواد الذين أقاموا جيشهم على مقربة من جبل مارسيس واذا رأوا أنفسهم في خطر أرسلوا يستنجدون روما فعين كامي ديكتاتوراً للمرة الثالثة.

ولهذه الحرب روايتان مختلفتان . أبدأ بالخرافية منهما . يروى أن اللاتينيين أرادوا التذرع بحجة ما لقطع علاقتهم مع الرومانيين أو أنهم أرادوا كما فعلوا سابقاً ان يتصلوا معهم بمصاهرة جديدة . أرسلوا اليهم يطلبون زوجات من الفتيات الاحرار . صار الرومانيون في الامر ولم يكونوا قد استراحوا بعد من المشاق والخسائر . فكانوا يخشون الحرب . وداخلتهم من جهة أخرى الرغبة في أن اللاتينيين لم يقصدوا بهذا الطلب سوى الحصول على رهائن وما كلة المصاهرة سوى غطاء يسترون به عرضهم . تقدمت عبدة تدعى توتولا ورددوها اليهض (فيلوتيس) الى الزعماء الحريين بنصيحة أن يرسلوها مع طائفة من العبدات الحسان في فتيات كريمات البيوت وان يعتمدوا عليها فيما بقي . قبل الحكم اقتراحها وانتخبوا العدد الذي أراده عن زميلاتها وافرغوا عليهم افخر الثياب وزانوهن بالخلي الذهبية . وسلموهن الى اللاتينيين المعسكر بنغير بعيد عن المدينة أسرعت هذه النساء الى جمع سلاح الاعداء وصعدت توتولا أوفيلوتيس الى قمة شجرة تبين بريقاً وأسدت خلفها ملاءة ورفعت نحوروما مشعلاً موقداً . وكانت هذه علامة اتفقت عليها مع الحكام على غير علم الوطنيين . لذلك حدث اضطراب عند خروج الجند مساء على أمر الزعماء . فكانوا يدعون بعضهم البعض وبكل مشقة وصلوا الى تنظيم صفوف القتال ومها يكن الامر فقد اتقوا على مواقع الاعداء ولم يكن هؤلاء يتوقعون ذلك بل كانوا نياما . فاستولوا على معسكرهم وذبحوا منهم خلقاً

كثيراً . وقع هذا الحادث في يوم عذارى يوليوس المعروف بعذارى (كنتايس) ولا زالوا حتى اليوم يقيمونه في روما عيداً تذكاريًا . يخرج فيه الرومانيون في شيء من الاضطراب ، يلفظون أشهر الاسماء الرومانية بصوت عال . مثل كايوس ، ماركوس ، لوسيوس ، وغيرها يلقدون خروج الجنود وهم يدعون بعضهم البعض باسمهم ثم يخرج العبدات في ثياب فخمة تطوف المدينة في مروح ترمى كل من تقابله بسوار ثم تقمن فيما بينهما نوعاً من القتال اظهاراً للنصيبين في مقاتلة اللاتينيين . ثم تجلس تحت ظلال اشجار التين حيث تقدم لبن وليمحة . ويدعى هذا اليوم عذارى كبراتين وهو اسم مشتق على ما يظن من اسم شجرة التين البري التي اعتلتها العبدة رافعة المشعل وذلك لان شجرة التين البرية تدعى كبريفيكس في لغة الرومانيين . ويزعم البعض أن ما يقال ويعمل في هذا العيد إنما هو إشارة الى اختفاء رومولوس . والحقيقة أنه اختفى في ذلك اليوم ابان عاصفة هبت فجأة صحبها ظلام حالك . أو كما يظن البعض اثناء خسوف الشمس ويكون اسم عذارى كبراتين المطلق على هذا اليوم مشتق من (كبرا) وهذا اسم لاتيني للعنزة لان رومولوس اختفى وهو يعتقد جاسة شمسية بالقرب من غدير العنزة كما ذكرت ذلك في « حياته » .

أما الرواية الثانية التي أجمع عليها أكثر المؤرخين فهي علم كامي وهو ديكتاتور للمرة الثالثة أن اللاتينيين والفولسكين حاصروا جيش الشعب الحربيين في معسكرة فاخطر لتجنيد جيش كبير حتى من تجاوزوا سن الجندي وقطع دائرة طويلة حول جبل مارسيوس وعسكر بجنده خلف العدو دون ان يراه . وأدرك نارا ليعلم المحاصرين بحضوره . فعاد هذا المشهد الشجاعة الى قلوبهم واعتزوا الخروج لمهاجمة العدو . ولكن اللاتينيين والفولسكين بقوا في معسكرهم وخضعوا جميع جوانبه وتربصوا في مكائهم اذ رأوا أنفسهم بين جيشين وعولوا على انتظار جيش من يلوهم أو مساعدة الاتروسكيين . أدرك كامي غرضهم وخشى أن يحاصر هو أيضاً فتعجل الحوادث كابت معاقل الاعداء من الخشب وكانت تهب كل

صباح ریح شدیدة من الجبال . أعد كأفي كمية وافرة من الخرامات . وأمر جيشه بالاستعداد عند الصباح . وأمر جزئا من رجاله أن يستخدم النشاب وأن يهاجم العدو من جانب صايحا صيحات عالية أما فهو فبقي مع حملة الثيرات في المكان الذي تهب منه الريح وانتظر الفرصة الملائمة . نشب القتال في الجهة الاخرى وهبت الريح عند طلوع الشمس بشدة . وعند ذلك أمر كأفي رجاله ان يقدفوا السهم النارية اشتمعت النار بالاورتاد المتلاصقة التي تحميتها أخشاب أخرى خافية امتدت النار بسرعة الى جميع الخظيرة ولم يكن لدى اللاتينيين ما يرمونه به ولا ما يتفون به تقدمهم فاتهمت النار المعسكر كل تجمعوا أولا في مكان ضيق ثم اضطروا الى الخروج فلقبهم جيش مصطفى للقتال أمام معاقلم . ولم يبرح سوى القليل اما الباقون فقد التهمتهم النار اخذ الرمانيون بعد ذلك في اطفائها واضتموا يدهم في السلب والنهب .

ولما فرغ كأفي من هذا عهد الى ابنه لوسيروس في قيادة المعسكر وحراسة الاسرى والغنائم . ودخل اراضي الاعداء واستولى على مدينة الايكينين واكره الفولسكين على التسليم . ثم اسرع بجيشه الى سوتريوم لانه لم يكن يعلم بعد نكبة السوتويين . وانها ان المدينة لم تكن في حاجة الا الى نجدة سريعة وان الاترسكين يحاصرونها ويخشى استيلائهم عليها . ولكن السوتويين كانوا قد ساهوا المدينة الى الاترسكين فجردوهم من كل شيء لم يتركوا لهم سوى ثيابهم . فقابلوا كأفي هم وناوهم وأطفالهم ليكون ما حل بهم من الويلات . رأى كأفي حالهم ورأى الرومانيين يكون رحمة وعظفا على السوتويين فعول على ان لا يؤجل الانتقام لهم وان يسير في اليوم ذاته الى سوتريوم قتالا في نفسه ان اناسا استولوا على مدينة غنية عظيمة لم يبقوا فيها عدوا واحدا ولا يخشون احدا من الخارج لانه من ان يكونوا الآن منصرفين الى اللهب والدم في غير حذر دخل ابوابها لم يخطيء في حدسه . ولم يدخل فقط ارض سوتريوم بل وتجاوز اسوارها دون ان يشعر به

أحد منهم . لم تكن هناك حراس بل كان الاتروسكيون متفرقين في كل ناحية يلهون ويمرحون . ما افاقوا حتى راوا العدو مسيطرا على المدينة . كان قد بلغ بهم المرح والحمر حتى لم يفكر احد منهم في الحرب . فاستسأوا معه بكل خزي للقتل او التسليم بلا دفع . وهكذا اخذت سوتريوم مرتين في يوم واحد . طرد منها الذين استولوا عليها . واستعادها الذين طردوا منها بفضل كامي

لم تكسبه الحملتان الاخيراتان من المجد والاجلال أقل مما فاز به في الحملتين السابقتين لم يجد اليه اعدائه حتى الذين كانوا ينسبون انتصاراته الى القدر لا الى فضله لم يجد هؤلاء بدا من الاعتراف امام الواقع بفضله وتقدير خبرته وحكمه وكفاية حق قدرها . وانه وحده صاحب تلك الانتصارات . كان ماركوس مانيوس اشد اعدائه صراحة وحسدا وهو اول من رد غارة الساليتين في العلقمة ليلة تسبقوا جدران الكابول وكوفى على ذلك بلقب (كابتوليونيوس) اراد مانيوس ان يكون الاول بين مواطنيه واذا لم يستطع التفرق دلي كامي بطرق شريفة عمد الى سبيل الذين يطمحون الى السيادة : كان يجتذب اليه (الثقلين بالديون) بان تولى الدفاع عنهم ضد دائئيم في الحماكم وكان ينزع المدين بالثوة من دائئيم مع ان القوانين تقضى باستعباده لدائئيمه . لذلك التفت حوله عصاة من البؤساء ازعجوا كبار الوطنية في جلسات (الفوروم) انتخب كاتوس كابتوليوس ديكتاتورا في هذه الاثناء فامر بسجن مانيايوس . ولكن الشعب لبس الحداد وهي حالة لا تحدث الا عند المصائب الكبرى العامة . خشى مجلس الشيوخ الفتنة فاطلق صراحه وبدل ان يخرج من السجن خبرا مما كان اثار الشعب في محنة اشد خطر وملاً المدينة فتنة

انتخب كامي زعيما حربيا : وقدم مانيوس للمحاكمة ولكن منظر الكابول كان قذى في عيون المدعين اذ كانوا يرون من الفوروم المسكن الذى قاتل فيه مانيوس السلميين ليلا . وكان هو يمد يده الى العلقمة وعيناه مفرورتان بالدموع

يد كرالر ومانين بمواقعه . كان جميع الحضور يعطفون عليه وخطر القضاة غير مرة الى تأجيل الفصل في امره . لا يستطيعون تبرئته والتهمة ثابتة عليه . ولا يستطيعون الحكم عليه لازل الكابتول يمثل امام عيونهم خدمات ماينلوس ، ادرك كامي هذه الحالة فنقل المحكمة خارج المدينة في غابة بانثليان حيث لا يرى الكابتول . وهناك تمضن المدعى فاثبت التهمة ورأى القضاة ولم يكن هناك ما يذكرهم بخدمات ماينلوس فاخذة بجزيرة وحكوا عليه بالموت فقادوه الى الكابتول وقذفوا به من اعلى الصخر فكان شاهد مصرعه كما شهد عمله الجليل . هدم الرومانيون منزله وبنوا مكانه هيكلًا لالهة مونثيا واصدروا امرا يحرم على (الباترسن) الاشراف السكنى في جبل الكابتول .

دعى كامي للمرة السادسة الى الزعامة الحربية فابى قبولها لتقدمه في السن ولانه خشى بعد ما احزره من النصر والمجد شر الحسد أو انقلاب الخط . وكان أظهر اسباب امتناعه ضعف صحته اذ كان مريضاً . ولكن الشعب لم يقبل عذره صامحاً انا لانلزم القتال راجلاً أو راكباً انما نريد الاستعانة بنصائحه في القتال . فاضطر لتولى قيادة الجيوش ، يعاونه لوسيوس فور يوس احد زعمائه . قاد الجيش لمواجهة الاعداء فاهم البرنستيون والفولسكيون ، عاثوا بجيش عمرم في اراضى حلفاء الرومانيين . سار كامي اليهم وعسكر على مقربة من معسكر العدو وقصد الى التسوية حتى اذا حانت ساعة القتال يكون قد استرد قواه واستطاع خوض المعركة . ولكن زميله لوسيوس كان ياتهب شوقاً الى المجد ولم يستطع الانتظار وامتدت شهرته الى جميع الرؤساء من ضابط وحملة رماح وخشي كامي ان يتهم بجرمان الشبيبة حسدان فرصة ينتصرون فيها ويظهرون تفوقهم وكفائتهم . فسمح لوسيوس في اسف بالتقدم للقتال ولزم هو معسكره مع قليل من الجنود .

هاجم لوسيوس الاعداد هجمة عنيفة ولكن اضطر للتقهقر . رأى كامي الرومانيين قد لازموا بالفرار فلم يطق صبراً ففر من فراشه واسرع بمن معه من

الجند الى أبواب المعسكر واخترق صفوف الفارين وهاجموا مطاردتهم فارتد الرومانيون الذين بلغوا المعسكر على اعقابهم وانضموا الى كامي وانضم اليه الغارون الذين كانوا في السهل وانتظموه في صفوف القتال يحرض بعضهم البعض الا يتركوا قائدهم . وقت الاعداء في ذلك اليوم طرادهم وفي الغد تقدم اليهم كامي بجيشه وما زال يعمل فيهم السيف حتى أجهّم إلى الفرار . دخل معسكرهم مع الهاربين ولم ينج من سيفهم احد . علم بعد انتصاره أن الاتروسكين استولوا على (ساتريا) وقتلوا جميع أهلها وهم رومانيون . فارسل إلى روما المشاة والمدخيرة وسار في نخبة رجاله الى الاتروسكين الذين احتلوا ساتريا . هزم الاعداء وطردهم من المدينة بعد أن هلك الكثيرون منهم في القتال . عاد كامي إلى روما يحمل الغنائم فكان برهانا قاطعاً على أنه احكم الشعوب شعب لا يخشى كبرسن أو ضعف قائده عرف بالخبرة والبسالة يؤثرونه مهما يكن مريضاً ومهما تكبر رغبته في الامتناع ، على جماعة الشبان الذين يطلبون القيادة ويبدون كل جهد للحصول عليها .

علم الرومانيون بثورة التوسكوليين فعهدوا الى كامي أيضاً في معاقبتهم تاركين له حرية اختيار من يريد من زملائه الخمس . وكان كل منهم يرجوا ملجأ ان يكون المختار . ولكن كامي على غير ما كان ينتظر اجميع ترك الكل واختار لوسيروس فورسيوس الذي خلفه قبلاً وقام بتلك الحملة الشعواء . وكان كامي أراد بذلك أن يقدم لفوريوس فرصة يصلح فيها خطأه ويمحو اعاره . استولى الرعب على التوسكوليين اذ علموا بقدم كامي فعمدوا إلى الخيلة يسترون بها خطاهم نشروا الزراع والرعاة في الحقول يحرثون الارض ويرعون الماشية شائبهم في وقت السلم ، وابقوا أبواب المدينة مفتوحة . وارسلوا ابناءها على عاداتهم الى المدارس واخذ الصنائع يعملون في مصانعهم في طمانينة ومشى الناس في طرق المدينة بثيابهم العادية وكان الحكام مسرعين هنا وهناك كما أنهم يهيمون

نفسا كنى الرومانيين، وكما نهبهم لا يخشون أمراً ولا موضع للريبة فيهم . لم تذهب هذه المظاهرة بما كان يعتقد كأمى من اضرارهم الشووة . ولكنه تأثر بما بدأ من مظاهر الندم والنكران . فأمرهم بالرحيل إلى مجلس الشيوخ ليتقوا غضبه غيبهم . أيد رجاءهم وأبرأ مدينتهم من التهمة وحصل لهم على حقوق المدينة الرومانية . هذه أهم أعماله مدة زعامته السادسة .

حدث بعد ذلك ايسينيوس ستولون فتنة شديدة في روما محرطاً الشعب ضد مجلس الشيوخ . اراد الشعب أن يكون أحد القنصلين المنتخبين من الشعب (السوقة) بدل أن يكون من الاشراف . جرى انتخاب رعاء الشعب ومن ثم منع الشعب اجراء الاقتراع لانتخاب القنصلين . فوشكت المدينة لعدم وجود الحكم تعميمها الفوضى . عين مجلس الشيوخ كاهيا ديكتاتوراً للمرة الرابعة . وكان ذلك ضد إرادة الشعب على أنه لم يقبل هذا المنصب الا بعد عشاء . لم يرغب في مقابلة رجال يقولون له بحق بعد تلك الانتصارات ان مقامه في الحروب جمعوتهم شيء آخر بمختلف عن جميع الاعمال السياسية التي عاونه فيها الاشراف . وكان يشعر ان الاشراف لم ينتخبوه إلا لأنه بغض الى الشعب ولكن يوقعوه بين أمرين أما أن يبقى نيرهم على الشعب اذا انتصر وأما أن يلاشى نفسه اذا انتصر الشعب عليه . حاول أن يجد حلاً لهذه المعضلة على اليوم الذى حدد زعماء الشعب لتقرير قانونهم فامر أن تحشد الجيوش في ذلك اليوم ودعا الشعب أن يترك الفوروم ويذهب إلى حقل مارس . مهدداً بإتباع غرامة على كل من يخالف امره . قابل الزعماء التهديد بالتهديد واقسموا ان يحكموا عليه اذا اصر على منع الشعب من تقرير مشروعه بغرامة خمسين ألف اس . انسحب كاهى الى منزله خوفاً من نفي جديد أو حكم بان يصدر عليه مما يشين شيخاً مثله اشتهر بأعماله الحربية أو هورأى في نفسه عدم الكفاية مقاومة رغبات الجمهور وبعد التزام منزله بايام اعتذر باعتلال صحته ووقدم استقالته

من الديكتاتورية عين مجلس الشيوخ خافاً له فاختر الخلف ستولون رغم الشعب قائداً للفرسان وإباح له تنفيذ قانون يثير غضب الأشراف وهو قانون يحرم على أي وطني امتلاك أكثر من خمسة ذراعا من الأرض . انتفخت أوداج ستولون بهذا الفوز ، ولكن ثبت عليه بعد قليل أنه هو يملك من الأراضي أكثر مما يبيحه الآخرين فذهب ضحية قانونه .

بقيت بعد ذلك مسألة الاقتراع على القنصلين الشغل الشاغل وهم أسباب الفتنة واندفع العقد . استمر النزاع قائماً بين الشيوخ والشعب زمناً طويلاً علم اثنائه من مصدر وثقة أن الساتيين اجتازوا للمرة الثانية بحر الأدر ياتيهم وهم سائرون يسرعون الخطى إلى روما في جيش ضخم . سرعان ما أيدت الحوادث الأشياء ابتدأت الحرب بما نزل بالبلا من العطب والخراب وتشتت في الجبال من لم يستطع الانسحاب إلى روما . أخذ الخوف الفتنة واجتمع الشيوخ والشعب أمام الحظر وعينوا بالاجماع كامي ديكتاتوراً للمرة الخامسة . وبالرغم من شيخوخته (إذا كان في الثمانين) ولم يبد عذراً ولا اعتل بعلمه بل اسرع في قبول الديكتاتورية بلا تردد غير ناظر إلا إلى ضرورة الحال ، اسرع بالتجنيد وإذا كان يعلم بالاختيار ان أشد قوى البربر هي سيوفهم الثقيلة يدبرونها في غير مهارة فقطم الأكتاف والرؤوس سلاحه فقطم جيشه بنواذات من الحديد المصقول تنزل على سيوفهم الغاليين أو تتحطم . ولم يكن خشب دروع الرومانيين من المتانة بحيث يحتمل الصدمات فطوقها بطواق من النحاس . ومن ثم علم الجند استخدام الرماح الطويلة بزقونها تحت سيوف الأعداء وبقوا لضرباتهم التي يرسلوها من فوق .

وقف الساتيون على مقربة من روما عند شاطئ انيو وكان معسكرهم ممتلئاً من الغنائم التي أحرزوها . خرج كامي بجيشه وعسكر على تل ناعم المرتقى تتخلله المغاور اختفى فيها معظم جيشه حتى يظهر الباقون فوق التل في هيئة المستسلم الخائف المعتصم بالمرتفعات . ولكي يدخل كامي هذا الوهم في

نفوس الاعداء لم يمنعمهم الساب حتى فى سفح النل وبقى هو هاديا فى معاقلة
الخصينة . واذ رأى الاعداء قد تفرقوا البعض لاحضار العلف والباقون يلهون
ويسكرون انتبهز الفرصة وأرسل جنوده الخفيفة يهاجمون البربر ويقاقلون كل من
يلتونه ليمنعوهم التجمع والاصطفاف للقتال . ولما بزغ النهار نزل الى السهل
وصف مشاته للقتال كثيرة العدد ممتلئة حماساً لا كما توهمها البربر قليلة العدد
خائفة القوى .

خفض السلتيون بعد هذا الهجوم من كبريئتهم وشعروا أن التوم لا
يرهبونهم . بدأت القوات الخفيفة التي كانت تأخذهم دراكا وتمنعهم الانتظام
فى صفوف القتال فوقعت بهم الفشل وأكرهتهم على القتال فى غير نظام
فكان كل منهم يقاقل فى المكان الذى دفعته اليه الصدفة . وأخيراً تقدم
كلمى بجيشه قنبال البربر على الرومانيين بسيوفهم الطويلة وقتلهم هولاء
برماحهم الطويلة معرضين لضرباتهم أجساما يفشاها الحديد فكانت
سيوف البربر وهى من الحديد غير المستقى رقيقة الحدين تتحطم وتتثنى وقد
انقرست فى دروعهم الرماح فكانت حملا ثقيلاً عليهم . تركوا سلاحهم
وهجموا يختطفون من الرومانيين رماحهم . واذ رأهم الرومانيون يتنومون
عزلاً عمدوا الى سيوفهم وذبحوا الصفوف الاولى منهم . وأسرع البااقون الى
الفرار مشتتين فى السهل لان كلمى كان سبقه فاحتل التلال والمرتفعات وقد
علموا أن العدو قد استولى حتماً على معسكرهم . ويقال إن هذه المعركة
وقعت السنة الثالثة عشر بعد استبلاهم على روما . تعلم الرومانيون فى هذه
المعركة أن يواجهوا السلتيين فى غرم وثبات . لان فرعهم من أولئك البربر
كان قد تمكن من نفوسهم الى درجة عزوا أكبر الفضل فى هزيمتهم الاولى الى الاءاء
والامراض التي فتكت بهم لا الى شجاعتهم هم . يشهد بفرط خوفهم القناون الذى
قرر وابعفاء الكهنة من الخدمة الحربية الا فى محاربة السلتيين .

كانت هذه الموقمة آخر مواقع كامي لانه ما ظهر حتى استولى على قلبير بلا قتال ولكن المشاكل السياسية كانت تخبيء له صراعا عنيفا كثير الخطار . اشتد ساعد الشعب بهذا التصرف فأخ بالرغم من القانون القائم ان ينتخب أحد القنصلين من الشعب . وكان الشيوخ يقاومونه بشدة . وجرهوا على كامي الاستقالة من الدكتاتورية آمليين أن يساعدهم مقامهم في حماية امتيازات الاشراف . حدث يوما اذ كان كامي يقضى في الفوروم ان تقدم اليه جلاذ موقد من قبل زعماء الشعب وأمره أن يتبعه موضعاً عنيه يده كأنه يقوده بالقوة . فحدث شغب بين الحاضرين لم يسبق له مثيل . دافع الذين حول كامي ذلك الرسول الى ما وراء المحكة ولكن الشعب كان يصيح أن ينزع الديكتاتور .

حار كامي في أمره اذ هذا الموقف ولكنه لم يشتغل بل سار ومن معه من الشيوخ الى مجلس الشيوخ . وقبل ان يدخل حول وجهه الى الكايتول وتضرع للآلهة ان تجعل خاتمة هذا الشقاق المشؤم خيرا وانذر لوانتهى الخصام ان يقيم هيكل (لوفاق) (كونلوكرذ) احدث تباين الآراء في المجلس جسدا عنيفا . ثم تقلبت روح الاعتدال فأجيب الشعب الى طلبه . وسمح له بانتخاب احد القنصلين من الشعب . أعان الديكتاتور في جلسة الشعب قرار المجلس . فكان بطبيعة الحال فرح الشعب عظيما جدا واتصال مع الشيوخ وساروا بكامي الى منزله بين الضفاف والتمليل والتصفيق . اجتمعوا في اليوم التالي وقرروا اقامة هيكل لوفاق في مكان يطل على الفوروم ومحل الاقتراع وفاء بندر كامي وتخليداً لذكرى الصلح ء وان يقامى يوما الى أيام الاعباء اللاتينية يحتمى بها مدة أربعة أيام . وان يذهب الجميع انفورهم يقدمون الضحايا الآفة في حفلة يحضرها جميع الرومانيين تتوج رؤسهم أكايل الزهر .

تولى كامي رئاسة حفلة انتخاب القنصلين فكان ماركوس امبليوس عن

الإشراف ونوسيروس سيكتيوس عن الشعب وهو أول قنصل اختير من العامة .
أصيبت روما في السنة التالية بوباء الطاعون فقضى على كثيرين من الشعب
أفنى جميع الحكام تقريباً . وقضى به كامي ولئن كان كبير السن وحياته مملوءة
بما لم تنله حياة أى انسان غير ان الحزن لوفاته كان عاما عميقا لاتعدله وفاة جميع
من ذهبوا ضحية ذلك الوباء .

الموازنة بين تيميستوكل وبين كامي لاتوجد

برككس

رأى قيصر جماعة من سرقة الاجانب في مدينة روما يحملون كلابا وقردة صغيرة يداعبونها فسأل الأتالد نساء هؤلاء : عبارة ملكية تشف عن تفرع اولئك الذين يحرصون الحيوانات بتلك العاطفة التي اودعتها الطبيعة قلوبنا وجعلتها خصيصة للناس اذا كانت نفسنا تواقه بطبيعتها للمعرفة افلا يكون من الصواب ان نلوم اولئك الذين يسيتون الى هذه الحالة النفسية بتحويلها الى مالا يليق بعنايتنا واهتمامنا متعامين عن الجميل منا والنافع حقا ؟ ان الحراس تتأثر بملامسة الاشياء الخارجية وعليه يكون من الضروري ان يقف امامها متأثرة بما يمسها نافعا كان أو غير نافع .

اما الفطنة فمن السهل اذا اردنا استخدامها ان نوجهها الى ما يرضينا من الاغراض او نحولها عنه . فالواجب التمعن عاينا هو ان نقتفى اثر الاحسن والافضل ولا يكفى ان نتأمل الغرض بل يجب ان نكون له مادة النظر انما هي مزيج من اللطافة والجازبية : فلنتخير لعقولنا مناظر بهجة تقودها الى الحسن الخاص بها . كالأعمال الفاضلة التي تثير فيها القدرة الصالحة وتحملنا على الاقتداء بها على ان اعجابنا بالشيء لا يحملنا دائما على الاتيان بمثله فقد نعجب بالعمل ونحتقر العامل تسرنا لروائح الذكوية ورؤية الأرجوان ولكننا نضع صناعاتهما في مهنة العمال . وهذا ما قصه اليه من عبارته التالية التي لا تخلو من معنى . اثنى امامه على أسمانياس بان يحذق اللعب على المزمار . فقال « حسن الا انه رجل لا يصلح لشيء والا لما كان زمارا حاذقا . » وحدث ان اسكندر وقع على العود لغرات شجية توقيع خبير فنان فقال له فيليب . « الاتجمل من ان تحسن التوقيع هذا الاحسان . »

الحقيقة انه كفى ان يشرف الملك المغنيين بالاصغاء اليهم اذا لم سمعت له شواغله
وكفاه تذكير الالهة الشعر ان يشهد تمامها .

كل عمل صناعي يدلنا ان كل من يشتغل به عمل غير نافع لا يعنى بالجمال
الحقيقي . فها من شاب طيب المنبت يحس مجرد رميته جويزرينز او جومون ارغوس
بالرغبة في ان يكون فيدياى او بوليكايت ، او ان يكون انا كريون او فيلامون
او ارخيولك اذا طالع قضدهم شبيهة والتدوايس من الختم ان يحملنا الاعجاب بعمل
لرقتة ودقته على احترام منشئيه . فلا يفيد الناظر الى بدائع الاعمال شيئا اذا لم
تحدث فيه الرغبة في النسخ على منوالها . اما الفضيلة فأثرها فينا مباشر وهو على
العكس من ذلك . فعجب بالمثل الاعلى ونحسن الرغبة في الاقتداء باصحابها .
نحب من الثروة امتلاكها والتمتع بها ونحب من الفضيلة الجرى على سنن الفضيلة
ذاتها لذلك نؤثر أن ندال حسنات الثروة من الغير ونحب ان نأخذ الغير عنا حسنات
الفضائل . ان الجمال يجتذبنا اليه بقوة تحدث فينا همة ناهضة ليست غريزة
التقليد بل هي الفطنة يجتذبها ما تحدثه فينا مشاهدة الجمال من اثر يدفعها الى العمل .
هذا مادعاني الى الاستمرار في كتاب سيد العظماء واضع هذا المؤلف العاشر
الذى يضم حياة بركليس وما كسيموس الذى حارب هينبال : رجالان فضائلهما
واحدة واخلاقهما واحدة كلاهما عادل وكلاهما صور احتمال صنوف التعب وزملائه .
وكلاهما ادى لوطنه اجل الخدم . ايجق انا التقريب بينهما على هذا النحو؟ هذا
ما يتضح من سرد سيرة كل منهما .

بركليس من قبيلة الكامنتيد من قرية شولارج وهو من جهتي والده ووالدته
سليل أسرة عظيمة عريقة . تزوج أكراتيب الذى قهر قواد ملك الفرس في
ميكاد ، من اجارست سليمة كايستين الذى طرد البيزيستراتين وقضى على
الاستبداد وسن الشرايع واعاد الى ائينا الوئام والطمأنينة بما ادخله الى
الحكومة من الاصلاحات الحكيمة . حلمت اجارست ان ولدت اسداً وبعدها

بايام وضعت بريكليس . جاء المولود متناسق الاعضاء غير ان راسه كانت من الضخامة بحيث لا تتناسب مع تكوينه . لذلك تعمد المشاؤون عند اقامة التماثيل له ان يبتوا على راسه الخوذة . خشية ابراز ذلك العيب . ولكن الشعراء كانوا يدعونه علانية (شينوسيفال) يريدون الفصيحة البحرية . وقد عني كراتينوس (١) في احدى رواياته بقوله . اولدساتورن القديم اله « الغواية » مستبدا كبيرا دعته الآلهة « سيفاله جيراتاس » (صاحب الرأس الضخم) وقوله في رواية دنيازييس « تعال باجوبتير المضيف باصحب الرأس السعيدة أو الضخمة (٢) . وقال (تالا كليد) (٣) « ان بركليس كان حائرا في امر نفسه لا يدري مصيره تارة يجلس في المدينة مستندا راسه الثقيلة بين يديه . وتارة تنور من راسه ضجة تشبه ضجيج الرعد . » وكان ابوليس (٤) يزعم ان زعماء الشعب يعدون الى العالم . واذ كان يستعرضهم الواحدة بعد الآخر ويسأل قائده عن اسم كل . وكان بركليس آخرهم .

« قال اخيرا خرجت الرأس من الجحيم ؛ »

✓ أجمع أكثر المؤرخين ان ديمون أستاذ بركليس في الموسيقى ولكن أرسطو يقول انه تعلم الموسيقى في مدرسة بيتوكليد . والظاهر ان ديمون كان سوفسطائياً ماهراً (أستاذا بارعا في فنون الكلام . يخفى تحت ستار لقب الموسيقى عن العامة نزاعه الحقيقية . لزم بركليس كما يلزم معلمو السلاح ومولكو الزيت ، المصارع . ولكنه كان يعلم الصراع السياسي . وأخيراً على ان « مزهرد » لم يكن سوى ستار خداع يخفى دونه مؤامراته المرعبة وميله للاستبداد . نفى بالاقتراع اليسرى وصار

(١) شاعر روائي قديم .

(٢) تحتمل الكلمة اليونانية المدنين .

(٣) شاعر روائي اخر اقل شهرة من كراتينوس

(٤) هو ولرسيستوفان وكراتينوس اشهر الشعراء الروائيين القدماء

اسم مضغفة في أفواه الهازلين من الشعراء . ووجهه اليه أفلاطون (١) في احدى رواياته على لسان احدى مخاطبيه العبارة التالية :

أرجو اليك ان تقول لى تبلى كل شيء ؛ الست انت يا شيرون ، الذى يقال عنك انك مهذب بركلييس . ؟

كان بركلييس يحضر دروس زينون (الايلي) مدرس الطبيعة في مدرسة بارميتيد . وكان زينون هذا يمدق صناعة الجدل اذا جادل أخصمه قل عنه تيمون الفيلىازى ما يأتى : صاحب اللسانين ، قدرة لا تغلب ؛ زينون . القاهر في كل خصام .

ولكن الذى كان بركلييس يكثر من مباشراته، ذلك الذى تصفه رقيق اللمحة وسمو العاطفة ونفخ في نفسه روح تلك الكبرياء التى لا تليق بحكومة ديموقراطية . وغرس في أخلاقه وأسايبه تلك النبالة . والآباء . هو اناجازكور الكايزوميقي . الذى كان يدعوه معاصروه العقل لاعجابهم بنفوذ بصره الى ما يفوق الحدود البشرية ودقة معرفته بالطبيعة ولانه أول من عزا تكوين العالم ونظامه لا الى الصدفة ولا الى الضرورة بل لقدرة روحية ظاهرة لا يمازجها شيء . وهى التى أخرجت من الخلاء . (الكاوس) جميع العناصر المتشابهة وجمعت بينها . (٢)

كان بركلييس كثير الاحترام لاناجزاكور الذى أخذ عنه علم الاحواء والطبيعة . وعليه تأدب فكان له ذلك السمو والرزانة العقلية ونبالة العبارة وخلوها من تكلف خطباء المنابر وخسة التراكمب المبتذلة . تنطق ملامح وجهه بالجد وتبعث الهيبة لا تمر بها ابتسامة . متأد في سيره وانطلاق صوته دائماً فى اتساق وانتظام معتدل فى موقفه وحركاته لا يغير من ثيابه اذا تكلم لا يتأثر لشيء مهما تنازعته الاهواء . وأخيراً كل ماجعل من بركلييس موضع اعجاب عام . حدث

(١) شاعر هزلى معاصر له

(٢) الجزء الاول من كتاب ماوراء الطبيعة لارسطو .

يوماً ان شاب فاسد الخلق خسيس التربية اهانه وأكثر من سبابه في المنتدى العمومي . فلم يعمل بركليس سوى انه استمر في عمله ينظر ما بين يديه ويصرف شؤونه المستعجلة ولم يجب بكامة على تلك المسالب ومتى غربت الشمس عاد الى منزله هادىء البال وذلك الشاب يتبعه بصيحاته وسبابه ، ولما بلغ باب منزله امر احد اتباعه ان يحمل مشعلا وينير سبيل الفتى حتى بيته .

قان الشاعر يون (١) انه كان كثير الكبرياء والاباء كثير الدعوى يزدرى الناس . ، أما سيمون فكان رجلا وديعاً لطيفاً يلين لكل شىء ويرضى جميع الناس . لندع الشاعر يون الذى يحسب أن الفضيلة تمثيلاً روائياً لا بد أن يكون للهزل فيه نصيداً . (٢) على أن زيتون كان على العكس من ذلك اذا سمع أحداً يقول ان الجلال الذى يصطنعه بركليس ليس سوى قحة وفخفة دعا القائل ان يصطنع مثلها لان التكلف يصير بنا على الى كلف بالعظمة الحقيقية فنعتادها على غير علم منا .

ليس هذا وحده بركليس من معاشرته اناجز اكور فقد تعلم منه الزرابة بتلك الخوف الوهمى الذى تحدثه الانقلابات الجوية فى نفوس الجهال الذين لا يعرفون اسبابها فتغشاهم جهالهم الفلق والاضطراب واهمين أنها من علاقات غضب الآلهة . أما المستنير الذى يعلم قوانين الطبيعة فانه يحترم الآلهة بين الطمانينة والامل بدلا من العبادة الخرافية الواجلة .

حدث يوماً ان احضر الى بركليس من الحقل رأس كبش ليس بها سوى قرن واحد . لاحظ العراف لاميون أن القرن نابت فى وسط الجبين . وانه قوى ومتين . وقابل فى تأويل هذا الحادث « ان تو سيديد (٣) و بركليس يدبر

(١) شاعر تراجيدى (مائة) معاصر لبركليس

(٢) كانت العادة فى ذلك العصر أن يقدم الشعراء اربعم روايات يكون احداها هزلية هجائية ، تقوم بتمثيلها فرقة من المهرجين الهجائين .

(٣) قائد اثينى . غير المؤرخ المعروف بهذا الاسم .

ان اليوم شؤون الحكومة . ولكن الساطة كلها ستجتمع بين يدي من وجدت في حفلة هذه المعجزة . « ولكن انا جزا كور شق هذه الرأس واضهر أن المنح لا يملأ الفراغ المعدلة . وانه غير متصل بجوانب الجوفة فانكس واستطال في شكل بيضة في النقطة التي تنبت فيها أصول القرن . اعجب الناس أولاً بما شرحه انا جزا كور ثم عادوا فاعجبوا بتأويل لاميون لان حزب توسيديد تلاشى واصبحت الحكومة كلها في قبضة بركايس . ومن الغرائب النادرة ان يتفق العراف والعالم الطبيعي في بيان صادق . شرح احدهما سبب هذه المظاهرة والاخر ما انطوت عليه من نبوءة . بحث الاول عن العلة والكيفية التي احدثت هذه المظاهرة . وبحث الاخر عن الغرض وما ينبيء به . فالذين يدعون أن اكتشاف سبب المعجزة يبطل المعجزة . ومعناها ، لا يدركون اهم بقولهم هذا يبطلون العلامات التي ترسلها اليينا السماء . والعلامات العرفية التي خلقها يد الانسان كصوت الدف وضوء الفوانيس : كل شيء لغرض اعداله .

على أن هذه اراء ليس هنا محل بحثها .

كان بركايس في أول شبابه شديد النفور من الشعب . وكانوا يرون في وجهه ملامح الطاغية بيسسترات ولاحظ شيوخ المدينة أنه يشبهه في رقة صوته وسهولة كلامه وبلاغة عباراته وكانوا يخشونه ويخافونه . غنى ، سليل بيت عظيم وثيق اصلته بمطاء الدولة . داخل بركايس الخوف من أن ينفى بالاقتراع السرى . فلم يتدخل في السياسة ولكن في الحروب لا يدخرو سماً يخوض مخاطرها غير مبق على نفسه . مات اريستيدونفي تيميستوكل وسيمون في شغل شاغل بمهمات البعيدة عند ما ابتداء بركايس الاشتغال بالاعمال العمومية . انضم الى حزب الشعب بفضل الكثرة الفقيرة لوفرتها على الارىستقراطية (حزب النبلاء) لقلّة عدد أفرادها . وليس معنى هذا أنه شعبي بطبيعته الا أنه خشى الاتهام بالرغبة في السيادة المطلقة ، وقد رأى سيمون

مخلصاً للارستوقراطية ومعبود الطبقات العليا والاشراف فارثى فى حضن الشعب ليطمئن على سلامته . ويتخذ منه عضداً واداة ضد سيمون

ومن هذا العهد أخذ نفسه بعادات جديدة . لم يره أحد فى شوارع المدينة الا ذاهباً الى مجتمعات الشعب أو مجلس الشيوخ وقد عدل عن الولائم والحفلات والمسامرات ولم يتناول العشاء وهو على رأس الحكومة على طول مدتها عند أحد من أصدقائه الا أنه حضر مرة وليمة عرس ايريتوليم بن عمه على أنه بارح المكان بعد غسيل الايدي مباشرة . والحقيقة أن ليس اضر بالعظمة من الاختلاط يجب على من يطلب احترام الناس الا يبذل نفسه وهذا اجل واكرم ما فى الفضيلة الحققة . لئن اعجب جمهور الناس بحياة العظماء الخاصة فما اعجاب اصدقائهم بحياتهم الهاخوية باقل من ذلك . كان بريكايس يخشى ان يجه الناس اذا رأوه على الدوام فكان يباعد بين مواضع الظهور . لا يتكلم فى كل شأن ولا يتقدم دائماً يبقى على نغده للمواقف الحرجة كأنه كما قال كريتولاوس سفينة سلام . وفى غير ذلك ينسب عنه اصدقاءه والخاصين له . من الخطباء مثله فى ذلك مثل « افيلات » الذى اضعف نفوذ الاريبوياج (المجلس الاعلى لحكومة الشعب) الذى قال عنه افلاطون (١) انه ملأ الكاس دهاقا من الحرية الخالصة وقدمها للشعب ، ويقول المهرجون من الشعراء ان الشعب قد ثمل وصار جوادا لاحتك له لا يعرف الطاعة . فعرض على أويه . ووثب على الجزائر .

عمد بريكايس لتقويم بيانه وجعله اداة صالحة لافكاره ، ان يستقى من معين اناجزا كور فاكتبت العلوم الطبيعية بيانه متانة وقوة واذا كانت الطبيعة قد حبت عواطف سامية و ارادة صابرة نافذة كما كان يقول افلاطون الالهى (٢)

(١) فى الكتاب الثامن من الجمهوريه .

(٢) فى اخر فيدر .

التي استمدتها من الفلسفة الطبيعية يضيف اليها مهلته في استخدام كل شئ ، عند ما يريد التدليل على امر يقصد اليه . وبهذا يز جميع خطباء عصره . ولعل هذا سبب تلقيبه بالأولمبي لظن البعض ان السبب في ذلك هو كثرة مازائدية المدينة من الثمائل . ويظن البعض ان ذلك يرجع الى مهارة في ادارة احكومة والحروب ولا مانع ان يكون سبب هذا ناشعب راجع الى جميع هذه الخلال الكريمة النادرة على ان هذا لم يخله من عنيت الهجائن فما كثر ما قالوا فيه جدا وهزلا . وكلامهم مجموعون على ان فصاحتها هي التي اكتسبت هذا اللقب ، فمن اقوالهم أنه اذا اعتلى المنبر ارعد وابرق وأن صوته كالصاعقة . ومما يؤثر حكمة توسيديد من ميلازيوس عن قدرة بوكليس في الخطابة كان توسيديد من اشهر اعيان اثينا وكان دأبه معارضة بركليس . سأل ارخيداموس ملك سبارطه . (لاسيدومتيا) يوما أيهما يشد بطشا في المصارعة هو أو بركليس . فقال . « اذا صرعته صاح لم اسقط ، اري الجميع الواقع والكنهم ينتهوا الى تصديقه واعتباره غالبا . »

على انه لم يتكلم الا حذرا جدا وكل مرة علا المنبر توسل قبلها للآلهة الاتراف منه كلمة ضد ما يقصد اليه . لم يخلف شيئا مكتوبا سوى مراسيم . ولا يروى عند سوى القليل من الكلمات النابغة مثال ذلك قوله عن جزيرة اجين « يجب ازالة هذه النقطة عن عين بيره » وقل في مقام اخر . « اري الحرب تركض من البيلوبونيز » اطرى سوفوكل زهيمه في قيادة البحر . امامه محاسن فتى فقال . « ان القائد ياسوفوكل يجب ان يكون طاهر اليدين والعينين ايضا » وقال ستازمروت ان بركليس في الخطة التي القاها تأيينا لقتلى حرب ساموس قال : « لقد صاروا خالدين كالآلهة ، انا لانرى الآلهة . ولكن القربان الذي تقدم اليهم والحسنات التي نلناها منهم تشعرنا انهم خالدون . هذه حال الوطنيين الذين يموتون فداء وطنهم . »

مثل لنا توسيديد (١) حكومة بركليس كأنها شكل من اشكال الارستوقراطية

(١) المؤرخ في الكتاب للثاني من تاريخ حرب نيلوبونيز .

أطلقت عليه تسمية ديمقراطية وماهى إلا إمارة يديرها رئيس الحكومة . ويقول البعض ان بركليس هو اول من ادخل الشعب في توزيع الاراضى المنتجة واعطاء المال لحضور الحفلات والقيام بواجباته المدنية (١) ففسده وعلمه الانسراف والخروج عن الطاعة واقدمه الميل الى الحكمة والعمل : وسبب هذا التغير ناجم عن الحوادث ذاتها . رأينا ان بركليس حرصا على سمعته ازاء سيمون تقرب الى الشعب ولكن سيمون كان على ثروة عظيمة كثيرة الموارد يستخدمها في اعانة الفقراء ، يقيم الموائد لكل زائر يكوشيوخ ، حتى انه رفع الخواجز عن املاكه ليستطيع كل انسان الدخول اليها بجنى ماشاء من ثمارها . ولكن بركليس كان أقل منه مالا ولذلك أقل شهرة عند اهل النماء يبدنه من الاموال العمومية عملا بنصيحة ديمونيد الايوى على رواية ارسطو . وزع النقود على الجمهور لئلا يكتفه من حضور الحفلات والمحام وغيرها ، تولى مهمة المتعهد (٢) وبذلك أغرى الشعب . وصار الشعب فى يده أداة يستخدمها ضد مجلس الحكم الاعلى . الذى لم يعده الحظ قط أن يكون أحد أعضائه . ولا حكام ولا رئيسا للضحايا ولا Polémargín . وهذه مناصب لا تنال إلا بالاقتراع تسمح لمن نالها وقام بشؤونها خير قيام ان يكون فى عداد أعضاء المجلس الاعلى . اغتشم بركليس ذلك المقام السامى الذى رفعه اليه الشعب وأوقع الاضطراب فى المجلس وحرره بواسطة افيالت معرفة الكمبر من الاعمال . ونفى سيمون بالاقتراع السرى بحجة أنه من أنصار اللاسيديوتين (السيبارطيين) وانه شديد المقاومة لمصالح الشعب . نفى الشعب سيمون وهو من أكبر الاسر الشريفة وأغناها فى أثينا وهو القائد الذى قهر الاعداء وانتصر عليهم انتصارات باهرة . وملا المدينة من الغنائم والاسلاب كما روينا فى تاريخ حياته . الى هذا الحد بلغ نفوذ بركليس على الشعب ! .

(١) انظر ارسطو . السياسة من ١ - ١٩

(٢) المتعهدون هم الذين ينفقون على الولائم والحفلات التى يتعهدونها .

حدد القانون مدة النفي (بالاقتراع السرى) عشر سنوات ولكنه حدث بعد خمس سنوات من نفي سيمون أن جيشاً عظيماً من السبارطيين اعتدى على أرض تانجر فهب الاثينيون لملاقاته .

رأى سيمون ليغسل عن نفسه تهمة الميل الى السبارطيين أن يخرق حكم النفي فقدم الى مقاتلة السبارطيين مع رجال قبيلته يشارك قومه فيما يعرضون له من المخاطر . ولكن أصدقاء بركليس أوقفوه وأكروهه على الانسحاب بحجة أنه منفي . فاضطر بركليس أن يبذل أقصى جهده وأن يستبسل في القتال الى ما فوق طاقته حتى لا يفوقه أحد . أما أصدقاء سيمون الذين أنهمموا ببركليس أيضاً بالميل الى السبارطيين فقد استهدفوا له موت حتى ماتوا جميعاً في ذلك اليوم .

دارت الدائرة على الاثينيين عند حدود اتيكا وتوقعوا حرباً مهلكة في الربيع القادم فقدموا على ما قرروه بشأن سيمون واسفوا لغيابه . أدرك بركليس عليهم ذلك فلم يتشدد في مقاومتهم وأسرع فكتب بنفسه مرسوماً باستدعائه وحمل المجلس على قبوله . ما عاد سيمون حتى انتهاز فرصة عطف السبارطيين عليه وكانوا يحبونه بقدر بغضهم لبركليس وغيره من ملتقى الشعب وزعمائة فعمد معاهدة صلح بين الجمهوريتين ويقول الكثيرون من الكتاب أن بركليس لم يكتب طلب إعادة سيمون الا بعد أن عقد معه بواسطة البيينيس أخت سيمون اتفاقاً سرى . تعهد فيه سيمون بقيادة مائتي سفينة حربية والسير بها لمحاربة ملك الفرس . وأن يبقى بركليس في اثينا يتولى السلطة كلها . والظاهر أن سيمون وقع يوماً تحت تهمة الخطرة فنهض البيينيس الى استماله بركليس أحد من أنابهم الشعب في اتهام أخيها . قابلته وتوسلت اليه مستعطفة فقال لها « يا البيينيس انك أكبر سناً من ان تظفري بقضية هامة كهذه . » ومع كل لم يتكلم سوى مرة واحدة وكان كلامه في موضوع التهمة كضطر الى أداء واجب ثم انسحب وكان أقل المدعين

على سيمون شدة . فكيف نصدق بعد هذا دعوى إدومينه (١) ضد بركليس
ببهمه بقتل افيالت غيرة . وهو صديقه وشريكه في مشروعاته السياسية الاندرى
من أين أتى إدومنيه بهذه الفرية ضد رجل لا يقول ، بلا عيب في
جميع أعماله بل ضد رجل عرف بعواطفه الشريفة وشدة حبه للهجد مما لا يتفق
مع وحشية كهنه

أوقع افيالت الرعب في نفوس أنصار الاولييجارشييه (حكم طائفة من الرجال)
فكان يضطهد ويتعقب كل من شكوا الشعب منه ، سقط في كمين فطعنه
سفاح مستأجر . يدعى أريستوديركوس من تانجر ، بخنجر . هذرواية ارسطو . أما
سيمون فقد اتى حتفه في جزيرة قبرص أثناء قيادته

لما رأى الاشراف أن بركليس أصبح أول وأعظم رجل في الدولة
بحسبوا عن رجل يقف له يضعف من سلطانهم وينعنه التحول الى ملكية مطلقة أقاموا له توسيد يد
من الويس وهو رجل قوى المعارضة وصهر سيمون كان أقل من قريبه كتابا في فنون الحرب
ولكنه اقدر منه في فنون الخطابة وادارة الاعمال العمومية . واذ كان يسكن
المدينة فلم يحتج لاكثر من مساجلة بريكليس على منبر الخطابة مرات حتى
استقر التوازن بين طبقتي الدولة . لم يكن لمن ندعوهم رجال الخبر والنبل اى
الاشراف هبة نظامية . بل كانوا مشتتين في كل ناحية متمزجين بالشعب تتلاشي
قدرتهم وجدارتهم بين الجماهير . منع هذا المزج وفرز الاشراف وجمعهم في هيئة
منظمة . وكل من نفوذهم قوة تعادل نفوذ بريكليس . كان التمييز بين الاسر قديما
ولكنه كان ضائعا كقشة في كتلة من حديد . لا تدل على اختلاف الاجناس الا
دلالة خفية ، الشعب والاشراف . ولكن المنافسة والطمع اللذين فشيا بين هؤلاء
الاشخاص فشطرت الشعب الى شطرين بارزا بين الشعب . والنبل .

(١) من لامبساك كتب تاريخ تلاميذ سقراط وتاريخ ساموطراس وعاش في القرن
الرابع قبل الميلاد .

ولذلك انسحب اطلق بريكليس للشعب العنان لايهمه سوى رضاه ببلاد
المدينة اعيادا وحفلات يولائم يعوده عادات لا تخلو من اناقته . يرسل كل سنتين
مركبا عليها عدد عظيم من الانثيين ويقدرون على الاعمال البحرية مدة ثمانية
شهور تدفع لهم اجور ثم ارسل الفا الى شرسونيز وخمسمائة الى تاكسوس ومائتين
وخمسين الى اندروس والف آخر الى تراس في بلاد اليزاليتين ثم عمر سيباريس من
ايطاليا التي اعيد بناءها باسم تور يوم وبذلك اخلى المدينة من العاطلين الذين تثيرهم
اهواء خبيثة وسد حاجة الفقراء واقام بين الخلفاء ما يشبه الحاميات تلزم الرعاية
وتنعمهم الاقدام على حدث جديد .

ولسكن ايهج من سر قلب اثينا وحلاها باجل ما زدان به . وكان موضع
اعجاب العالم ، ذلك الشيء الوحيد الذي يشهد اليوم بتحقيقه ما يقال عن عظمة
اليونان ومجدها السابق هوتلك المباني الفخمة التي شادها بريكليس . وهذه الآثار
كانت موضع شكاة وتدمير خصوصهوا كثيرا شنعوا به على ادارته . يجهرون بذلك
في المجتمعات ويرفعون اصواتهم بالاحتجاجات . ومن اقوالهم . « لقد اتمن الشعب
وارتدى العار بسجبه من دالوس اموال اليونان العامة . يستخدمها لمصلحته الخاصة
لقد حرمتنا بريكليس من أقوى حجة كنا نقف بها في وجه من يتهمنا وهي انا كنا
نخفي اموالنا في دالوس خشية ان يستولى عليها البربر . ألا يكون لليونان الحق
ان تعد من الاهانة والظلم ان تأخذ الاموال التي اخترتها للانفاق على الحروب
الوطنية ، فنصرفها في تجميل وتزيين مدينتنا نحن حتى نجعلها كغانية مثقلة بالجواهر
والعقود الثمينة . لاقامة تماثيل وبناء هياكل بلغت نفقات احدها الف تالان . ؟
اما بريكليس فله في ذلك رأى آخر . ومن اقواله للشعب . « لست مدينا
لاحد من الخلفاء بحساب عن امواله . بما انكم انتم وحدكم تجارون عنهم .
وتبعدون البربر عن يونان . لا يقدمون اليكم جوادا ولا سفينة ولا
رجلا سوى اموالهم . وميتى اعطى المبال اصبح ملك الذي تسلمه

لوالذى إعطاه على شريط ان يقوم المستلم من تعهد به عند استلامه . ولقد وفيتهم عهدكم فى الحروب وتوفر لكم كل ما يلزمكم لها . فاذا امتلأت الخزانة الا يكون العدل ان تنفقوا المذخر فى تشييد المجد الخالد لدينتكم تنعم بعد ائتنا بعد انجازها برخاء يسمح لها بترقية صناعاتها فى كل فن . لقد نشأت حاجات جديدة اشغلت جميع القرائح والايدي وجمعت الوطنيين جميعاً اجراء الدولة . وعليه تكون المدينة قد استمدت . من نفسها جاهلها ومادة حياتها . يتناول كل من تسمح له سنة وقوته بالخدمة العسكرية اجراءه من الخزانة العامة اما الصناع الذين تعفيهم صناعاتهم من الخدمة العسكرية فقد لا يحرموا من الفائدة بلاكسل ولا خمول . لهذه الاسباب والمصلحة الشعب شرعت هذه المباني التى تتطلب جملة الفنون والصنائع وستطلبه زمناً طويلاً . وهكذا ينال المقيمون من الاهالى حقوقهم من الايرادات العامة كالذين يجوسون البحار بعمارتنا والذين يحرسون قلاعنا والذين يحاربوننا . لدينا الحجارة ، والنحاس والعاج والذهب والابنوس . وقد عملت فى هذه المعادن بجميع ايدي الصناع . من نجارين وبنائين وحدادين وحجارين وصباغين وصياغ ونقاشين وبرادين وخراطين . وتستعمل فى البحر لنقل هذه المواد السفن التجارية . وبحارة ونوتية الدولة . وتستعمل فى السبر الجمالين وسوقه العربات ومن ثم جميع ارباب الصناعات والمهن . ولكل صناعة جيش من العمال لا يملك سوى ذراعه فهو اداة وقوة يستخدمها رؤساء المعامل . هكذا يوزع العمل الى هنا يوفى أسباب السعادة فى كل مكان بين جميع الطبقات من كل سن وفى كل ظرف .

برزت هذه المباني فى عظمة حقيقة بالاعجاب بين الجمال والدقة اللتين لاشبه لهما . لان الصناع كانوا يتنافسون فى اتقان دقة الفن جمال البناء فى جماله . وكان أعجب ما يعجب له سرعة الانجاز والحقيقة أن جميع هذه الاعمال التى يحتاج كل منها إلى جملة سلالات متعاقبة لاتمامها وانجزت وتمت فى حكومة

رجل واحد . وحينئذ فاخر المصور اجازتك بالسرعة والسهولة التي مثل بها
 الحيوانات فاجابه زوكيس قائلا « وانا افتخر ببطئي . » والحقيقة ان السرعة
 والسهولة لا تجعلان العمل متيناً ثابتاً ولا تكسبانه جمالا محكما : فالوقت والمواظبة
 على العمل يكفلان بقاءه قرونا لذلك يشعر من يشهد اثار بركليس باعجاب
 عميق بعد مامر بها من القرون مع أنها انجزت في ذلك الزمن القصير . ما انتهى
 احدها حتى يشعر مشاهدتها لدقة جملها أنها من الآثار القديمة ويرى في طلاوتها
 متانتها فمن يراها اليوم يحسبها من صنع اليوم . لا يقاها كزهره يانع تملأ
 العين بهجة . لا تذهب يد الزمن . كأن روح الحياة لا تفارقها وودعتها نفسها لا يدركها
 الـ كبر . وكان في اثينا حينذاك طائفة من مهرة المهندسين والصناع تولى فيدياس
 ادارة ورعاية جميع الاعمال . وشاد كاليكرات وراكسينوس النبا المعروف باسم
 يارتينون هيكتابنيديون . اما هيكل اسوار الوزيس فمقد شرعه كوروبوس
 واقام الطابق الاول من الاعمدة ورسم التصميم واذا توفي قبل تمامه ، تولى العمل
 فيه ماتاجينس من جزيرت وحاطه بسور واقام الطابق الثاني من الاعمدة
 وانجز حيز توكلس من شولارج قمة المقدس . اما السور العظيم الذي قال سقراط
 انه سمع بالشروع فيه فقد تولى بناءه . كاليكرات ولكنه تمهل طويلا في انجازه
 فعرض به كراتينوس في احدي رواياته . قائلا : بجهد بركليس نفسه في الحث على
 العمل كلاما . اما عملا فلا شيء .

اما الاوديون وكان في داخله جملة صفوف من المقاعد والاعمدة فكان سقفه
 متمنيا على نفسه ليتسامى الى نقطة ويقال انه مبني على مثال ضحية ملك الفرس .
 وان بركليس نفسه هو الذي وضع رسمه بيده . وقد اشار كراتينوس الى ذلك في
 رواية « التراسيات » بالعبارات الآتية :

هاك جوبتير شينوسيفال (كبير الراس)

بركليس على رأسه أوديونه .

شامخا بانفه لنجاته من الاقتراع السرى .

واذ ذاك أصدر بركليس رغبة في ازدياد الشهرة . مرسوما بامر الشعب ان توزع فى اعياد بانا تنبيذ جوائز عن الموسيقى . وكان هذا حادث جديد . عين حكما فحدد كل نوع . المزمار والغناء والعود (المزهر) جرت المسابقة فى اوديون ولا تزال تجرى هناك المسابقات الموسيقية .

أنجز المهندس منفريكلس

فى خمس سنوات . وقد وقع فى خلالها حادث لا يدل على قبول الآلهة ورضاها فقط بل ويدل على رغبتهما فى الاشتراك والعمل على انجازه . والحادث ان بينما كان أمير العمال وأنشطها فى أعلى الستار ذلت قدمه وهوى الى الارض وبلغ من شدة الصدمة ان يتس الاطباء من شفاه . اغتم له بركليس غما شديداً ولكن الآلهة ترات له فى حلم وعلمته دواء استخدمه انه صاب وكان شفاه سريما وبلا غناء . ذلك أمر بركليس ان يصب تمثال مينرفا « الشافية » برنزا واقامه فى الاكربول بالقرب من المنبح الذى يقال انه كان هناك .

اما الذى صنع التمثال الذهبى للآلهة فهو فيدياس وقد نقش اسمه على القاعدة . وهو كان كما قدمنا مستوليا ادارة جميع الاعمال ورقابة العمال . وهذا شرف يرجع الفضل فيه لما كان بينه وبين بركليس من الصداقة . وكان هذا سببا لتلك الاكاذيب والمفتريات والمحتلمات التى تحدث بها خصوصها يلصقونها بهذا وذاك . من ان فيدياس كان يستقبل النساء الطليقات اللواتى كانت تاتى بحجة مشاهدة الاشغال فيلقى بهن بين يدي بركليس واتخذ المهرجون من الشعراء هذه الارجييث عدة للتهكم والزراية ببركليس . ومن أقوالهم انه يعاشر امرأة ماينبوس صديقه ووكيله . وان ببريلامب صديق بركليس الحميم يربى العصافير والطاوس ليقدّمها هدايا للنساء اللواتى ينعم بهن بركليس . ولا موضع للقرابة من اناس اصطنعوا القرية يبخرون بها أمام بغض الشعب كما يبخرون لاله شرير افتراء على كل عظيم . كيف نعجب

لرجل مثل ستازيروت الناموسى يرمى بركليس باشنع التهمة مدعياءه انه يعاشر امرأة ابنه : فمن أصعب ما يعانى المؤرخ فى البحث عن الحقيقة . توكله فى الماضى رآها مختلفة تحت حكم أهواء عصرها . ولو أرادها فى الحاضر رأى أهواء البعض والحسد من ناحية وأهواء التماق والتقرب من ناحية أخرى تقضى على معاملها

اشتد خطباء حزب توسيديد فى تقرير بركليس يتهمونه بالتبذير والتبديد فى الاموال العمومية وتقدم بركليس الى الشعب يسأله ، هل يظنه أسرف فى الانفاق . فاجابه الشعب ، بقوله « اسراف فوق الحد » فقال بركليس حسن أتحمل أنا وحدى النفقات على شريط ان ينقش على كل من هذه الآثار اسمى أنا وحدى » فمادعى الشعب هذا الكلام حتى صاح مدفوعا بعامل التأثير من عظمة نفسه أو رغبته فى ان لا يترك للأجيال القادمة هذا الجدل له وحده ، قائلا خذ من الخزينة ماشئت وانفقه كما تريد بلا حساب . اشتدت الخصومة بين بركليس وتوسيديد حتى رأى ذلك ان يعرض نفسه لخطر الاقتراع السرى ، هزم توسيديد وبدد بركليس شمل أنصار خصمه أمضى العداء السياسى ولم يبق فى أثينا سوى عاطفة واحدة ونفس واحدة حتى صح القول ان أثينا هى بركليس .

الحكومة والمالية والجيش والسفن والسيادة على الجزر والبحار والسلطة المطلقة على اليونانيين ، والسلطة المطلقة على الامم المتوحشة والشعوب الخاضعة الصامتة تعين عليها صداقة ومعاهدة الملوك القوية . اجتذب اليه كل شىء وقبض على كل شىء . ولـبـنه لم يبق على ما كان عليه لم يبق هو ذلك الديما جوجى « المعلق الشعبى الخائر بين الاهواء الشعبية . الخالص السهل الذى يسلم بكل ما يشتهي الشعب . فبعد ان كانت حكومة محاولة العرى متراخية كأنها مزهر لا تحدث اوتاره سوى اصوات ناشرة مهمة قبض على اعنتها بقوة جديدة وشدها بيد تكاد تكون ملاكية . لا يستعمل للوصول الى العرض الاى شىء سوى وسائل مستقيمة لا ما خدعها بها . يجتذب الشعب الى وجهة بطرة بقوة التعقل والاقناع واذا تعنت الشعب استعمل الشدة

والا كراه ليعود به الى الصواب كأنه طبيب يعالج مريضا ازمن دوائه وانتابته عوارض مختلفة . فتارة يسمح للمريض بتناول ما يرضيه ولا يضره . وتارة يسقيه دواء مرأ يعيد اليه الصحة وما أكثر اسباب الثورات في ممالكه مترامية الاطراف وكان وحده القدير على طب هذه الادواء السياسية يحرك العقول بين الامل والخوف يدبر هذه الدفة المزدوجة بمهارة فيرجع الشعب عن ثورته اذا احتاجه الغضب وينهض عزيمته اذا خارت قواه . اثبت بريكليس ان الخطابة كما قال افلاطون (١) اصناعة امتلاك العقول وانها قائمة قبل كل شيء على معرفة الميول والاهواء وهي اصوات ورنات النفس يخرجها لمس يد الصناع .

لم ينل بريكليس هذه السلطة العظمى بفضل بلاغته فقط بل يرجع الفضل فيها كما قال توسيد . (٢) لشهرته والثقة التي كسبها . لم يكن له مال اثر في نفسه ولا للافساد سبيل اليها ذلك الرجل الذي وجد وطنه عظيما ناعما فرفعه الى قمة العظمة والسعاسة . وكان اقدر من الملوك والطفاة والذين اورثوا ابناءهم الملك فلم يرد درهما واحدا على ثروة البلاد التي ورثوا ملكها عن آباءهم . ابان لنا توسيديد في وضوح وجلاء سيادة بريكليس ولكن الهازلين من الشعراء صبوا عليه عباراتهم المتألمة قائلين ان حان الوقت ان نأخذ عليه عهدا ألا ينادى بنفسه ملكا مطلقا ان سلطته نقلت على ديمقراطية لا يحمليها . وقال تاليكايدي ان الاثنيين سلموا اليه ايرادات مدنهم ومدنهم ذاتها يقيد بعضها ويحل رباط البعض ، واسوار من الحجر بينيها ثم يهدمها .

واطلقوا يده في عقد المعاهدات ، والجيش والسلطة والصلح ، والمالية وكل ما يتعلق بسلاصتهم وسعادتهم .

لم تكن حكومة بريكليس فرصة عارضة أو قدرة عابرة لقد بقي اربعين سنة

(١) في فيدر

(٢) الكتاب الثاني من تاريخه

وهو في المقام الأول من وطنه وفيه كثير من امثال قيالت ، وابوكرات وهيرونيد ،
وسيمون وتوليد ، وتوسيديد وبعد نفى توسيديد ونشئت حرب ، بقي بركليس
خمسة عشرة سنة في منصب الرياسة بينما كان القواد الآخرون يسدلون كل
سنة . وبقيت له القيادة العليا والحكم بلا انقطاع لم تخدعه فيها شهوة مالية وليس
معنى هذا أن شيئاً من امواله الخاصة واملاكه الشرعية تأثر باعماله المالية او انه
كان لايعنى بدقتها الا أنها لم تكن لتشغله عن مهامه السياسية ، صان ريعه باسط
الطرق وهي الاقتصاد المنزلي يبيع حاصلاته كلها ثم يشتري مايلزم على قدر
ايراده و بذلك يحفظ التوازن بين الايرادات والمصروفات اليومية ولم يكن هذا
يرضي ابناءها الذين صاروا رجالا ولا نساءهم يرونه شحيحاً مقترأ يعيبون
عليه هذه الدقة في المصروفات اليومية . وهذا الحساب الدقيق وعدم السعة
التي تحق ابيت غنى وكان يتولى هذه الادارة وكيانه ايفنجيلوس رجل حبيته
الطبيعة الكفاية لمثل هذا العمل أو أن بركليس در به عليه .

ان هذا المسلك لايتفق في شيء مع فلسفة اناجزا كور ، لقد امتد هوس
العالم بهذا الفيلسوف يوماً فنزل من بيته وترك حقله مرتعا لتطعمان الغنم يرعون
عشية مباحاً بان يشاء . ولكن هذا ليس شأن فيلسوف دقيق الحساب مهمته
السياسة العمومية . لايعنى ذلك بغير الجمال الادبي لآتهمه الماديات ولا الوسائل
الخارجية . اما الذي وقف همه على خدمة مصالح الناس المادية فلا يرى المال
ضرورة لازمة فقط بل فضلة نافعة مرغوبة . فبركليس كان غنياً وكان عوناً لكثير
من الفقراء ويحكي انه بينما كان بركليس غارقاً في مهام اعماله كان اناجزا كور قد
بلغ سنا عالية ولزمته الفاقة والحاجة فستر رأسه بردائه واعتزم الموت جوعاً .
على بركليس بذلك فاسرع اليه ضارعا اليه ان لايقضي على نفسه . « انى أبكي
لا عليك بل على نفسى لانى بفقدك احرم خير مستشار لادارة أعمالى . »
فرفع اناجزا كور الرداء عن نفسه وقال . « يا بركليس على الذين يحتاجون الى

سراج ان يصبوا فيه زيتاً . »

نظر السبارطيون الى نمو عظمة اثينا بعين الحسد وكن بر كلينس قد أدخل الى نفوس مواطنيه الثقة بكفائتهم حتى أيقنوا أنهم معدون لسيادة أعظم . فاقترح واستصدر قراراً بان ترسل جميع المدن اليونانية كبرها وصغيرها ، الاروبية والاسيوية معها يكن شأنه ، نوابا يحضرون جمعية عمومية تعقد في اثينا للبحث في اعادة بناء الهياكل التي احرقها البربر . والقرايين المنذرة للآلهة لصيانة وسلام يونان اثناء الحرب ضد الفرس ؛ والطرق الواجبة لتقرير حرية كل انسان وتأمين الحرية البحرية . وتقزير السلام العام . وانتخب لهذه الرسالة عشرين ممن تجاوزوا سن الخمسين وجه منهم خمسة الى ايطاليا لدى اليونانيين والروسيين وسكان الجزر حتى ليسبوس ورووس . وخمسة الى اقاليم هلسيونت وتراقيا حتى بيزانطة . وخمسة الى باوتيا وفوسيد وبيلوبتيز يخترقونها الى لوكريد على القارة المجاورة يتعدونها الى اكارنانيا واميراسي ؛ والباقون الى اوربا وشعوب اوتواوخليج مالياك وفوتنيودي واشاي وتساليا . ذهبوا داعين جميع الشعوب لحضور الجمعية العمومية للمداولة في السلام العام لجميع اليونان . ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ولم ترسل المدن نوابا ويقال أن سبارطة منعهم لان المشروع أحبط في البيلو يونيز وقد أشرت الى هذا اظهاراً لعظمة فكر بر كلينس وسمو عقله .

كان بر كلينس بصفته قائداً موضع ثقة عامة . لانه لم يخاطر في شيء . ولم يقدم على حرب لا يرى النصر فيها محققاً أو يراه غالى الثمن لم يستشعر الغيرة من الضباط الذين أحرزوا انتصارات بمخاطراتهم ولم يفكر في الاقتداء بهم مهما يكن المجد الذي ينالونه لشدة بأسهم وعنادهم . ولانه كان يقول لمواطنيه لو اتبعتم شورتى لكنتم خالدين . انتفخ توليد بن تولمايوس كبراً لما أحرز من نصر ونال من شهرة في مواقعه الحربية . أعد نفسه لهاجمة بابوتيا بلا سبب واجتذب الفأ من شباب اثينا المولعين بالمجد الى جيشه والاشترك في الحملة

حاول بركليس منعهم والمدول بهم عن عزمهم . ولهذا المناسبة قتل في الجمعية كلمته المشهورة .

« اذا كنتم لا تريدون الاصفاء الى بركليس فانكم لا تخشرون شيئاً اذا انتظرتهم فصيحة أحكم ناصح ، الزمن . » لم يلتفت أحد الى هذه الكلمة ولكنهم بعد ذلك بأيام ، عند ما علموا ان توليد كان نصيبه الفشل والموت في موقعة بالقرب من كوروثيه . وان كثيراً من الابطال لقوا حتفهم ، تذكر الجميع كلمة بركليس وزادوا احتراماً وعرفوا فيه الرجل العاقل حقاً . والصديق الخالص لبلاده حقاً .

واصدق ما استصوبه الجميع من حملاته حملته في شيرسونيز التي نال يونانيو الحزرة بفضائها السلام والطأ نينة قائد الف مهاجر أثيني وحصن المدن بزيادة أهلها ثم حتى ممر البرزخ باقامة التاريس وتقوية القلاع الممتدة من بحر الى آخر . وسد الطريق في وجه التراسيين المنتشرين حول شيرسونيز . ومنع الحروب المهلكة التي كانت تعاني تلك البلاد وبلادها وغارات البربر المجاورين وعبث اللصوص الذين يسكنون حدودها ومنعها جروها بالداخلية .

وقد ذاع صيته ونبه ذكره في البلاد الاجنبية ذاته بحملته الحربية حول بيلوبينيز .

أبحر من بييج في ميجاريد بمائة سفينة . ولم يكتف بسلب المدن البحرية كما فعل توليد ، بل تقدم براً بجيوشه وأكره الاهالي على الانسحاب الى المدن حتى لا يفتأجئوه بهجماتهم . واسكن اهالي سبسيون اجترأوا على الوقوف له وانتظاره في غابة نيمة وقتلوه ، فافتحم مواقعهم عنوة وشتت شملهم وأقام على المكان أثراً للنصر . وبعد أن أخذ من أشابا حليفة اثينا نجدة لهارته انتقل الى الشاطيء الآخر للخليج وسار بسفنه في مجرى اخبالوس وعاث في أكارنافيا وحبس اهالي أونة في أسوارهم . وعبث بجميع بلاد الاعداء تخريباً . ثم عاد إلى اثينا بعد ان أوقع في نفوس اعداء بلاده أنه قائد رهيب

الجانب وفي نفوس مواطنيه انه حام أمين شديد الغيرة على حياتهم وامواضهم . ولم يصب جيشه بشيء يضره عمدا ولا قدرا .

ومن هناك أفلح الى « البونت » بعمارة كبيرة معدة أحسن اعداد . وهناك أدى لليونانيين كلما يطلبونه من خدم وقد أحسن معاملتهم كل الاحسان وهو يظهر لجميع الامم المتوحشة المجاورة وملكها وامراتها . عظمة الاثينيين والطمأنينة التي يبجلون بها في جميع المرات حينما شاؤا . واليقين الذي استقر في نفوسهم بفضل سيادتهم على البحار . وترك لاهالي سينوب ثلاث عشرة سفينة برجالها . ليعينوهم في محاربة الطاغية تامازيليون ، ولما طرد الطاغية وأصحابه من المدينة أصدر أمرا بنقل جالية يونانية عددها ستمائة متطوع الى سينوب ليمتزحوا بالاهالي ويقتسموا معهم منازل وأراضي حزب الطاغية

على أنه لم يستسلم لاهواء مواطنيه وكان يحذر السقوط معهم عندما استولت عليهم العمالية والكبرياء لما نالوا من فوز ونصر . رأهم يميلون لافتتاح مصر ومهاجمة الاقاليم البحرية الخاضعة لملك الفرس تملك الكثرة شهوة امتلاك صقلية لشدة حبهم لها وكانت تلك الشهوة تعسة وشؤما اهاجها السبياد فيما بعد في قلوب الاهالي بما ألقى من خطب مثيرة . وكان منهم من يفكر في غزو اتروريا وقرطجة . ولم تكن أمالهم هذه عارية عن الصواب لو نظرنا الى عظمة ملكوتهم واستمرار سعادتها

تمكن بركليس من كبح هذه الشهوات وتعطيل هذه المشروعات باشغاله جميع قوات أثينا بحراسة ما امتلكوه . مقتفا انه يكفيهم منع السبارطيين من التقدم أو زيادة سلطانهم وقد أظهر في جملة مناسبات انه العدو اللدود للسبارطيين وبوجه خاص في الحرب المقدسة . ذهب السبارطيون لسلاحهم الى دلف واعتصبوا من الفوسيين وكالة الهيكل ومنحوها الى الدافيين . وما كادوا ينسحبون حتى نهض ابركليس بحماسة ورد الى الفوسيين وكالة الهيكل . وكان الدلفيون قد خصو

السيبارطين بحق التقدم في استشارة الوحي ونقش هؤلاء هذا الحق على جبين الذئب النحاسي ايد ابركليس هذا الحق للاثينين وحفره على الجانب الايمن من الذئب النحاسي ذاته .

كان على حق في احتفاظه بجميع قوات يونان في اثينا كما التبتته الحوادث . نهضت اوبا لثورة خطيرة في جيش كبير . وفي الوقت ذاته علم ان الميجارين أعلنوا العداء لاثينا واتهم يعسكرون بجيشهم على حدود اتيكا بقيادة بليستونا كس ملك سبارطة . فعاد اوبا مسرعا للدفاع عن اتيكا . لم يجسر على مقاتلة جيش كثير العدد معروف ببسالته . وقد علم ان بليستونا كس شاب حدث لا يعمل شيئا الا بارشاد كلياندر يداس الذي ندبه النواب ليكون وصيا وقائدا ثانيا لحداثة سن الملك . سبرغور الوصي واستماله بالمال على ان يسحب جيش السبارطين من اتيكا : انسحب الجيش وتشتت الجند في المدينة . ولكن السبارطين سأم هذا العمل فحكوا على ملكهم بقرامة فادحة لم يستطع دفعها . فعاد وطنه . وكان كلياندر يدس قد هرب ، فحكوا عليه بالموت . وكان هذا الرجل والد جيليب الذي قهر الاثينين في صقلية . وكان الطبيعة اودعت قلب جيليب حب المال كداء ورأى . لانه كان عبداً للمال ، وثبتت فضائح مخجلة فتفى من سبارطة وقد شرحنا ذلك في سيرة ايزاندر . أثبت بركليس ضمن نفقات هذه عشر تالانات مكتفياً لقوله انفتت في مصروفات ضرورية . وافق الشعب على الحساب بلا التفات الى هذا المبلغ ولا سؤال عما يكتمه . ولكن الكتاب و بينهم الفياسوف تيوفواست يقولون انه كان يرسل كل سنة عشر تالانات الى سبارطة يوزعها بسخاء بين الحكام مانع الحرب يشترى بذلك لا السلم بل الزمن الذي يمكنه من اعداد ما يلزم للاقدام على الحرب باستعداد يكفل النصر . التفت بعد ذلك الى الثائرين فسار الى اوبا بخمسين سفينة وخمسة آلاف جندي فاضع المدن واعادها الى التزام الواجب . وطرده من شالسي كبار الاغنياء والاعيان المعروفين هناك باسم (هبولوث) مربى

العظاء

الخيول . وأخرج من هستيا جميع الاهالى واستعاض عنهم بجاليات من الاثينيين :
وكان شديد القسوة على المستين لانهم أسروا مركبات أثينية وذبحوا جميع ركابها .
عقد بعد ذلك عهد سلام بين أثينا وسبارطة لمدة ثلاثين سنة . ثم قرر بركليس
حملة بحرية ضد ساموس بحجة ان أهالى هذه الجزيرة خالفوا الاوامر الصادرة اليهم
من أثينا بالكف عن قتال « مياه » . وبما انه لم يقدم على هذه الحرب الأرضيا
لاسبازيا فيحق لنا ان نبحث عن سر وقدرة هذه المرأة على اصطياذ أعظم سياسى
في عصر . وما كان يكتبه عنها الفلاسفة من عبارات التكريم والاحترام .
اجم السكل انها من « مياه » وابيها ابنة اجزيو كوس ويقال انها كانت تتصدى
العظاء اقتداء بمحظية قديمة من يونيا تدعى تراجيليا . وتراجيليا هذه امرأة
حسنة جمعت بين لطافة الجسم وذكاء العقل وكانت متينة السهلة بكثير من
عظاء يونان ، استمال الى ملك الفرس جميع من يعاشرونها . وبواسطتهم
نشرت في المدن الروح الفارسية ، لانها لم تكن تستهوى سوى عظاء المدن
وكبار رجالاتها . اما اسبازيا فيقال ان بركليس كان يعيل اليها لقوة عقلها
وقدرتها على فهم المسائل السياسية . وكان سقراط يزورها مع أصحابه . وكان
الذين يعاشرون يصطحبون نساءهم لتسمعن حديثها مع أن حياتها لم تكن المثل
الاعلى للادب والعفاف إذ كانت تدرب الحسان صناعة التحظى . وقال اشين ان
ليزكليس تاجر اغنام خشن الطبع بمولده وتربيته صار أول وطنى في أثينا لانه
كان يسكن الى اسبازيا بعد وفاة بركليس . وقال افلاطون في مقدمة « مانكسين »
مع ما هو معروف عنه من رقة الاسلوب ان كثيراً من الاثينيين كانوا يذهبون
إلى منزلها ليتعلموا اساليب الفصاحة والبلاغة . ومهما يكن من كل هذا فانا
نحسب أن الذى كان يجتذب بركليس اليها هو الحب . كان متزوجاً احدى
ذوات قرياتها وكانت من قبل زوجة هيبيونيكوس ولها منه ولد وهو كالياس الفنى
وقد رزقت من بركليس ولدين اكسانيت ويارالوسن ، واذا وقع النفور بينهما اخلى
سبيلها فتزوجت من سواه وتزوج هو من اسبازيا الذى كان شديد الولى بحبها

ويقال انه كان يردعها عند خروجها صباحا بقبلة ومتى عاد حياها بقبلة
 اما الازلون من الكتاب فكانون يدعونها سخابة ، او مقال ، داجيفير ،
 جوتون ، وقد دعاها كراينوس محظية
 « لقد ولدت له جوتون اسبازيا ، تلك المحظية المبتذلة التي عينها عين كامية »
 وتطهر أن بركليس اولدها ابنا سفاحا . لان او يوليس يمثل بها في رواية
 ذيوسيس مسائللا .

وابن الذي رزقته حر اما . الا يزال على قيد الحياة ؟ فيحياها بيروميدياس .
 « وكان في وسعه ان يتزوج من زمن ، لو أنه لم يخشي ان يتزوج دوميسا .
 لقد بلغ من شهرة اسبازيا ان سيروس الذي نازع أخاه ملك الفرس
 الملكية لقوة السيف اطلق على احب محظياته اليه اسم اسبازيا وكانت تدعى
 قبلا ملتوا . وهذه اتية هرموتيم وهي من قوسه . ولما هلك سيروس في الموقعة
 سعت الى الملك وكان لها عليه سلطان نافذ . عرضت لي هذه الاشارة الخارجية
 من الموضوع لمناسبة ذكر اسبازيا فلم ابد ارضا اغفالها .

يتهم بريكليس باعلانه الحرب على اتساموس لمصلحة الميلاتين اجابة لرجاء
 اسبازيا . وقعت الحرب بين ساموس وميلا وسببها برين ، احرز الساموستون
 انتصارا باهرا في حين ان الاثنين دعوهم الى وقف الحرب والحضور لعرض مطالبهم
 فلم يأبهوا . لهذه الدعوة . ابجر بريكليس الى ساموس وحل الحكومة الاوليغارشييه
 واخذ رهائن قمش من الاشراف ومثلهم من الاطفال وارسلهم وديعة في لفوس .
 ويقال ان كل من هؤلاء الرهائن قدم اليه تالانا ندية . وقدم اليه الذين
 لا يزغبون في الحكومة الديمقراطية في بلادهم هدايا اخرى . وان يدسونيس الفارسي
 صديق الساموسيين ارسل اليه عشرة الاف قطعة ذهبية لارضائه عنهم رفض
 بريكليس كل هذا ونفذ في الساموسيين ارادته . واقام في بلادهم حكومة ديمقراطية
 ثم عاد الى اثينا . وماكاد يرحل حتى اسرع بسوتنيس واطلعه سراح اسرى

الساموسين واستعدوا للحرب . عاد اليهم بريكليس قانعاهم في غير دهشة ولا وجل مصممين على القتال بريدون السيادة على البحر . نشبت بينهم حرب البحرية ضروس بالقرب من جزيرة ثارجية وانتصر بريكليس انتصارا عظيما لانه باربع واربعين سفينة هزم سبعين منها عشرون ملأى بالجنود .

ولما تم له النصر تعقب الساموسين الى مينائهم واستولى عليه وحاصر المدينة . اذ تبسل المحاصرون في الدفاع ثم فتحوا ابوابهم وتقدموا للقتال امام معاقبهم : وفي هذه الاثناء وصلت الى بريكليس عمارة أوفر عددًا من الاولى فحاصر المكان ثم اتخذ ستين سفينة وغادر الجزيرة قاصدا على ما يقول أكثر المؤرخين ، ملافاة اسطول ارسله الفينقيون حلفاء ساموس ، اراد بذلك القتال بعيدا عن الجزيرة . ويزعم ستاز ميروت انه ارد الحملة على قبرص . والظاهر ان هذا غير صحيح . ومهما تكن نيته فقد اثبتت الحوادث انه اخطأ . ذلك انه ما بقعد حتى ينهض الفيلسوف مالميسيوس بن إتاجانيس قائد الساموسين استخفا بالسفن الباقية أو بتوادها فامر مواطنيه بمهاجمة المحاصرين فهاجمهم وانتصروا وقتلوا من اعدائهم خلقا كثيرا وأغرقتوا الكير من سفنهم . واذ صار البحر حرا احتلوا المدن والذخائر الى مدينتهم بعيدا كانوا محرومين منها : وقال بريكليس ان مالميسيوس سبق له ان انتصر على بريكليس قبل هذه الموقعة . أهان للساموسيون ، الاثينيين بمثل ما هانوه . طبعوا على جبين كل منهم صورة نومة ، كما طبع الاثينيون على جبين كل من رجالهم صورة « ساموسيه » وهي سفينة واطيئة النقام عريضة مجوفة ما يجعلها سريعة السير خفيفة . وقد رعيت ساموسته لأن الاولى من نوعها بقّت في ساموس بامر الطاغية بوليقراط .

الى هذا الطابع اشار ارسطوفان بقوله . : ان شعب ساموس قدير في طباعة الحروف .

بركليس بنى هذا الخلدان فاسرع العودة الى رحاله ، قاتل مالميسيوس

وقهر والزمه الفرار . واعتزم التغلب على مقاومة المحاصرين والاستيلاء على مدينتهم
ولكنه فضل التفريط في المال والزمن عن التضحية بالرجال . فاحاط المكان
بسور دائر . مل الاثينيون الحصار والحوافى طلب القتال ولم يبق في الامكان
منهم . ققسم ركليس جيشه الى ثمانية فرق . والتقى بينها القرعة . فالفرقة التي
يكون نصيبها فولة بيضاء ترتاح وتنعم . ويكون نصيب الاخر القتال . ولهذا
الحادثة يقول الذين يقضون يومهم بين الراحة واللذة انهم قضوا يوما ايضا
اشارة الى فولة ساموس البيضاء . ويقول « أفور » ان بركليس استخدم في هذه
الحرب الات حرية لانه كان مولعا بهذا الاختراع الجديد الذي ابتدعه المهندس
الميكانيكي ارتمون . وكان ارتمون هذا اعرجا يحمل على محقة الى حيث يقتضى
المعمل وجوده . لذلك اطلقوا عليه لقب « لبوريفوريت » (١)

وقد كذب هيراكليس البونتي دعوى أفور مستشهدا باشعار قالها انا كريوت
ذكر فيها رجلا يدعى ارتمون بريفوريت .

قبل حصار ساموس بعدة قرون . وارتمون الذي ذكره الشاعر رجل رقيق
خامل جبان لم يكن بجرا على الخروج من منزله ، يبقى فيه جالسا يظلل خادمان
بالدروع خشية ان يسقط عليه شيء . واذا اضطر للخروج حمل على محقة واطية
ولذلك دعى ياريفوريت .

سلم الساموسيون بعد حصار دام تسعة شهور فهدم بركليس أسوار المدينة
وأخذ جميع السفن وضرب عليهم غرامة فادحة . دفعوا منها لغورم جانبا وتعهدوا
بدفع الباقي أقساطا في مواعيد محددة وقدموا الرهائن ضمانا . انهم دوريسن
السامورسي الاثينين وبركليس باثفنن في ضروب القسوة مما لم يذكره توسيديد
وإفور ولا ارسطو يزعم والواقع يكذبه ان بركليس جاء بضباط السفن والبحارة
وأوقفهم في ساحة ميلا مشدودين الى اعمة حيث بنوا عشرة أيام ولما خارت

(١) مؤلفه من كلمتي يرى وفرو . (الذي يحمل من مكان الى مكان)

قوام أمر بقتلهم ضرباً بالعصى . وطرح جثته بلا دفن . ولكن دوريس لم يكن من طبعه تجرى الحقيقة فيما يكتب حتى فيما لا يسه فلا غرابة ان يقال في وصف يكنه وطنه تشنيعاً على الاثينيين .

تمت هزيمة ساموس وعاد بركليس الى أثينا وأقام لضحايا الحرب حفلة جليلة حيث التي خطبة التأبين بين تصفيق الجميع وعند ما نزل عن المنبر قدمت اليه النساء التيجان والاكاليل كأنه مصارع مبرز ولكن البينيس دنا منه . وقال نعم يا بركليس انه لهما يستحق الاعجاب ولما يستحق هذه الاكاليل ان تهلك أولئك الوطنيين البواسل لا في محاربة الفينيقيين او الفرس كما فعل أخي سيمون بل في خراب مدينة مليفة مدينة هي شقيقة اثينا ! « اصغى اليه بركليس دون أن يبدى حركة ثم أجابه باسمه يقول ارخيلوك . « أيتها العجوز لازلت تتضمخين بالطيب

وقال الشاعر يوب أنه بعد انتصاره على الساموسين امتلاً اعجاباً بنفسه واستعظم قدرته ومن أقواله . « صرف اغا ميمنون عشر سنوات للاستيلاء على مدينة بربرية . ولم أصرف سوى تسعة شهور للاستيلاء على اولى مدن يوفى واقدرها . » والحقيقة أن له من هذه الحرب • ما يدعو للمفاخرة لما وقع اثناءها من الشدائد والمخاطر حتى قال توسيديد ان الساموسين كادوا يسلبون الاثينيين سيادة البحار •

رأى بعد هذه الحملة ان امواج الحرب البلوبونيزية أخذت في الارتفاع فدعا قومه الى نصره الكورسرين اذا اعتدى عليهم الكورنتيون ؟ اراد بذلك ان يكسب فرقته صداقة جزيرة قوية بسفنها في وقت يوشك فيه اهالي بيوليونيز ان يضرروا اعداءها . قبل اقتراحه فارسل الى كورسير ، لاسيدمونيبوس بن سيمون امكر به • ولم يعطه سوى عشرة سفن لعله ان صلات الوريين اسرقة سيمون والبلويونيزين وثيقة فاذا لم هذا القائد يعمل باهر مجيد تذرع بذلك لانه بالشواطئ معهم لذلك لم يعطه سوى القليل من السفن وكلفه القيادة رغم انه . وكان كل هم

الخط من قدر ابناء سيمون يدعوى انهم وطنيون غرباء ، دخلاء ، اجانب حتى في
اسماهم ، وكان احدهم يدعى لاسيد مونيوى . والآخر تساليوس والثالث الايوس
والمعروف ان والديهم اركادية .

احس بريكليس بما وجه اليه الناس من اللوم لاقتصاره على ارسال عشرة
سفن وهي عدة لا تفي في المساعدة وتجعل اليد العليا لخصومه السياسين . فاتبع
الحملة اسطولا ضخما لم يصل الا بعد نهاية الموقعة : استاء الكورنيون فرفعوا
شكايتهم ضد الاثينيين الى سبارطه ؛ وانضم اليهم الميجاريون متظاهرين من ان جميع
اسواق اثينا وموانئها مغلقة في وجههم خلافا للحقوق المشتركة والعهود المتبادلة
المقودة بين جميع اليونانيين . لم يجزأ الا بجنديون على الجهر بالشكوى مما عدده .
امتهان الاثينيين لهم واستعمال العنف في معاملتهم فارسلوا شكايتهم سراً الى سبارطه
في هذا الوقت ثارت بوتيدة وهي مستعمرة كورنثيه ولكنها خاضعة لاثينا . قام
الاثينيون بمحاصرتهم فكان عملهم استعجالاً للحرب . اوفدت الرسل الى اثينا
وكان ارخيداموس قد سوي جميع وجه الخلاف وهداء نائبة الحلفاء ؛ وكاد الصلح
العام يتم . ولم يكن الاثينيون ليشبوا ناز الحرب . نظرا لما نسب اليهم من
الاطا ، لو انهم قبلوا سحب قرارهم ضد ميجاريا وصالحوا الميجاريين .

ولكن بركليس ابى عليهم سحب القرار رحث الشعب على احتقان العداوة
للميجاريين ولذلك تلتقى مسؤولية الحرب عليه وحده .

جاء وفسبارطى الى اثينا ، فقدم بركليس قانونا يحرم تحطيم اللوحة التي كتب
عليها القرار . فقال بوليارسيس احد رجال الوفد ، حسن لا تحطمها ، اقلبها القانون
لا يمنع ذلك

جاءت هذه الكلمة مرضية ولكن بركليس اصر على عناده . فمن المحتمل
ان كان يعتقد على الميجاريين لشان خاص . ولكنه اراد سترحقده تحت ستار
المصلحة العامة التي يمكن اعلانها فاتهمهم بالاعتداء على ارض مقدسة حرام خربها

وقرر ارسال مندوب من قبل الدولة يعرض عليهم الشكوى ثم يذهب الى سبارطة لتأييد التهمة . وكان القرار الذي اصدره بركليس مقررًا في قلب الرقة والاعتدال ولكن انتميموكريت الذي ارسل بهذه المهمة مات أثناء تأديتها . نسب موته الى الميجاريين واصر شاربنوس قرارا انه من الآن فصاعدا يكون البداء بين اثينا وميجاريا عدلاً لاصحح معه ولا هدنة . وان كل مجاربي (المجاريين) يضع قدمه على ارض اثينا يكون ذقابه الموت . وان يقسم القواد عند الحلف القانوني أن يقوموا في سنة قيادتهم بجملتين على ميجاريا . وان يدفن انتميموكريت بالقرب من الابواب الترابزية المعروفة اليوم باسم « ديبيل » (الباب المزدوخ) ينفي الميجاريون تهمة موت انتميموكريت عن انفسهم وينسبونها الى بركليس واسبازيا مستندين الى ماجاء برواية الاشارنيين (١) ولا كته الالسن : وهو : يذهب شبان الى ميجاريا ويسكرون ثم يطغون المحظية سياته . فيدفع الالم الميجارين محظيتين من محظيات اسبازيا .

وعليه ليس من السهل ان نعرف السبب الحقيقي للحرب ولكن المؤرخين مجمعون على ان بركليس وحده هو الذي منع سحب القرار . وينسب البعض ذلك الى عظمة نفسه وحدة بصيرته في مصالح بلاده تلك البصيرة التي ارته في الحاح السبارطين في هذه المسئلة نية محاولتهم اخضاع اثينا حتى اذا تنازلت كان ذلك اعترافا منها بضعفها . ويذهب الى ان الذي حمل على الاستهانة بانذارات سبارطة هو الانانية والرغبة في اظهار قوته . ولكن اخبث ما قيل من الاسباب لهذه الحرب واكثرها رواية هو ما ياتي .

كان المشال فيدياس على ما ذكرنا قاعاً بصنع تمثال منبرقا . وكان صديقاً لبركليس ينعم بثقته التامة . اوغرت هذه الصداقة عليه نفوس جماعة من حساده . وحاول البعض ان يعمل به ما يعمله الشعب ببركليس اذا قدم للمحاكمة . استمالوا احد

(١) كوميديا لارشوفان (سولوده)

عمال فيدياس وكان يدعى مانون ، ذهب مانون هذا الى الساحة العمومية ووقف
وقفة المضارع المتوسل وطلب الامان لمقاواة فيدياس وانهاهه . قبل الشعب طلب
هذا الرجل وعرضت القضية أمام المجلس العام لكن خصومه لم يستطيعوا ان يثبتوا
عليه تهمة السرقة التي نسبوها اليه وذلك لان فيدياس حسب اشارة بركليس
يضع جميع القطع الذهبية الداخلة في التمثال بحيث يسهل نزعها ووزنها . وهذا
ما أمر بركليس المدعين باختياره . وهناك سبب لبغضهم فيدياس وهو شهرته .
لاسيا عند ما مثل نفسه على درع الآلهة في حرب الامازون شيخا أسلما يرفع حجراً
بيديه . ولانه أقام تمثالا بديع الصورة لبركليس يحارب امازونية (مترجلة)
كانت يده المرفوعة لرماية السهم تغطى على نوع ما ، جانبا من وجهه . ولكن هذه
اليد وضعت وضعا فنيا بديعا كتمها تريد اخفاء الشبه ولكن الشبه كان بارزا من
الجانبين على اسمه . زج فيدياس في السجن حيث قتله المرض أو كما يقول
بعض الكتاب ، سم أعدائه . افعلوا هذه الفعلة وقبعة ببركليس . اما المدعى مانون
فقد أعفاه الشعب بناء على طلب جليكون من الضرائب وأمروا الحراس بحمايته .
وفي هذا الوقت كانت أسبازيا تدفع عنها نفسها تهمة منكرة وجهها اليها
الشاعر الماجن هرمينيوس (١) والتهمة انها تأوى نساء حرة تقدمهن الى بركليس
وقدم ايوبيت قانونا يأمر كل اناس بالتبليغ عن كل من لا يؤمن بالآلهة الدولة أو
يتناول الحوادث العمومية بشرح . أراد بذلك القاء الشبهة على بركليس لاتصاله
بانا جزاكور . قبل الشعب القانون راضيا وأباح اتخاذ الاجراءات . وقدم داركوتيدس
مرسوما آخر بان يقدم بركليس حساب ادارته المالية وان يحكم القضاة في ذلك
بالمدينية في هيكل منسيفا . ولكن انيون عدل المشروع بان استبدل البند
الثاني وجعله ان يعهد بالحكم في ذلك الى الف وخمسة رجل . وان يعين المدعى
أحد لجرية . اسقاط . أوغش أو خطاء .

(١) أحد شعراء الكوميديا القديمة .

قال أشين (١) ان اسبازيا لم تنبج من الحكم الا بفضل دوع بركليس وتضرعاته لجميع القضاة أثناء النظر فى القضية . ونخوفه على أناجزا كور أخرجه من المدينة وصحبه بنفسه حتى خارج أسوارها . اما قضية فيدياس فقد أضعفت شهرة بركليس : واذ داخله الريب فيما يتهدده من حكم نفيح فى موقد الحرب الذى كان على وشك الاشتعال أملا ان يقضى بذلك على الدعاوى ويضعف حدة الغيرة والحسد لانه متى اشتدت الضائفة على أئينا واحدى بها انخطر القت بنفسها بين يديه لما أحاط به نفسها من سلطان ورعاية . هذه هى الاسباب التى يعملون بها منعه الشعب عن اجابة السبارطيين الى طلبهم على أنه لا يمكن معرفة أسباب الحرب معرفة حقيقية

ولما كان السبارطيون يعلمون أنهم اذا تمكنوا من قلب سلطانه أصبح الاثينيون البن جانبا طلبوا الى هؤلاء أن ينفوا من المدينة كل نجس . اعتماداً على قول توسيديدان بركليس يرجع بنسب والدته الى جنس حقت عليه اللعنة ولكن حيلتهم عادت بنتيجة عكسية خابت معها أمالهم . ذلك أن الاثينيين بدل أن يصفوا اليهم ويستحيوا قوتهم من رئيسهم وينفوه ازدادوا به ثقة واحتراما اذ رأوا الاعداء تبغضه ونخشاه . لذلك قبل أن يهاجم ارخيداموس اتيكا بجيوشه ، أعلن بركليس الاثينيين أنه اذا احتاج الاعداء الحقول ولم يمسا أملا كه سواء أكان ذلك رعاية لعلاقات المودة والضيافة التى تربط أهلها برئيسهم أو قصد اعطاء خصومة السياسيين فرصة للتشنع عليه ، فانه يمنح الجمهورية جميع حقوله ومزارعه .

أغار الملك ارخيداموس بجيش عرمرم من السبارطيين وحلفائهم على اتيكا واجتاحوا المزارع وعسكروا بالقرب من اشارة اعتقاداً منهم أن الاثينيين لا يطيقون صبرا وان سورة الغضب ستدفعهم الى القتال . ولكن بركليس رأى من

(١) الخطيب الشهور مناظر ديموسينوس .

الخطر أن يعرض المدينة لقتال تحارب فيه ضد ستين ألف جندي عدا دول الجيش من المغيرين من البيوتيين والسيبارطيين . ولكن الاثينيين هاجمهم ما رأوا من العبث بمزارعهم فطلبوا خوض غمار الحرب ؛ ولكنه كان يهدى ، ثأرهم بقولهم ان الاشجار اذا قطعت نبتت ثابتة أما الرجال اذا ماتوا فلا تسهل اعدائهم الى الحياة . ولم يدع جمعية الشعب خشية ان يضطر الى العمل على غير مرسومه . ان اغوتى الحكيم اذا فاجأته العاصفة اسعى الى تنظيم كل شئ ، ويستعد للمقاومة غير معول الا على خبرته لا يبالي بدموع الركاب الذين أخذهم دوار البحر واستولى عليهم الفزع . لذلك كان بركليس بعد أن أحكم حياته مداخل المدينة ووزع الحرس على أماكن الدفاع ومكن أسباب الطمأنينة لم يضع الا لحكمته وخبرته غير مبال بشكاوى وانفعالات المحاصرين ولا بالحاح اصدقائه ولا تهديد اعدائه كل الكل يريد الاهاجى ضده ساخرين بشخصيته يتهمونونه بالندالة والجنون محقرين شأنه متهمكين على قيادته التي تركت كل شئ نهبا للسالبين . وقد بلغ من كلالون ان اشتد عليه وانتهز فرصة هياج الشعب وشق لنفسه طريقا بينه حيث عات كالمته ، كاستفاد من قول هرميبوس . « يا ملك الكلام لماذا لا تحمل الرمح ؛ وتنتصر جهدا على خطب تلقمها عن الحرب ؛ وقلبك فى الشجاعة كقلب فيلس ، ايها الذئب الصلد الذى يشحذ السيف لماذا تفزع لرؤيته فاس الحرب . وتدع كلالون المنقذ غيره يعضك . ؟

بقى بركليس لا يتزعزع . متحملا الاهانة والعداء بصبر وطول اناة . ارسل الى سيارطه عمارة مؤلفة من مئة سفينة وبدل ان يتولى قيادتها بنفسه بقى فى مدينة حرصا على بقائها فى قبضته الى أن يفسحب الجيش السبارطى . واذ كذت الحرب قد آثارت النفوس عمد الى تهديدها بتوزيع الاموال واحصدار المراسيم بتقسيم الاراضى المكتسبة : طرد الايخنيين من جزيرتهم واقترح على

املا لهم بين الاثنيين .

وقد وجد هؤلاء عزاء فيما أصاب اعدائهم من الاذى طافت العبرة أنحاء يلو تميز تخرب وتلف المزارع والقرى والمدن الصغيرة . ثم هاجم بريكليس الميجاريد سرا واكتسبها فاذا كان السبارطيون قد انخروا بالاثنيين فانهم لم ينجوا من الضرر فلا يستطيعون الاستمرار على القتال ولم يكن لهم يد من العدول عنها كما ارتأى بريكليس لوم تدخل قوة علوية فعملت وافسد تدبير الانسان . انتشر الطاعون فحصد زهرة وقوة الشبيبة الاثنية . وابتلى الاجسام والنفوس فثار الكل في وجه بريكليس ثورة المرضى المحومين في وجه اطباهم وابائهم وفعاملوه بالعسف والاساءة . وقد ادخل خصومه في نفوس الشعب أن سبب هذا البلاء انه نقل الى المدينة عدد كبيرا من سكان الريف يسكون مكديسين ابان حرارة الصيف في مساكن ضيقة لا هواء فيها حيث يجتمعون طول نهارهم بلا عمل وهم معتادون استنشاق الهواء الطلق النقي . والذي افتعل ذلك هو الذي احدث هذه الحرب وهو الذي حشد هذه الجماهير بين اسوارنا حيث لا عمل لهم تحشرهم حشر البهائم في الخطيرة . تفشو بينهم العدوى ولم يمن بتغيير حالهم او نقلهم الى ما اعتادوه من الهواء الطلق .

أعد بريكليس تماديا من هذا الخطر ونكاية بالاعداء ، منه وخمسين سفينة جهزها بالابطال من المشاة والفرسان فملا قلوب الاعداء فرعا وقلوب الاثنيين املا ، وفيما كان كل شيء قد أعده والجيش على آتاه وبريكليس على سفينته كسفت الشمس ، فاستولى الفزع على الجميع لهذا الضلال الفجائي وحسبوه نذير سوء . رأى بريكليس نوتى سفينة مبهوتا حائرا يتسا فذشر رداءه أمام عينيه وانف به رأسه وسأله هل يرى في هذا داعيا للخوف أو التشاؤم . فقال النوتى كلا . — فقال وما الفرق بين هذا وذلك ، غير أن الذي أحدث هذا الظلام اكبر من ردائي ؟ هذا ما بروى في مدارس الفلاسفة .

ابجر بركليس ولكن النتيجة التي انتهى اليها لم تتفق مع هذا الاستعداد العظيم . حاصر مدينة أبيدور المقدسة و إذ كانوا على يقين من الاستيلاء عليها انخطأهم التوفيق . ذلك أن الطاعون فشا في الجيش ولم يقض على الاثنين فقط بل وعلى كل من يدخل المعسكرات أو يدنو منها . أنهمود بأنه علة هذا البلاء فحاول تعزيزتهم وتشجيعهم ولكنه لم يستطع تهدئة الخواطر أو تغيير نفوسهم . رفعوا ضده الدعوى واخذوا الاصوات فحكمت الغالبية بتجريد من القيادة والحكم عليه بفرامة . يقول بعض المؤرخين أنها خمسة عشرة تالانة ويقول البعض أنها خمسون . ويقول إرومانية ان المدعى هو كلاون ويقول تيوفراست انه سيميئاس ويقول هيراكليد انه لا كرتيداس .

لم يطل زمن هذه المعارك ، فقد أصابه الشعب بجرح ادمى قلبه ولكنه أبقى غضبة في جرحه ، لوهم هذا التعبير . غير أن بركليس وقع تحت ضربات حزن عائلية . حرمه الطاعون كثيراً من اصدقائه . والله الشقاق المتحكم في منزله . كان أكسانتيب ذكر انبائه الشريفة مسرفاً بطبيعته وتزوجت امرأة فتنة مبدرة . وهي امينة إزاندر ابيليكوس ساء هذا الولد حرص والده وشيخه اقترض من أحد اصحابه باسم والده مبلغاً من المال فأقرضه . ولما جاء يطالبه برد المبلغ انكره بركليس وقضاه غضب الولد وسار في المدينة يشنع على والده متعمداً السخرية بوالده يروي لكل من قابله احاديث عن حياته العائلية . وأحاديثه مع السوقطائين ومن رواياته عنه أن مصرح قتل غير متعمد حصان ايميوس بسهم ارداه . فقضى بركليس يوماً كاملاً في البحث مع بروتاجوراس عن يصح اتهامه عقلا هو السهم أو الذي رمى به . أو الاحونوتيت . ويقول ستازميروت ان الذي إشاع ما يروي عن امرأة اكسانيب هو اكسانيب نفسه . وانه مات قبل أن يصطاح مع والده . اهلك الطاعون . فقد بريكليس شقيقةوا كثير اهل واصحابه ممن كان معتمد على شورتهم في حكومته . ولكن كل هذه النكبات لم تكن

تقل من عزمه او تذهب بشيء من عظيمة نفسه . فلم ير ابداً با كياً ولم يقيم مآتماً
ولا وقف على قبر عزيز . ولكن عندما احتسب في بارالوس آخر ابناؤه الشرعيين .
حاول التجلد عيناً وذهب جهده في الاحتفاظ بعزيمته سدى خارت قواه وعند
تقدم الى الجنة يضع عليها اكليلا خاتمه جلده واستولى عليه الحزن وعلا صوته
بالشهيق وسالت عيونه بالدموع وكانت هذه أول مرة في حياته رآه اليأس
مستسماً لليأس .

جرب الاتينيون الكثير من الضباط والخطباء لقيادة هذه الحرب ولكن
مامن احد منهم كان لها كفواً . فاسفوا عليه واستدعوه الى المقبر ورياسة الجنده .
ولكنه كان قد لزم بيته مكتئباً حزيناً ولكن السيباد واصدقاءه حملوه على
الظهور . احتذر الشعب عن جموده وإعيد انتخاب بركليس قائداً عاماً وعاد
تولى شؤون الحكومة . وكان أول همه اعادة النظر في قانون الانباء لغير
الشرعين الذى وضعه قبلا اراد بذلك أن تبقى ضياع ذكره اذ لم يبق له ابناء
شرعيون . وضع هذا القانونى أبان مجده الاول حين كان له ابناء شرعيون .
وفجواه ان لا يكون الانسان اتينياً إلا إذا كان أبوه وأمه اتينيين . وحدث لمن
ملك مصر اهدى الى الشعب اربعين الف (مد) مديوم من القمح هاجت النفوس
عند توزيعها وكثرت الشكاوى ضد من لا يستحقون حتى بلغ عدد هؤلاء خمسة
آلاف . تعددت التهم الكاذبة هذا ابن غير شرعى وهذا عيب بيع . وقد
لقى الكاذبون جزاءهم على أن التعداد اثبت أن ليس فى المدينة من يستحق
لقب وطنى اثينى سوى اربعة عشر ألفاً واربعين

وانه من الحوادث الخطيرة ان قانونا لهذا نفذ بتلك الشدة يلقى من احده .
ولكن الاتينيين رثوا لمصابه وعدوه جزاء سماوياءه على شدة أبائه وكبريائه واعتقدوا
أن السماء تولت عقابه وانه يستحق العطف فسمحوا له ان يقيم ابنة الغير شرعى
فى عداد الوطنيين وانه بمنحه لقبه . هزم هذا الولد عمارة بيلوبينيز فى جزائر

ارجينوس ولكن لقي حتفه في أثينا حيث حكم الشعب عليه وعلى زملائه القواد بالموت .

حينئذ أصيب بركليس بالطاعون ولكنه لم يفتك به فبكره السريع بسواه بل كان فعله بطيئاً وطال به عهده في عوارض مختلفة مهزل بدنه ويضعف نفسه روى تيموفراست في بحثه « الخلقى » . هل يغير الحوادث خلق الرجل وهل تبدله أهواء الجسم فتبعد به عند الفضيلة : زار صديق بركليس أثناء مرضه فراه تيممة علاقته النساء في عنقة مستدلاً بقبوله هذه السخافة على انه في حالة روية جداً . كان كبار الوطنيين والباقيون من أصحابه حول فراشه عند موته يتحدثون بماله من قدر وما كان له من سلطان وما غنم الاثينيون من نصر تحت امرته يعدون من مفاخره تسع أكاليل تخلد ذكره . كانوا يتحدثون بذلك واهمين انه قد صوابه وانه لا يعي ما يقولون . ولكنه كان مصغياً لحديثهم وقاطعهم على نجاة منهم بقوله . انه يعجب لهم اذ يثنون عليه بانتصارات للحظ فيها تصيبه ويشاركه فيها غيره من القواد ولكنهم لا يدكرون له أجل وأجل ما عمل في حياته . ذلك : « انى لم ألبس أثينياً ثوب الحداد . »

علينا أن نعجب كل العجب باللطف والدة الذين كانوا حليته ابان مهامه العديدة حيث كان غرضاً مختلف الضغائن والاحتقاد . إنا لنعجب به لهذه العواطف السامية التي جعلته يعتقد أن اسمى مفاخره انه مع ما كان له من سلطان طويل الآدم لم يلبس لحد ولا غضب ولم يقس على عدو : ولم يكن هذا اللقب على ضخامته وجلاله ، لقب الاولى لينع عنه حسد الحاسدين ويجعله حقيقاً بركليس . لولا دماثة أخلاقه وطهارة حياته في حكمة وبقاء سيرته التي لم تشبه شائبة . لذلك نعتقد ان الالهة ملوك وسادة جميع المخلوقات ينابيع خير لا شرف فيها . أنالا نشوش أفكارنا بما يدعيه الشعراء من اقوال وتعاليم كلها هوش واضطراب . انهم يمثلون لنا ما يدعونه مساكن الالهة مواطن

يسودها الهدوء التام لا يتسرب اليه ، هياج ولا رياح ولا غيوم تحيط بها
 الروعة وينيرها صفاء دائم . هذا ما يجب أن تكون عليه . ساكن الطوبى وبين
 (الخالدین) . ولكن هؤلاء الشعراء يمثلون لنا الآلهة في الاضطرابات مستمرة واثبات
 وانفعالات وأهوال الا تليق بالعلاء من الناس . ولكن هذا البحث حقيق ومؤلف خاص .
 هذبت الحوادث التي تليت موت بريكليس نفوس الاثنيين فعرفوا للرجل
 قيمته واسفوا لموته في غير مواريه . وقد اعترف الذين كانوا ينقمون عليه تفوقه بعد
 موته وبهد ما خبروا غيره من القواء والخطباء ان لم يكن مثله رجل جمع بين
 الاعتدال والعظمة والرقه والجلال .

وذلك السلطان الذي حفظ عليه القلوب ذلك الذي كانوا يدعونه ملكية
 واستبدادا . علموا اخيرا انها لم تكن سبيلا للسلام . انعمت الحكوة بعده في
 المفاسد والشهوات التي كان يكرهها على الانزواء ويكر من شرتها بما كان يلقي
 عليها من الذراية والهوان . مضارات مما لا يستعصى شفاؤه .